4 - 3
ب ز

قـــل

عـــدد
س والسبعـــون
ـــوز ١٩٨٦

الكاتب ٧٥

للثقافة الإنسانية والتقدم .

- ازمة المؤسسات المحلية ازمة نهج .
- مغزى العدوان الامريكي على ليبيا وتهديد سوريا .
- خمسون عاما على اضراب وثورة ١٩٣٦ .
- الطبقة العاملة الفلسطينية والحركة النقابية في الضفة والقطاع والعاملون وراء "الخط الاخضر".
- المرأة والتعليم في " العالم الثالث " .
- من هم الدوشمان .
- قراءة في كتاب " رحلاتي في الخارج للدكتورة نوال السعداوي (٢) .
- وصايا نيلسان حبة .
- حضور الذاكرة في قصتي " الرفيقة فيروسيكا و "مندوب حبّ دولتك" .
- هل حققت هولنيود ما تبتغيه .
- اتحاد الكتاب الفلسطينيين يشيد باعادة اللجمة للاتحاد العام .

روع تحسين شروط المعيشة.. الدوافع والأبعاد

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب

للثقافة الإنسانية والتقدم

صاحب الامتياز - المراسلون
أسعد الأسعد
القدس

رئيس التحرير

أسعد الأسعد

مدير التحرير: محمد شاهين

مجلس التحرير

بسام الصالحي — تيسير عاروري

جميل السلحوت — فضل البورنو

محمد البطراوي — محمود الشيخ

صف ومونتاج: جبير أبو عوض

الاشتراكات:

بالدولار أو ما يعادله عن سنة واحدة

محليًا ٢٠ دولار

بلدان أخرى ٤٠ دولار

المؤسسات

المحلية ٥٠ دولار

بلدان أخرى ١٠٠ دولار

ترتيب المواد في هذا العدد يخضع لضرورات فنية

لا ترد المواد المرسلة إذا لم تنشر.

المراسلات:

الكاتب - ص.ب: ٢٠٤٨٩ القدس

تلفون ٨٥٦٩٢١

AL-KATEB

For human culture and progress

Editor -

Asa'd Al-Asa'd

P.O.Box 20489
Jerusalem
Tel:856931

Digitized by Birzeit University Library

المحتويات

العدد (٧٥) السنة (٧) تمـوز ١٩٨٦

سياســـــــة :

٣	ازمة المؤسسات المحلية ازمة نهج	سليم محمد
٨	مغزى العدوان الامريكي على ليبيا وتهديد سوريا	نعيم الاشهب
١٧	مشروع تحسين شروط المعيشة،الدوافع والابعاد	د ٠سمير عبدالله
٢٧	خمسون عاما على اضراب وثورة ١٩٣٦	اميل حبيبي

دراســـات وابحـــــاث

٣٥	الطبقة العاملة الفلسطينية والحركة النقابية في الضفة والقطاع"العاملون وراء الخط الاخضر"	محمود الشيخ
٦٠	المرأة والتعليم في " العالم الثالث"	سامي خضر
٧٠	من هم الدوشمان	

مـــع الكتـــــب :

٧٧	قراءةفي كتاب "رحلاتي في الخارج للدكتورة نوال السعداوي (٢)	جميل السلحوت

متفرقـــــات :

٤٩	وصايا تيلمان حية	
٨٣	حضور الذاكرة في قصتي " الرفيقة فيرونيكا و" مندوب خبّر دولتك"	ابراهيم العلم
٨٦	هل حققت هوليودما تبتغيه	
١٢٢	بيان اتحاد الكتاب	

الاراء المنشورة لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر مجلس التحرير

Digitized by Birzeit University Library

قصـــــــــة

٨٨	فصل من رواية " سنوات المنفى"	باسم النبريص
٩٧	عن راشد وحزيران والمخيم	عمر حمش
٩٩	القـــــاووش	صبحي الشحروري
١٠٢	الازمنـــة الرديئـــة	صبحي حمـــدان
١٠٤	الرحيـل على درب الشمـــس	باسم الهيجاوى
١٠٦	الـــــدرب	هيفاء اسعـد
١٠٩	الملاحـــــــــق	فيصل الزعبـي
١١١	ضوء على الجانب المعتـم	مارك رازومنـي
		ترجمةيعقوب اسماعيل
١١٤	الرباعيّات المنسيـة لمعيـن بسيسـو	فضل البورنـو

شعـــــــــر

١١٧	من روائع الادب العالمي ـ اغنية للفقر ـ	بابلو نيـرودا
١٢٠	اغنيـة لرجـل فـي الثمانيـن	باسـم النـادى

شهريـــــــــات

١٢٣	الـى المحـــرر	
١٢٥	اخبـار ثقافيـــة	

Digitized by Birzeit University Library

أزمة المؤسسات المحلية ... أزمة نهج

بقلم : سليم محمد

تعاني جامعة بيرزيت وهي من اكبر المؤسسات المحلية ازمة مستمرة منذ سنوات عدة توجت باعلان نقابة العاملين،الاضراب المفتوح منذ ١٩٨٦/٦/١٧ لكي تتراجع ادارة الجامعة عن قرارها بانهاء عقود العاملين ، وفي شركة كهرباء محافظة القدس استطاع العاملون انتزاع مكاسب بتحصيل رواتبهم . ولكن هذا الانجاز لن يكون نهاية ازمة تعاني منها الشركة. وفي جامعة النجاح اعلن رئيس الجامعة في مقابلة مع صحيفة الفجر عن بوادر ازمة مالية ولكنها لم تصل الى حد الانفجار بعد . وفي الجامعة الاسلامية في غزة يكثر المسؤ ولون الحديث عن ضائقة مالية. وهناك العديد من الازمات في المؤسسات الصغيرة تظهر بين حين وحين وتأخذ طابع الحدة احيانا ولعلنا نستذكر الازمة بين ادارة كلية العلوم في ابو ديس والجسم الطلابي فيها .

ان المؤسسات المحلية في المناطق المحتلة في ظل غياب السلطة الوطنية. كانت وما تزال تلعب دورا رياديا في نضال الشعب الفلسطيني. بل وانها احيانا اتخذت طابعا تمثيليا (وان كان بالمفهوم الروحي وليس المادى) للشعب الفلسطيني. كتعبير عن طموح هذا الشعب في امتلاك مؤسسات وطنية ضمن دولة مستقلة. ولذا فالمؤسسات المحلية على اختلاف انواعها كانت دائما هدفا لهجوم كل القوى التي تنكر للشعب الفلسطيني حقه في اقامة دولته المستقلة . زاد من شراسة هذا الهجوم ،تشبث معظم المؤسسات المحلية بهدف الاستقلال الوطني سواء بقناعة قادتها او بضغط من الاغلبية ذات العلاقة بتلك المؤسسات . وقد تعددت اشكال الهجمة ضمن صلاحية وقدرات كل طرف مشارك فيها الا ان الهدف بقي واحدا. فسلطات الاحتلال عمدت لالة القرارات العسكرية ولسلطتها التنفيذية،فجاء قرار حل المجالس البلدية المنتخبة، وعشرات القرارات بحق الاندية والجمعيات في القرى والمدن، اما الجانب الاردني فاخذ يستغل صلاحيته المتنفذة في اللجنة المشتركة لدعم الارض المحتلة. لتركيع المؤسسات وحرفها عن التمسك بالمطالب الوطنية. وتهديدها بسيف المال،بل وشقها بهذا السيف كما هو الحال في اتحاد نقابات العمال . اضافة لما هو قائم منذ عام ١٩٦٧ من مضايقات لممثلي المؤسسات الوطنية على الجسور وفي اجهزة

Digitized by Birzeit University Library

المخابرات عند سفرهم لعمان. والولايات المتحدة تدلي بدلوها في هذا الهجوم ضمن صلاحيات ممثليها وبعض الجمعيات الاجنبية العاملة في المناطق المحتلة (١) .

والهجوم على المؤسسات المحلية قائم منذ سنوات الاحتلال الاولى. ولكن من الملاحظ انه يزداد بازدياد العمل لخلق واقع لا يتلائم والمطالب الوطنية للشعب الفلسطيني. فقد اقبلت المجالس البلدية المنتخبة في الوقت الذي بدأت تظهر فيه محاولات تطبيق الادارة الذاتية. وتزايدت الاجراءات الاردنية بحق المؤسسات الرافضة لمحاولات الاردن اجهاض مطلب الدولة المستقلة. عشية واثناء بدء التحرك المشترك تحت شعار الكونفدرالية، وتفاقمت هذه الاجراءات بعد توقيع اتفاق عمان ووصلت ذروتها اخيرا في محاولات استبدال م.ت.ف. بما فيها تلك المؤسسات التي يقف على رأسها من اعلنوا موافقتهم على الكونفدرالية واتفاق عمان. وحتى يمكن ان تفهم بشكل اوضح حقيقة ما يجرى في بعض المؤسسات. نعود بذاكرتنا قليلا الى الوراء الى شهر تموز من العام المنصرم ١٩٨٥ حيث تسرّبت (٢) وثيقة اعدها اللوبي الاردني في الارض المحتلة في خضم التحرك الاردني ـ الفلسطيني المشترك آنذاك بعد ٥ اشهر من توقيع اتفاق عمان. حيث دعت الى محاربة الاحزاب في داخل المؤسسات واعتبرت ان هذه الاحزاب تمكنت مع " الاسف " من ابعاد هذه المؤسسات عن اهدافها الحقيقية، لذا لا بد من اخذ زمام المبادرة واعادة تركيب الفعاليات المختلفة في الارض المحتلة. وجاء في الاقتراح الثاني من وثيقة العمل دعوة" لوقف تسييس الجامعات والعمل على اعادتها الى دورها الاكاديمي وايجاد كافة الوسائل الكفيلة بوقف نشاط التيارات التخريبية التي سيطرت عليها" اما عن الالية التي تقترحها ورقة عمل اللوبي الاردني لوقف نشاط الاحزاب وتسييس المؤسسات فقد جاءت في الاقتراح السابع لوثيقة العمل اياها حول موضوع الرواتب التي تصرف من الاردن للموظفين في الضفة الغربية حيث ادعت ان هؤلاء الموظفين لا يحاسبون على تصرفاتهم السياسية. ان القصد واضح وليس بحاجة لذكاء لادراكه وهو استخدام سيف المال لابتزاز مواقف سياسية ،وعليه فهل مستبعد ان تلجأ اللجنة المشتركة التي يهيمن عليها الجانب الاردني ، الاب الشرعي للوبي/صاحب الوثيقة في استخدام نفس الالية التي اقترحتها ورقة عمل اللوبي ؟.

وفي الواقع ان استخدام الضغوط المالية من جانب الرجعية الاردنية والبيروقراطية الفلسطينية في م.ت.ف. لفرض شروط سياسية في جوهرها على المؤسسات المحلية ليس بأسلوب جديد فهو الاسلوب المحبب خاصة في ظل غياب سلطاتهم القمعية المباشرة نظرا لظروف الاحتلال الشاذة. يورد عبد الجواد صالح عضو اللجنة التنفيذية السابق لمنظمة التحرير كيف ان اللجنة الفلسطينية ـ الاردنية المشتركة جمدت المبلغ الذي اقرته لدعم مجلس التعليم العالي. بناءً على طلب اللجنة التنفيذية للمنظمة بتاريخ ١٩٧٩/١٠/١٧ م والبالغ ٣٧ الف دينار ولم يفرج عنه الا في نيسان ١٩٨١ م بعد تغيرات في هيئات مجلس التعليم العالي لا تنسجم والتوجهات الوطنية في الاراضي المحتلة (٣) .

ولم تقف الامور عند هذا الحد. فقد عمد طرفا اللجنة المشتركة استنادا لسلطة المال للتدخل في تفاصيل قضايا ومشاكل المؤسسات المحلية، واستبعاد دور الشخصيات والقوى الوطنية في المساهمة بأي دور مهما كان في تطوير كل هذه المؤسسات . ويكشف عبد الجواد صالح في نفس

Digitized by Birzeit University Library

المصدر كيف تم التخطيط على اعلى المستويات في استبعاد المناضل بسام الشكعة من المساهمة في حل مشاكل جامعة النجاح اثر عطل الدراسة لمدة ثلاثة اشهر بقرار من مجلس الامناء في نيسان عام ١٩٨٢ بعد خلافات مع نقابة العاملين ـ وبناء على ذلك الا يجوز لنا ان نتشكك في رفض مجلس امناء جامعة بيرزيت استعداد بسام الشكعة المساهمة في العمل على حل الازمة المالية للجامعة ؟.

تشكل صندوق دعم المناطق المحتلة التابع للجنة المشتركة اثر مؤتمر القمة في بغداد في تشرين الثاني عام ١٩٧٨. وتقرر ان يخصص مبلغ سنوي قدره ١٥٠ مليون دولار ولمدة عشر سنوات لدعم سكان المناطق المحتلة وقد اوكل مهمة توزيع هذا المبلغ لمنظمة التحرير الفلسطينية والاردن وقد كان واضحا منذ البداية اهداف الجانب الاردني في داخل اللجنة حيث عمد مستفيدا من نعرات معاداة الشيوعية واليسار لدى الجانب الفلسطيني في اللجنة الى حرمان كل المؤسسات التي تقف بحزم ضد توجهات السياسة الرجعية الاردنية في الضفة الغربية وقطاع غزة . وكان واضحا من طريقة الصرف وأوجه الانفاق ان تلك المبالغ المقررة عليها ان تعطي نفس المفعول الذي تعطيه عوائد النفط العربية او " البترودولار العربي " في داخل البلدان العربية من حيث معاداة القوى الديموقراطية والوطنية والطبقة العاملة والفئات المسحوقة. واشاعة نمط التبذير والروح الاستهلاكية، واجهاض عوامل التراكم الذاتية الداخلية. وربط مجمل التطور الاقتصادي بمصادر التمويل الخارجي سواء عوائد النفط الخاضعة لاستراتيجية الاحتكارات الاجنبية العلاقة او القروض والهبات الخارجية .

لقد صرفت اللجنة المشتركة في الفترة ما بين عام ٧٩ وحتى نهاية عام ١٩٨٥ ١٣٨ مليون دينار، ذهب القسم الاكبر منها لقطاع الخدمات ذي الطابع الاستهلاكي، اما القسم الضئيل فقد ذهب لقطاع الزراعة والصناعة حيث يتواجد امكانية خلق مصادر التراكم الداخلية وايجاد فرص عمل. لقد بلغت حصة قسم كبير من هذين القطاعين ٧ر٨ ٪ للزراعة ٤ر٤٪ للصناعة. وتجدر الاشارة الى ان المبالغ التي رصدت للزراعة والصناعة لم تعتمد لتوسيع الطاقة الانتاجية وزيادة فرص العمل المحلية بل كانت تتحول لارباح صافية للبرجوازيين الصناعيين وكبار ملاك الاراضي، وفي مقابل ذلك فقد بلغت حصة الاسكان ١٦٪ من مجموع النفقات. ولم تساعد طريقة انفاق مبالغ الاسكان في حل الازمة السكنية في المناطق المحتلة التي يعاني منها بدرجة اولى ذوو الدخل المتوسط والمحدود. اما ما صرف تحت بند التنمية الاجتماعية فكان نصيبه ٩ر٤٪ اي ضعف ما صرف للصناعة تقريبا واغلبها ذهب لتلك المؤسسات الاجتماعية التي وافقت على استبعاد العناصر اليسارية والتقدمية من صفوفها واما حصة التعليم فقد بلغت ٢٥٪ وبالارقام بلغ مجموع ما صرف تحت هذا البند ٣٥ مليون دينار. لقد ادت تلك المخصصات لقطاع التعليم الى توسع هائل في هذا القطاع بل واصبح مدعاة لتخريج الايدي العاطلة عن العمل. ومما زاد في تعقيد الموقف ان المسؤولين في هذا القطاع لم يعمدوا للاستفادة من اموال الدعم لخلق مصادر تمويل ذاتية . بل اخذوا ينحون منحى استهلاكيا تبذيريا واستعراضيا في صرف الكثير من اموال الدعم. وتخلو عن اشكال التمويل ذي الطابع الشعبي كتشكيل لجان الصداقة وجمع التبرعات في الداخل والخارج. والاستفادة من تنامي التعاطف لدى الرأي العام العالمي اتجاه الشعب الفلسطيني. وبذلك فعلوا كما فعلت البرجوازيات الحاكمة في البلدان العربية التي ربطت مصير بلدانها بمصادر التمويل الخارجية.

Digitized by Birzeit University Library

وهذا امر طبيعي فهم من نفس الطبقةالحاكمة في الكثير من البلدان العربية. وهذا الوضع هيّأ الظروف الملائمة للجنة المشتركة والجانب الاردني وبالاخص للتدخل في شؤون المؤسسات الاكاديمية وبنيتها وهيئاتها واصبح الظرف اكثر ملائمة لتنفيذ مقترحات وثيقة اللوبي الاردني" من ضرورة اخذ زمام المبادرة واعادة تركيب الفعاليات المختلفه في الارض المحتله".

واخذت الجهات المسؤوله في اللجنة المشتركة بين حين وحين حينما تريد ان تفرض شروطاً سياسية في جوهرها تلوح" بازمة مالية" مفتعلة يتردى عوائد النفط لدى البلدان العربية. وتحاول تحميل مسؤولية هذه الازمة لجموع العاملين في داخل المؤسسات . ومما يثير الاستغراب ان اكثر المؤسسات عرضة " للأزمة المالية" تلك التي تنتمي لها جهات اكثر معارضة لتوجهات السياسة الاردنية في المناطق المحتلة .

لا احد ينكر وجود مصاعب مالية تواجه المؤسسات المحلية في الارض المحتلة. ولكن تاريخ مسيرة هذه المؤسسات مع مصادر التمويل الخارجية وتطورات الوضع السياسي ووجود توجهات سياسية محددة لاصحاب مراكز التمويل يجعلنا نتشكك في كون هذه المصاعب قد وصلت الى حالة ازمة مستعصية لا يمكن حلها، الا على حساب جموع العاملين !! وكيف يمكن ان نفسر استعداد الجانب الاردني واللجنة المشتركةلمساعدة شركة كهرباء القدس في ازمتها المالية ،اذاما استجابت لمجموعة شروط من ضمنها فصل نصف عدد العاملين وتخفيض رواتب النصف الباقي ؟!الا يعني ذلك ان امكانية المساعدة موجودة والعقبة فقط تنفيذ الشروط ؟! الايشيرذلك الى ان جوهر المسألة هي معاداة العمال والطبقة العاملة وتوجهاتهم السياسية ؟ هل كان هناك ازمة مالية لدى اللجنة المشتركة عندما وقفت الى جانب اصحاب الفنادق في اضراب عمال الفنادق الشهير في القـــدس عـــام ١٩٧٩ ؟!

ان هذه الامور تجعلنا اكثر فهما لاستنتاجات نقابة العاملين في جامعة بيرزيت من ان الازمة المالية مبالغ فيها ومفتعلة وما هي الا افرازات لتوجهات اللجنة المشتركة في الارض المحتلة" "ونود ان نضيف انهتجرى محاولات للوصول الى تخفيض رواتب العاملين بناء على طلب اللجنة المشتركة التي حددت هذا الطلب بشكل واضح في رسالة جديدة لمجلس التعليم العالي " ...." " اننا نحذر من كلتا المحاولتين ونعلن استنكارنا الشديد لموقف اللجنة المشتركة اللاوطني واللامسؤول ونحذّر ادارة الجامعة ومجلس امنائها من مغبة الاستجابة لهذه الشروط " (٤).

واذا افترضنا جدلا وجود ازمة مالية في جامعة بيرزيت يبقى التساؤل لماذا تقع مسؤولية هذه الازمة على العاملين وحدهم دون غيرهم ؟! وان كان العاملون على استعداد لتحمل نصيبهم من هذه الازمة كماأوضحوا في بيان نقابتهم بتاريخ ١٩٨٦/٦/١٤ لماذا يتم حرمانهم من المشاركة في الاطلاع على اوجهالازمةوبالتالي تحديد سياسةتجاوزها ؟ لقدتقدمت نقابةالعاملين رغم يقينها بعدم جدية الازمة المالية بمجموعة من الاقتراحات والمبادرات وتصورات لايجاد مصادر تمويل لقيت استحسان وموافقة شخصيات وطنية في المناطق المحتلة. تكفل بتقليل الاعتماد على المصادر التمويلية ذات الاتجاهات السياسيّة المعادية لطموحات شعبنا الوطنية. كما ان النقابة على استعداد للمساهمة في تحديد اوجه الإنفاق بما يتلائم والاحتياجات الضرورية للعملية [illegible]

Digitized by Birzeit University Library

ومع ذلك كان الرد انهاء عقود العاملين الذين يعيلون اسرا مجموع افرادها ٣٠٠٠ فرد . ان هذا القرار معاد لابسط قواعد الديموقراطية والحوار الديموقراطي. وفي جوهره لا يختلف رغم اختلاف الشكل والمكان. عما فعلته ادارة جامعة اليرموك اتجاه مطالب الطلاب بتخفيض الاقساط المفروضة على النشاط المنهجي في الجامعة .

الهوامـــش :

١) اقرت لجنة الدعم الخارجي في الكونغرس الامريكي بناء على اقتراح تقدم به وزير الخارجية الامريكي انذاك هنري كيسنجر في عام ١٩٧٦ دعما سنويا للمناطق المحتلة يبلغ ٨ مليون دولار ينفق عبر مؤسسات تنموية وردت وسائل الاعلام مؤخرا ان هذا الرقم من الممكن ان يتضاعف لـ٥٠ مليون دولار سنويا وذلك في سياق النشاط الامريكي الاسرائيلي ـ الاردني المحموم لخلق " زعامة بديلة" في المناطق المحتلة .

٢) نشرتها صحيفة الطليعة في عددها الصادر ١٩٨٥/٧/٢٥.

٣) عبد الجواد صالح ،المشكلات الذاتية لمؤسسات التعليم العالي في الضفة وقطاع غزة ـ مركز القدس للابحاث ص ١٠٥.

٤) بيان نقابة العاملين في جامعة بيرزيت ١٩٨٦/٥/١٤ .

Digitized by Birzeit University Library

مغزى العدوان الأمريكي على ليبيا وتهديد سوريا

بقلم نعيم الاشهب *

" تعتبر الغارة الامريكية على ليبيا في الخامس عشر من نيسان اكبر عملية قصف عسكرى امريكي ضد مراكز مدنية منذ فيتنام" ، (١) . فما هي دلالة هذا العدوان وما هو هدفه الحقيقي ؟ وبمعنى آخر : هل هو انعكاس لتزايد نسبي في قوة الولايات المتحدة ، في اطار التوازن الدولي ، ام تعبير مغامر وبائس عن الفشل في تحقيق مثل هذا التغيير ، في ظروف تعاظم المصاعب وتراكم العقبات في وجه مثل هذا الهدف الامبريالي الخطر ؟

ماذا توحي اهم المؤشرات المحيطة بنشاط ادارة ريغان التي اقترفت هذا العدوان ؟

أولا- على مستوى التوازن الاستراتيجي : من المعلوم انه دشلت تماما محاولات الادارة الامريكية وحلفائها للاخلال بهذا التوازن القائم بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة ، وبين حلف وارسو وحلف الاطلنطي . ولكن هذه الدوائر لم تتخل عن حلمها بتحقيق مثل هذا الخلل . وفي سبيل ذلك ، فهي تدفع العالم نحو جولة جديدة من سباق التسلح ، نوعية في خطورتها ونفقاتها ، بسبب من طبيعة الاسلحة الجديدة ، بما في ذلك نقل سباق التسلح الى الفضاء . ومن الملاحظ ، في هذا الصدد ، ان هجوم السلام الشامل الذى راح يصعده الاتحاد السوفياتي في الاونة الاخيرة ، بما في ذلك المقترحات الشاملة التي طرحها الاتحاد السوفياتي في ١٥ كانون الثاني ١٩٨٦ والمستهدفة التخلص من السلاح النووى نهائيا مع نهاية هذا القرن ، والمقترحات المتعلقة بسحب القوات المتبادل من اوروبا وسحب الاساطيل الحربية لكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي من البحر الابيض المتوسط ، التي طرحها الوفد السوفياتي خلال مؤتمر الحزب الاشتراكي الالماني الموحد في برلين ، نيسان الماضي ، قد وضعت الادارة الامريكية في موقف دفاعي صعب ، وكسبت عقول قوى جديدة في العالم ، بما في ذلك في الغرب . وفي هذه الاجواء كان من المقرر عقد لقاء خلال ايار الماضي بين وزيرى خارجية كل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة

* نعيم الاشهب : عضو المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي الفلسطيني .

Digitized by Birzeit University Library

للتحضير للقاء القمة الثنائي اواخر هذا العام لكن ادارة ريغان التي تعتبر، اكثر من اية ادارة امريكية سابقة، خاضعة كليا لارادة احتكارات صنع الاسلحة، والتي لم تترحزح عن مخططاتها لنقل سباق التسلح الى الفضاء، كانت تواقه لتحاشي عقد لقاء القمة في مثل هذه الاجواء التي سترغمها اما على التراجع عن برامجها العسكرية او الوقوف في قفص الاتهام امام البشرية، عبارة اكثر من اي وقت مضى. وبالفعل، فان العدوان الاستفزازي على ليبيا قد ادى الى الغاء الاجتماع المقرر لوزيري الخارجية لكل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة.

ثانيا ــ على مستوى العالم الرأسمالي: يتحول التنافس المتزايد بين الكتل الاقتصادية الرئيسية الثلاث: الولايات المتحدة واليابان واوروبا الغربية الى نوع من الحرب التجارية النظامية، وان ميزان القوى المتغير بين هذه المراكز الامبريالية الرئيسية، لغير صالح الولايات المتحدة، يجعل من الصعب على الدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة فرض ارادتها على العالم الرأسمالي، وممارسة مواجهة شاملة مع الاشتراكية على نحو ما كان في الخمسينات والستينات من هذا القرن. وكلما تراجع تفوق الولايات المتحدة على الكتل الرأسمالية الاخرى في الميدان الاقتصادي، كلما ازداد اعتمادها على قوتها العسكرية في تأمين استمرار هيمنتها وزعامتها للعالم الرأسمالي. وفي هذا الصدد، تلفت الانتباه الصفقة التي جرت في اجتماع طوكيو في ايار ١٩٨٦، الذي ضم الدول الصناعية الرأسمالية الرئيسية السبع، حيث حصلت ادارة ريغان على دعم بقية المشاركين لها، في سياستها العدوانية الجديدة باسم "مكافحة الارهاب" وتسمية ليبيا بالاسم، في حين قامت من جانبها باجراء تنازلات لتلك الدول في ميدان تبادل العملات واسعارها.

ثالثا ــ على مستوى حركة التحرر الوطني منذ بداية السبعينات، فقدت الامبريالية مواقع اضافية هامة، كليا او جزئيا، في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية، مثال على ذلك بلدان مثل فيتنام لاووس، كمبوديا، اثيوبيا، زمبابوي، انغولا، موزامبيق، افغانستان ونيكاراغوا. وحتى المكاسب التي حققتها الامبريالية في بعض المواقع هي مكاسب غير وطيدة وموضع شك. ولوقف مسار التاريخ هذا لا تجد ادارة ريغان سوى اللجوء للقوة المكشوفة، والعودة الى سياسة القارب المسلح التي اشتهرت بها الادارة الامريكية في القرن الماضي ضد بلدان امريكا اللاتينية. والجديد في هذه السياسة هو محاولة سحبها على النطاق العالمي. صرح ريغان متباهيا في هذا الصدد، في هاواي يوم ٤/٢٦ وهو في طريقه الى اليابان: "اليوم تقف الولايات المتحدة بقامتها الممدودة.. نحن نبني دفاعاتنا .. ونذكر العالم بأن الولايات المتحدة ما تزال تقف الى جانب الحرية، وبالمقابل، فانه منذ ١٩٨٠ لم يسقط اتش واحد من الارض للشيوعية، بينما غرينادا قد تحررت" (٢) ومفهوم الشيوعية عند ريغان ومن ينسحب عليه هذا المفهوم لا يحتاج الى شرح، ولا مفهوم "الحرية" التي حصلت عليها غرينادا وكيف؟ ويستحق الذكر في هذا السياق تعقيب حاييم بارليف رئيس الاركان السابق ووزير الشرطة الاسرائيلي على العدوان الامريكي على ليبيا حيث قال: "لا يهم الامريكيين عدد الليبيين الذين قتلوا، المهم ان الولايات المتحدة ظهرت على انها

Digitized by Birzeit University Library

نمر ذو اسنان "(٣)".

وبارليف هذا هو صاحب فكرة خط بارليف على حافة قناة السويس الذى انهار لدى بدء حرب ١٩٧٣ . وطبعا لو بقي السادات على قيد الحياة لصفق بدوره لريغان الذى تجاوز "العقدة النفسية" لفيتنام كما يسميها ويحرض الادارة الامريكية على تجاوزها .

ويبدو ان العدوان على ليبيا يشير الى ان ادارة ريغان تتصور فعلا ان دروس فيتنام قد امحت تماما من ذاكرة الشعب الامريكي اولا ، وثانيا ان فيتنام هي حادث عرضي في التاريخ المعاصر لا يتكرر .

رابعا ـ على النطاق الامريكي الداخلي : تشير التقديرات على انه خلال خمس سنوات من سياسة ريغان للتسلح ، ازداد الدين القومي الامريكي بما يساوى حجم الدين الذى تراكم على الخزينة الامريكية خلال حكم الرؤساء السابقين مجتمعين . ولم تعد الادارة الامريكية ، منذ سنوات قادرة على تمويل موازناتها الحربية الضخمة ، والمقدر ان تبلغ هذا العام ٣٠٠ مليار دولار ، الا بالاعتماد على سياسة رفع الفائدة لاستقطاب المبالغ الضرورية من العالم الرأسمالي كله . وقد تجاوز حجم الدين على الخزينة الامريكية مؤخرا التريليونين من الدولارات . وتحولت الولايات المتحدة ، بفضل هذه السياسة ، من اكبر دائن الى اكبر مدين في العالم (٤) ، ولكن هذه السياسة تلقى معارضة متعاظمة داخل الولايات المتحدة وخارجها ، والسؤال الى متى يستطيع الاقتصاد الامريكي تحمل هذا التراكم الفلكي من الديون ؟.

في ضوء كل ذلك الا يوحي عدوان ادارة ريغان على ليبيا انه انعكاس لتفاقم ازمة الامبريالية عامة والامريكية خاصة ، وانسداد الافق التاريخي امامها ؟.

لقد اعتبر المسؤولون الامريكيون ان العدوان على ليبيا هو تجسيد لما اسموه " "مذهب الكونية الجديد" فما هي جذور هذا المذهب وما هو مدلوله ؟.

من المعروف انه جرى الاقرار ، مع بداية السبعينات ، بقيام نوع من التوازن الاستراتيجي الدقيق بين الاتحاد السوفياتي والولايات التحدة ، وكان هذا التوازن هو اساس مرحلة الانفراج وتوقيع اتفاقيات هلنسكي المشهورة اواسط السبعينات . وفي حينها رفضت دول حلف الاطلنطي بزعامة واشنطن ، بعناد ، سحب الانفراج في الميدان السياسي على الميدان العسكرى . وعندما اتضح للادارة الامريكية على وجه الخصوص ان حالة الانفراج لم تتح لها الاخلال بالتوازن العسكرى وفي تشديد قبضتها على الدول النامية والاحتفاظ بهيمنتها على حليفاتها من الدول الرأسمالية المتطورة ، فقد تحولت الى تخريب الانفراج ونسفه .

وكان الغطاء الايديولوجي للتحول من الانفراج وتسميم المناخ الدولي هو شعار الدفاع عن (حقوق الانسان) وفق المفهوم الامريكي ، لاتخاذه معبرا للتدخل في الشؤون الداخلية للبلدان الاخرى وبخاصة بلدان المنظومة الاشتراكية ، من خلال قضايا فردية لعناصر شاذة من الجواسيس والخونة لاوطانهم هذا في وقت صعدت فيه تلك الدوائر الامبريالية وبخاصة الادارة الامريكية ، دعمها للانظمة الدموية الدكتاتورية في كل مكان ، في الشيلي والسلفادور ونظام سوموزا في نيكاراغوا وغيرهم وللمحتلين الاسرائيليين وللنظام العنصرى الدموى في جنوب افريقيا ، هذه ا

Digitized by Birzeit University Library

مستوى افراد، بل على مستوى شعوب باكملها بما في ذلك تنظيم عمليات ابادة الجنس. وقد فاقمت ادارة ريغان التي ورثت هذا السلاح الايديولوجي الاستفزازي عن ادارة كارتر من اعمال التدخل والاستفزاز تحت ستاره المهلهـــل.

وعلى صعيد آخر، فان الامبريالية الامريكية منذ الارتداد عن سياسة الانفراج الدولي اواخر ١٩٧٧ قامت، وبخاصة بعد انتصار الثورة الايرانية ١٩٧٩، باعلان مناطق واسعة من العالم، ولا سيما منابع النفط في الشرق الاوسط مناطق حيوية للمصالح الامريكية، ومنحت نفسها حق التدخل المسلح فيها، وشكلت لهذا الغرض قوات الانتشار السريع، والتي راحت تجرى سنويا مناورات ميدانية في مصر ومواقع اخرى في منطقة الشرق الاوسط.

وليس مذهب الكونية الجديد سوى توسيع المناطق الحيوية للمصالح الامريكية لتشمل العالم، وبمعنى آخر: تنصيب الادارة الامريكية نفسها وصية على سلوك ونشاط الدول الاخرى وحقها في معاقبة من يخرج على المقاييس التي تحددها هذه الادارة للسلوك والنشاط. وفي هذا الصدد يجرى اليوم الحديث في الدوائر الامريكية عن تشكيل قوة خاصة لهذا الغرض باسم مكافحة الارهاب الدولـــي.

ان هذا التصعيد الخطير في عدوانية ادارة ريغان يعني ــ اولا: العزم على ممارسة ارهاب الدولة الرسمي المعتمد من ادارة ريغان على نطاق العالم وليس مجرد مناطق معينة، بكل ما يحمله هذا العزم من اخطار اشاعة الفوضى الشاملة في الحياة الدولية والعودة الكاملة الى شريعة الغاب، وما يمكن ان يترتب على ذلك في العصر النووي من مقامرة خطيرة بسلام العالم ومصير الانسانية كلها، ثانيا ان هذا قد ينقل مسرح المواجهة النووية الرئيسي، والذي كان سابقا في اوروبا في الاساس وبعض النقاط المحددة في العالم، الى اى مكان. وهذا يكسب قضية الحرب والسلام مفهوما جديدا. ثالثا: ان ممارسة الولايات المتحدة لسياسة ارهاب الدولة يعني قتل منظمة الامم المتحدة نهائيا، باعتبارها الاداة المشتركة لحفظ السلام والقانون الدولي، والتي شكلت احد اهم مكاسب الشعوب التي انتصرت على الفاشية في الحرب العالمية الثانية. وجدير بالتنويه في هذا السياق ان الولايات المتحدة وحلفائها في حلف الاطلسي قد اخذوا يسعون منذ ان اختلت موازين القوى داخل منظمة الامم المتحدة لغير صالحهم، لشل هذه المنظمة العالمية الهامة ومنعها من الاضطلاع بمسؤولياتها في صيانة السلام وفض النزاعات الدولية، وكذلك الحال بالنسبة لمنظمات فرعية منبثقة عن الامم المتحدة مثل اليونسكو واذا كان شعار " الدفاع عن حقوق الانسان "قد شرعته الادارة الامريكية لتغطية اعمال التدخل والتخريب ضد بلدان المنظومة الاشتراكية، فـــان شعار " مكافحة الارهاب" مكرس لتبرير التدخل والعدوان ضد اى بلد من البلدان النامية، يتمرد على ادارة واشنطن.

يذكر التاريخ القريب ان جنود هتلر المتخفين بالبسة عسكرية بولونية قد قاموا في نهاية آب ١٩٣٩ بتخريب محطة اذاعة فرعية في القرية الالمانية الحدودية GLIEVIZE لاتخاذ هذا الحادث الاستفزازي المفتعل مبررا لغزو بولونيا وبالتالي اشعال نار الحرب العالمية الثانية. فهل يمكن الشك بأن حجج العدوان الامريكي المخطط والمبيت على ليبيا

Digitized by Birzeit University Library

هي من نفس المستودع وان تهما من هذا القبيل يمكن الصاقها، وفي اى وقت ضد اى بلد او شعب ؟ لكن الزمن مختلف والقوى التي تحرس السلام وتتصدى للعدوان هي اليوم اقدر على لجم العدوان والمعتدين .

ان تصدر الولايات المتحدة اكبر دولة امبريالية في العالم لمباشرة العدوان ببديها، يكشف بجلاء عن تعاظم ازمة علاقاتها بالدول النامية وتضاؤل قدرتها على الاحتفاظ بنفوذها عليها عبر القنوات والاساليب السابقة، بما في ذلك الاعتماد على الانظمة الرجعية التابعة لها وفي هذا السياق فان العدوان الامريكي على ليبيا وتهديد سورية بعدوان مماثل لا يمكن تفسيره الا باعتباره محاولة مغامرة لكسر حالة الجمود والتعثر التي تواجهها مخططات واشنطن في منطقة الشرق الاوسط والمستهدفة قبل كل شيء تحويل سورية وليبيا عن سياستهما المعادية للامبريالية وتصفية منظمة التحرير والقضية الفلسطينية، وبالتالي : انجاز بقية المهام التي فشل العدوان الاسرائيلي ـ الامريكي على لبنان ١٩٨٢ في انجازهـــا .

فالتحالف الامريكي ـ الاسرائيلي راح يدرك ان حالة الجمود والتعثر لمخططاته في المنطقة لا تقتصر عند اصابة هذه المخططات بالعقم الدائم بل تهدد بنسف وضياع المكاسب التي حققها هذا التحالف في السنوات الاخيرة، كما تشير الى ذلك انتفاضة السودان التي طوحت بنظام النميري وتعاظم استعداد الجماهير، المضطهدة والناقمة، على تحدي الارهاب كما اكدت الانتفاضات العفوية في مصر وغيرها من البلدان العربية الموالية لواشنطن . لكن من الخطأ الاعتقاد بأن هذا التطور في عدوانية واشنطن يعني التخلي وحتى التقليل من الاعتماد على قوة انظمة مكرسة للعدوان مثل حكام اسرائيل الصهاينة والنظام العنصري في جنوب افريقيا، العكس هو الصحيح. ويشكل عدوان حكام جنوب افريقيا العنصريين على جيرانهم بالجملة برهان ساطع على ذلك . فمن المعلوم ان هؤلاء الحكام قد اقدموا على العدوان ضد كل من زيمبابوى وزامبيا وبوتسوانا في آن واحد في ايار ١٩٨٦ وهم يستندون الى الدعم من واشنطن، بما في ذلك مثل اى اجراء فعلي من الامم المتحدة ومجلس الامن ضدهم . وحتى خلال التخطيط لتنفيذ العدوان المبيت على ليبيا كانت واشنطن تتمنى ان تتولى اسرائيل الاضطلاع بذلك . فعقب الحادث المشبوه لتفجير المرقص في برلين الغربية صرح لارى سبيكس المتحدث الرسمي بلسان البيت الابيض بالقول : سننظر بعين الرضى لاية عملية تقوم بها اسرائيل ضد ليبيا. وفي وقت لاحق اعترف بيرس رئيس الوزراء الاسرائيلي بأن واشنطن طلبت من اسرائيل القيام بمثل هذا العمل . ومن السذاجة ان نعزو احجام اسرائيل عن تولي هذه المهمة القذرة بالتعفف او لنزعات سلمية . فحكام اسرائيل لا يمكنهم ، اولا : اسقاط تجربة لبنان وردود فعلها داخل المجتمع الاسرائيلي في ضوء الخسائر الملموسة والمستمرة منذئذ .

وثانيا : ان ليبيا لا تأتي في رأس اولويات اهدافهم العدوانية في هذه المرحلة بل سورية ونحو هذا الهدف تجرى عملية تعبئة الرأى العام داخل اسرائيل وتهيئته . ومن يتابع وسائل الاعلام الاسرائيلية يلحظ التصعيد المبرمج في هذا الصدد . فقد نشرت صحيفة دافار الناطقة بلسان الهستدروت يوم ٢٣ نيسان الماضي عن مصادر امنية اسرائيلية

Digitized by Birzeit University Library

قولها انه " ثبت تورط سوريا جملة وتفصيلا ، في محاولة تفجير طائرة " العال" الاسرائيلية في مطار لندن ١٧ نيسان الماضي" واضافت ان "جهاز الامن الاسرائيلي ينظر الى هذا التورط السوري بخطورة شديدة".

اما بيرس فقد صرح يوم ٢٣ نيسان الماضي بأن حكومته ستستخلص " النتائج المناسبة" مما اسماه " التورط السوري" في محاولة تفجير طائرة العال الانف الذكر، وراحت التهديدات والتقديمات للعدوان تجري في هذا السياق.

لكن جنرال الاحتياط ، رئيس شعبة المخابرات سابقا، ورئيس معهد الدراسات الاستراتيجية في جامعة تل ابيب ، اهرون يريف كان اكثر صراحة في تصريح نشرته له صحيفة يديعوت احرنوت يوم ٢١ نيسان الماضي يقول فيه " مع مرور الزمن تقترب امكانية نشوب حرب شاملة مع السوريين " ويعزو ذلك الى " تعاظم القوة العسكرية السورية ".

وبنفس الوضوح جاء تصريح رابين وزير لحرب الاسرائيلي بتحذيراته لسورية بأن " "عليها ان تقلق جراء قوة اسرائيل العسكرية اكثر مما تقلق اسرائيل جراء قوة سورية العسكرية بمفردها "

اذا ، فالقضية ليست ممارسة سورية للارهاب بل حجة تعاظم قوتها العسكرية. ومما له مغزاه في هذا الصدد ما اعرب عنه بعدئذ شولتز وزير الخارجية الامريكية من ان التعزيز الضخم للقدرة العسكرية السورية (على حد قوله) خلق موقفا شديد التوتر في المنطقة (٥) ان هذا يعني بدون مواربة ان واشنطن مصممة على الاحتفاظ بتفوق اسرائيل على جيرانها رغم احتلالها منذ تسعة عشر عاما لاراضيهم خلافا للقانون الدولي وقرارات الامم المتحدة.

وفي سياق الاستفزازات والاتهامات ضد سورية تحضيرا لاجواء عدوان محتمل عليها، فان ادارة ريغان لم تكتف بتقديمها " المثل" بالعدوان على ليبيا الذي شكل الضوء الاخضر لحكام اسرائيل بتنشيط وتصعيد الاتهامات ضد سورية، بل دخل المسؤولون الامريكيون طرفا اساسيا في حملة الافتراءات الخطرة هذه. فعقب العدوان على ليبيا اجاب ريغان شخصيا بنعم على سؤال فيما اذا كانت حكومته ستقوم بعمل عسكري ضد سورية اذا ثبت وفق المقاييس الامريكية طبعا ــ ان سورية متورطة في اعمال الارهاب الدولي . وغني عن القول ان اختيار اسم سورية بالذات في هذا السياق ليس صدفة. ثم جاءت تصريحات بوش نائب الرئيس الامريكي خلال لقائه مع اسحق رابين وزير الحرب الاسرائيلي يوم السادس من ايار الماضي (٦) والتي يُقول فيها : ان (بصمات سورية تنعكس على اعمال ارهاب دولية". والاستنتاج المنطقي من كل ذلك انه يجرى تحضير عدوان جديد ضد سورية، وان ادارة ريغان تشكل طرفا رئيسيا في هذا العدوان اذا تحقق، بغض النظر عما اذا كان الاسرائيليون الصهاينة سيتولون التنفيذ كالعادة.

وبمعنى آخر، فان حكام اسرائيل لن يغامروا بشن عدوان ضد سورية بالذات، حتى ولو توفرت لديهم النية بذلك دون الضوء الاخضر من واشنطن. ويقع ذلك ضمن التعزيز المتواصل للتحالف الامريكي الاسرائيلي والذي كان آخر تجلياته الاعلان في السابع من ايار عن انضمام اسرائيل رسميا الى برنامج حرب النجوم الامريكي باعتبارها الدولة الثالثة بعد بريطانيا والمانيا الغربية حتى الان ، في هذا الصدد. ومعلوم انها تتلقى حاليا، من العون العسكري الامريكي ما يساوي مليار و ٨٠٠ مليون

Digitized by Birzeit University Library

دولار سنويا ، وهو ما يعادل ما تقدمه الادارة الامريكية لانظمة اعوانها في امريكا اللاتينية مجتمعة تقريبا .

واستنادا الى هذا التطور النوعي في التحالف الامريكي ـ الاسرائيلي وما ترتب عليه من حيازة اسرائيل لاكثر الاسلحة تقدما في الترسانة الامريكية ، فان مهماتها العدوانية في المنطقة قد اتسعت بشكل ملموس، في السنوات الاخيرة كما عبر عن ذلك تصريح شارون المشهور قبل عدوان ١٩٨٢ على لبنان حين اشار الى ان المجال الاستراتيجي الاسرائيلي يمتد من حدود تركيا الى اواسط افريقيا . وبالفعل فقد جاءت الغارة الاسرائيلية على المفاعل الذرى العراقي ، ومن بعدها الغارة على مقر منظمة التحرير في تونس لتأكيد هذا التطور الخطير الذى ترعاه واشنطن بكل عناية، وبحيث لم تعد قدرة اسرائيل العدوانية محصورة بجيرانها المباشرين الذين لم ينج احد منهم من عدوانها اكثر من مرة .

وغنى عن القول ان اى نجاح ولو جزئي للموجة الجديدة من ارهاب الدولة الرسمي الذى تتزعمه وتتبناه، هذه المرة،الادارة الامريكية، سيقود الى فتح شهية المعتدى ويضاعف الاخطار واحتمالات المواجهة الدولية وقائمة الدول والشعوب التي يمكن اتهامها بهذه التهمة الاستفزازية ، وبالتالي جعلها هدفا للعدوان طويلة بدءا بسورية ونيكاراغوا التي تبذل ادارة ريغان كل جهدها لاسقاط حكمها الثورى الدستوري بواسطة تجنيد وتمويل عصابات القتلة والارهاب الحقيقي، وانتهاء بكوبا واثيوبيا وانغولا وفيتنام. وفي هذا السياق تشير الاخبار الى المساعي الجارية لاستصدار تشريع من الكونغرس الامريكي يجرم الانتساب لمنظمة التحرير (٧) باعتبارها منظمة ارهابية. والسؤال الكبير الذى يطرح نفسه هل يمكن التصدى الناجح لهذا الارهاب الرسمي المنفلت من عقاله، وهل توجد القوى الضرورية لذلك وبمعنى آخر : هل يمكن مواجهة مذهب الكونبه الجديد المكرس لارهاب الدوله الرسمي بمذهب كونية جديد لحماية حرية الشعوب واستقلالها وصيانة سلام العالم من عبث المغامرين في الادارة الامريكية واتباعها ؟ لصياغة الاجابة على هذه التساؤلات لا بد قبل كل شيء من الانطلاق من الحقيقة الاساسية لعصرنا ، وهي ان توازن القوى العسكرى قد تحقق مرة والى الابد ولن يختل ثانية لصالح الامبريالية العالمية ، وان جميع محاولات الدوائر المغامرة في واشنطن وحلف الاطلسي للاخلال بهذا التوازن مقضي عليها بالفشل المحتوم، هذا ما تؤكده تصريحات القادة السوفيات التي تستند الى الجبروت الاقتصادى ـ الاجتماعي للنظام السوفياتي ومنظومة البلدان الاشتراكية الاخرى الذى لا يقهر، وان برنامج حرب النجوم الامريكي لا يشكل للنظام الاشتراكي اى تحد علمي فني، بل اهدار مجنون لثروات بشرية طائلة مع زيادة احتمالات خطر اندلاع الصراع النووى ولو لخطأ فني، هذا اولا .

وثانيا : التجارب الناصعة منذ كوبا وحتى نيكاروغوا مرورا بفيتنام وانغولا وغيرها وهي انه اذا توحدت ارادة القوى المعادية للامبريالية والعدوان واستفادت من التوازن الدولي الملائم واستندت الى حليفها الدولي الجبار ـ منظومة الدول الاشتراكية ـ فهي قادرة تماما على لجم واحباط مغامرات المعتدين حتى ولو كانوا على بعد عشرات الاميال من عقر دار هوكلة المغامرين كما

Digitized by Birzeit University Library

حال كوبا الباسلـــة .

ثالثا : دلالات العدوان الامريكي ذاته على ليبيا ، فمن الجانب الواحد اكد اكثر من مصدر موثوق ان خسائر الامريكيين كانت اكثر كثيرا مما اعلنوه. وفي هذا الصدد نشرت صحيفة " يديعوت احرنوت" الاسرائيلية اليمينية يوم ١٧ نيسان الماضي على لسان عضو البرلمان البريطاني من حزب المحافظين الدون غريفتيس النائب من المنطقة التي تقع فيها قاعدتان عسكريتان انطلقت منهما الطائرات الامريكية التي شاركت في العدوان على ليبيا ،ان اعدادا كبيرة من الطائرات الامريكية التي شاركت في قصف ليبيا عادت الى قواعدها في بريطانيا مع حمولتها الكاملة لان ستارا سميكا من صواريخ سام ٣ منعها من الوصول الى اهدافها ، وهذه المعلومات حصل عليها غريفتيس من ضباط امريكيين كبار . وهذا يفسر سبب الاصابات المرتفعة بين المدنيين الليبيين العزل . فالطائرات المغيرة الاخرى آثرت افراغ حمولتها فوق اهداف مدنية. كما يعزز هذه الحقيقةالتصريح الذى ادلى به الاميرال الامريكي في الاسطول السادس كيلسو Kelcs بأن طياريه لم يسبق ان واجهوا مثل هذه الكثافة من صواريخ سام (٨) .

من الجانب الاخر فقد واجهت واشنطن عزلة خطيرة في عدوانها هذا ولم تؤيدها في ذلك سوى بريطانيا وكندا واسرائيل ، بل لقد رفضت حليفات واشنطن المعنيات في حلف الاطلسي السماح للطائرات الامريكية المغيرة بالمرور فوق اراضيها . واثار العدوان حملة ادانة عالمية واسعة اتخذت اشكالا مختلفة ــ كما هومعروف ــ ولا تزال مستمرة .

اما موقف الاتحاد السوفياتي ومنظومة البلدان الاشتراكية فقد عبرت عنه بسطوع وقوة رسالة غورباتشوف الأمين العام للحزب الشيوعي السوفييتي الى الرئيس القذافي في نفس يوم وقوع العدوان والتي جاء فيها : " "لقد قام الاتحاد السوفياتي من جانبه بخطوات كثيرة من اجل درء التطور الخطر للاحداث حول ليبيا والى جانب الدعم المعنوى والسياسي والعسكرى الذى ابديناه لصديقتنا ليبيا وكذلك اتخاذ التدابير الاخرى في هذا الاتجاه والمعروفة لديكم جيدا فاننا وجهنا الى الادارة الامريكية اكثر من مرة تحذيرات جدية بصدد العواقب الخطرة لاستمرار سياستها المعادية لليبيا ليس بالنسبة للوضع في منطقة البحر الابيض فقط ، بل وبالنسبة للوضع الدولي كله " .

وقال القائد السوفييتي في الرسالة كذلك ..." بودنا تثبيت ان الاتحاد السوفياتي يعتزم بالمستقبل ايضا وبثبات تنفيذ التزاماته في مجال التعزيز اللاحق للقدرة الدفاعية لليبيا وهذا كما تدرك يتسم باهمية خاصة بالنسبة لبلادكم في الوضع الناشيء الان .

واذا كان الحزم والوضوح يطبع كل كلمة في هذه الرسالة الهامـة فالعبـارة الاخيرة ذات مغزى عميق الدلالة ولا تترك مجالا للشك بأن اى بلد مهماكان حجمهاوامكانيات ،اذاحزم امره على صد العدوان الامبريالي فسيلقى الدعم الفعال الذى يمكنه من ذلك .

في ضوء ذلك يمكن الاستنتاج بثقة، بامكانية التصدى الناجح لمذهب الكونية الجديد واحباطه في مهده ، بتعزيز القدرات الدفاعية للبلد المعني بالاستناد الى دعم ومساندة الاتحاد السوفياتي وبلدان المنظومة

Digitized by Birzeit University Library

الاشتراكية وبتأليب الرأى العام العالمي لادانة العدوان وعزله سياسيا، وبمعنى آخر بتحقيق التجنيد والتنسيق الملائم بين الامكانات والطاقات الوطنية والاممية المتاحة يمكن التصدى بنجاح لاى عدوان تباشره ادارة ريغان سواء بيديها مباشرة او عبر حلفائها، بل وحتى امكانية منع وقوعه .

لكن لا بد من الاشارة، بصدد العدوان الامريكي على ليبيا، الى الخلل الواضح الذى بدا في الموقف العربي الرسمي المشترك والذى بلغ حد عدم عقد لقاء قمة عربية لاعلان ولو موقف لفظي موحد من هذا العدوان السافر والخطير على بلد عربي شقيق .

لكن يبدو واضحا من هذا العجز العربي الرسمي الفاضح ان العديد من انظمة الرجعية واليمين العربي لا ترى، من منطلقات طبقية ضيقة، في العدوان الامريكي سابقة بالغة الخطورة حتى على الاستقلال السياسي لمجموع البلدان العربية. لكن هذا الموقف هو الحصيلة المنطقية لعملية التطور على الطريق الرأسمالي التي تسارعت وتيرتها بقوة خلال العقد الماضي، والتي دفعت الى قمة هرم السلطة، في العديد من البلدان العربية بشرائح كوزموبوليتية (لاوطنية) وبخاصة شرائح الكمبرادور(وكلاء الاحتكارات والشركات الاجنبية) نتيجة لخصوصيةهذا التطور، الذى افرزه مجتمعات استهلاكية في الاساس، وليس انتاجية. وغني عن القول بأن هذه الشرائحالتي تشعر بالغربة عن قضايا وطنها لا يمكن ان تشعر بأى واجب قومي تجاه بلد عربي شقيق، ويمكن الاعتقاد بأنه لدى اختيار ليبيا هدفا للعدوان، فقد كان ادراك هذه الحالة العربية السائدة الان في حسابات المعتدين الامريكيين .

الا ان الوجه التحررى للشعوب العربية قد عبرت عنه دولها المعادية للامبريالية والتي هي بمجموعها هدف للمعتدين الامريكيين، وعبرت عنه المظاهرات واشكال الادانة الاخرى للعدوان الامريكي التي اخترقت جدار الارهاب السميك، كما جرى في الاردن وتونس وغيرهما وهو الطريق الذى لا بديل عنه لاستعادة قوة وزخم التضامن العربي، الى مستوياته وتأثيره فيالخمسينات والستينات، وبآفاق اكثر جذرية واستمرارية .

المراجـــــع :

١) من بيان الحزب الشيوعي الامريكي حول العدوان الامريكي على ليبيا تحت عنوان " ازمـــة السلام ومذهب ريغان " ايار ١٩٨٦.

٢) انترناشيونال هيرالد تريبون ١٩٨٦/٤/٢٨.

٣) صحيفة الاتحاد اليومية، الناطقة بلسان الحزب الشيوعي الاسرائيلي بتاريخ ١٩٨٦/٤/١٨.

٤) حتى عام ١٩٨٢، كانت الولايات المتحدة اكبر دائن في العالم بأرصدة خارجية تبلغ ١٥١ مليار دولار. واصبحت مدينة في نهاية ١٩٨٥ اكبر مدين (انترناشيونال هيرالد تريبون ١٩٨٦/٥/٢٠

٥) صحيفة الاتحاد ، لسان حال الحزب الشيوعي الاسرائيلي ٨ ايار ١٩٨٦ .

٦) الاتحـاد ١٦ / ٥ / ١٩٨٦.

٧) صحيفة تشرين السورية بتاريخ ١٩٨٦/٥/١١ .

٨) مجلة الشرق الاوسط التي تصدر في لندن بالانجليزية عدد ايار ١٩٨٦.

Digitized by Birzeit University Library

مشروع تحسين شروط المعيشة
الدوافع والابعاد

بقلم : د. سمير عبدالله

١ ـ نشأة و " مشروع تحسين ظروف المعيشة ".

تسربت الانباء عن نشاط مجموعة رجال الاعمال الامريكيين في النصف الثاني من عام ١٩٨٤. وكشف النقاب عن ان هذه المجموعة كانت قد بدأت نشاطها الموجه نحو المناطق المحتلة بشكل سرى منذ اوائل العام المذكور.

برزت هذه المجموعة تحت اسماء متعددة " كالجمعية الامريكية من اجل السلام في الشرق الاوسط " و" جمعية رجال الاعمال لشؤون التطوير والسلام" وغيرها من الاسماء البراقة. وتضم هذه المجموعة نخبة من كبار رجال الاعمال اليهود والعرب الامريكيين (١) ويرئسها البرفسور ستيف كوهين . وهو يهودى واستاذ في جامعة كوينز في نيويورك ، ويتبوأ فيها مراكز هامة العديد من الشخصيات الصهيونية القيادية مثل حلوارد سكادرون وفيليب كلوزنك الذى شغل منصب رئيس المؤتمر اليهودى العالمي. اما الشخصيات الاعضاء من اصل عربي فيأتي في مقدمتهم نجيب حلبي صهر الملك حسين ، والد الملكة الحالية نور، والخاشقجي رجل الاعمال السعودى المعروف والذى ذكر انه زار اسرائيل سرا ..

وتتردد احيانا اسماء بعض كبار الساسة الامريكيين بين اعضاء هذه المجموعة كسايروس فانس وفيليب حبيب وغيرهم .

ارتبطت هذه المجموعة بشكل وثيق بجورج شولتز وزير الخارجية الامريكية الذى دأب في تصريحاته على التركيز على موضوعة تحسين مستوى معيشة المواطنين في الضفة الغربية وقطاع غزة مغفلا بشكل كلي جوهر قضية الشعب الفلسطيني وقد ورد في احد التقارير (٢) ان المجموعة الامريكية تتحرك بتنسيق تام مع مكتب جورج شولتز ، وبصورة خاصة مع مكتب نائبه ويليام كيربي الذى عرف عنه كمهندس لبرنامج توطين الفلسطينيين في الولايات المتحدة الامريكية وكندا .

خمد الحديث عن المشروع خلال عام ١٩٨٥، ويبدو ان اصحابه فضلوا الانتظار واعطاء فرصة لاتفاق حسين ـ عرفات المعروف باتفاق ١١ شباط الا ان الحديث عاد من جديد بعد خطاب الملك حسين الذى جمد فيه التنسيق السياسي مع قيادة منظمة التحرير

Digitized by Birzeit University Library

الرسمية وقيام منسق سلطات الاحتلال في المناطق المحتلة غورون بجولة اوروبية وفي جعبته قائمة مشاريع لم يكشف النقاب عنها بقيمة نصف مليار دولار قبل بضعة اشهر . كما كشف رئيس وزراء اسرائيل بيرس عن مشروع "مارشال" الشرق الاوسط اوبيرس – خليل (نسبة الى مصطفى خليل رؤئيس وزراء مصر الذي يقوم على اساس تزاوج الرأس المال العالمي والتكنولوجيا الاسرائيلية (لتطوير) منطقة الشرق الاوسط باسرها . ويبدو ان هذا المشروع كان محور مداولات لاطراف عديدة في المنطقة وخصوصا الدوائر الحاكمة في مصر بالاضافة الى الدوائر الحاكمة في اسرائيل .

٢ – خلفية نشوء " مشروع تحسين لروف ظـروف المعيشـــة " .

بتوضيح خلفية نشوء المشروع لا بد من العودة الى الظروف والتغيرات التي واكبت ظهوره والتي يمكن تلخيصها في :

أولا : خروج منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت واتجاه قيادتها الرسمية نحو التماثل مع النهج الرجعي العربي الذي برز في التعاطي مع مشاريع التسوية الامريكية للقضية الفلسطينية والتعاون مع نظام كامب ديفيد في مصر والتنسيق مع النظام الاردني . وقد واكب هذا حالة من الانقسام والتناحر في الساحة الفلسطينية .

لقد افرز هذا الوضع حالة من الاحباط في الشارع الفلسطيني . وجدت فيها الاوساط الامبريالية فرصة سانحة للاجهاز على اهداف الشعب الفلسطيني ومكتسباته المعنوية التي حققها عبر كفاحه الطويل وتضحياته الجسام .

ثانيـا : برز في هذه الاثناء عاملين هامين اديا الى تردى الاوضاع الاقتصادية في المناطق المحتلة الاول وهو الهبوط الاقتصادي في الدول العربية وخاصة النفطية بسبب هبوط اسعار النفط وحرب الخليج والذي برز في انخفاض تحويلات العاملين الفلسطينيين في الخارج وتقلص دعم المناطق المحتلة وتقلص فرص العمل وتسويق منتجات المناطق المحتلة في الاسواق العربية والثاني وهو الازمة الاقتصادية الحادة في اسرائيل التي اثرت تأثيرا سيئا على الاوضاع الاقتصادية في المناطق الحتلة لفقد الوف العمال العرب لاعمالهم وتقليص تسويق بعض منتجات الضفة في السوق الاسرائيلي وخاصة مواد البناء .

اثار تردى الاوضاع الاقتصادية في المناطق المحتلة مخاوف ، من ان يؤدى الى تصاعد المقاومة الوطنية للاحتلال ، الامر الذى اقلق بعض الاوساط الامريكية الاسرائيلية . ورأت بعض الاوساط المحلية انه سيؤدى الى " "التطرف السياسي" ، وحاولت استخدام هذه المقولة للتشجيع على حل المشكلات الاقتصادية للمناطق المحتلة .

٤– افـول نجم الليكود وتزايد التكهنات حول نجاح حزب العمل في الانتخابات ولهذا بالطبع اهمية بالغة كون الاخير من انصار الخيار الاردني .

ويبدى بعض المرونة في مسائل التسوية السياسية ذات الابعاد التكتيكية بعكس الليكود الذى تميزت سياسته الاقتصادية بالفجاجة .

ان هذه العوامل : انقسام منظمة التحرير ، تردى الاوضاع الاقتصادية في المناطق المحتلة ، والاحتمالات شبة المؤكدة لقدوم حزب العمل للسلطة في اسرائيل كانت

Digitized by Birzeit University Library

لبروز مشروع رجال الاعمال الامريكيين.

حفزت هذه المتغيرات القوى الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية على تشديد هجومها، الذى برز بوجه خاص في الجبهة الدبلوماسية وتجلى في طرح مشروع ريغان والزيارات المكوكية لرجالات وزارة الخارجية الامريكية للمنطقة. الا ان هذه الاطراف ادركت منذ البداية ان غزو لبنان وخروج منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت وما تبعها من تناحر في الساحة الفلسطينية لم يغير من الاتجاهات السياسية في المناطق المحتلة، حيث ظل الالتفاف حول منظمة التحرير والتمسك بالاهداف الوطنية الفلسطينية الوجه الحقيقي المميز لهذه الاتجاهات، وبذا فقد ايقنت اطراف التآمر ان بالامكان اقتناص فرصة تردى الاوضاع الاقتصادية في المناطق المحتلة لتغيير هذه الاتجاهات.

من هنا يمكن النظر لمشروع رجال الاعمال الامريكيين على انه اتى لتحقيق ما عجزت عن تحقيقه بنادق الغزاة الاسرائيليين في لبنان ان هذا بالضبط ما عبر عنه اصحاب مشروع "تحسين شروط المعيشة" بعظمة لسانهم".

٣ ـ اهـــداف المشروع كما اوضحهـــا اصحابهـــا

اوضح رئيس المجموعة البرفسور ستيف كوهين في مقابلة مع صحيفة معاريف" ان القاسم المشترك بين اعضاء المجموعة، بمن فيهم الاعضاء العرب، هو امن اسرائيل، ولهذا السبب نحن بحاجة لموافقة الحكومة الاسرائيلية، وسوف نعمل معها لتحقيق كل مشـــروع "(٣).

ونقلت صحيفة هآرتس في عددها الصادر في ١٩٨٤/١٠/٢٥ عن احد اعضاء المجموعة الامريكية قوله " ان المجموعة تسعى الى اضافة قاعدة اقتصادية لتكون مثابة " جسر لعملية سياسية "(٤).

وكتب الصحافي يهودا ليطاني، في هآرتس ان المبادرين للمشروع" اوضحوا لكافة الذين اجروا معهم اتصالات، بأن البنية الاقتصادية الحالية في الضفة الغربية وقطاع غزة ليست صحية، سواء بالنسبة للفلسطينيين او الاسرائيليين .. اذ ستؤدى البطالة في اوساط العرب الناجمة عن تدهور الاوضاع الاقتصادية في اسرائيل الى تدهور الاوضاع الامنية، والى الحاق اضرار بأمن اسرائيل"(٥)

وفي مقالة حول الموضوع كتب الصحفي الاسرائيلي عوديد ثمرنوت ان " الفكرة الاساسية التي تولدت كانت: انه عن طريق ايجاد توازن اقتصادى في الضفة يمكن تشجيع نشوء قيادة محلية ... اضعاف تأثير منظمة التحرير، وتقوية الاوساط المؤيدة للاردن"(٦)

وعلى ذمة صحيفة هآرتس فان مجموعة رجال الاعمال الامريكين ترى ان الحل السياسي للمناطق المحتلة يمكن تحقيقه بواسطة تحويلها الى مناطق منزوعة السلاح تحت اشراف قوات متعددة الجنسيات. واشارت الصحيفة الى ان هذا الحل يحظى بموافقة رسمية امريكية واردنية، بينما يلتزم الجانب الاسرائيلي الصمت (٧).

٤ ـ اراء الشخصيات التي اطلعت عـــن كثـــب على المشـــروع :

قامت مجموعة رجال الاعمال الامريكية بمشاورات مع العديد من الشخصيات

Digitized by Birzeit University Library

الفلسطينية في المناطق المحتلة لترويج مشروعها . وقامت جدعونة هذه الشخصيات للولايات التحدة الامريكية . وتباينت اراء ومواقف الشخصيات الفلسطينية من المشروع ومنهم من حدد بدقة طبيعة المشروع ورفضه ومنهم من رأى فيه فرصة يمكن استثمارها لحل بعض المعضلات الاقتصادية في المناطق المحتلة

فان الدكتور صلاح البسطامي، نقيب الاطباء في الضفة الغربية على سبيل المثال قال فوجئت بان هدفهم السياسي (اى هدف مجموعة رجال الاعمال الامريكيين) ليس في مصلحة سكان الضفة والقطاع (واضاف" اذا دعيت مرة اخرى لن اذهب، واذا حضروا لن استقبلهم لاني اعتقد ان لهم اهدافا سياسية مشبوهة"(٨) وقال السيد ابراهيم عبد الهادى" بالطبع نحن نطمح لاقامة الدولة الفلسطينية، ولكن هذه المشاريع لا تأخذ هذا المنحـــى "(٩).

وعلى خلفية مشاركته في المشاورات مع مجموعة رجال الاعمال الامريكيين، كتب الدكتور هشام عورتاني : "حاولنا ان نفهم الاطراف الاخرى، وبالاخص بعض الزعماء اليهود الامريكيين، بأننا لن نكون الجبهة الوحيدة التي ستقاسي من المرارة والحقد الذى يتراكم في نفوس الالاف من الشباب، والذين كانوا مفعمين بالامل بمستقبل عملوا من اجله كثيرا. ثم لم يجدوا امامهم سوى التسكع امام الابواب المغلقة، هل نحن بحاجة الى خيال جامح لكي تفهم امريكا واسرائيل والدول العربية النفطية بأن بطالة الخريجين ستكون قنبلة موقوتة قد تتطاير شظاياها في كـــل اتجـــاه "(١٠).

نستميح القارى العذر على الاقتباسات المطولة، ولكن الهدف هو المزيد من الايضاح من جهة، وحتى لا نتهم باستخدام طريقة ولا نقربوا الصلاة.....

يلاحظ من استقراء اقوال اصحاب المشروع والذين اطلعوا عليه العناصر البارزة التالية :

١) القلق على امن اسرائيل من التردى الاقتصادى في المناطق المحتلـة .

٢) عدم ملائمة الاتجاهات السياسية في المناطق المحتلة للحل الامريكي .

وبذا فان اهداف المشروع ذات بعديـــن مترابطين، الاول ويتلخص في الحؤول دون تصاعد المقاومة الفلسطينية في المناطق المحتلة والثاني ويتلخص في خلق الاتجاهات السياسيـة الموالية للحل الامريكي فيها .

اسرار الموافقـة الاسرائيلية علـى المشـروع

أ ـ الجانـب الاستراتيجـي في سياســة سلطـات الاحتـــلال .

ارتكز المشروع الصهيوني في فلسطين منذ نشأته وحتى الان على سياسة احتلال الارض واحتلال العمل، وهذا يعني عمليا سلب الشعب الفلسطيني شروط حياته المستقلة والمستقرة .

ان تطبيق سياسة احتلال الارض والعمل طبقت وما تزال تطبق بشكل دؤوب، بالرغم من اختلاف الاشكال والاساليب من مكان لاخر ومن وقت لاخر . اذ ان الظروف المتغيرة وتوازن القوى على الصعيدين المحلي والدولي لم تكن مواتية دائما لتطبيق هذه السياسة بصورة فجة ومباشرة .

Digitized by Birzeit University Library

ان الخلاصة التي يمكن الخروج بها من ذلك ان المشروع الصهيوني اصطدم ولا يزال مع كافة طبقات وفئات الشعب الفلسطيني ،وهذا ادى عمليا الى اتساع الجبهة المناهضه للاحتلال .

ظهر هذا بشكل واضح في عجز سلطات الاحتلال عن شق وحدة الشعب الفلسطيني كما فعل المستعمرون في معظم الدول التي استعمروها . حيث جرى كسب طبقات وشرائح اجتماعية شكلت قاعدة اجتماعية للمستعمرين او مشاركتهم في تنفيذ اهدافهم . وشكلوا بمساعدتها الاجهزة والجيوش التي حاربت جنبا الى جنب مع جيوش المستعمرين والقوى الوطنية التحررية .

تحاول سلطات الاحتلال استغلال الطائفية الدينية والقبلية للخروج من هذا المأزق ، واذا كانت قد نجحت في بعض الاوقات ، فهي لم تتمكن من ذلك في الضفة الغربية وقطاع غزة ، وحاولت بواسطة روابط القرى التي اقامتها تحت شعارات براقة كتطوير القرى وتقديم الخدمات وما شابه ولكنها فشلت ، حيث بقيت هذه الروابط محدودة ومعزولة ، وبدل ان تشكل قاعدة اجتماعية تساعدهم في تحقيق اهدافهم في المناطق المحتلة تحولت الى عبء ثقيل الامر الذى احمد حماسهم في دعمها .

لقد اكدت تجربة روابط القرى طبيعة الموقع الذى يمكن ان تسمح به لاى فئة او شريحة اجتماعية فلسطينية . ولا شك ان هذا الموقع لا يفي بمتطلبات اى فئة او شريحة اجتماعية تبحث لنفسها عن موقع اقتصادى او اجتماعي مستقل ومحترم .

اذا كان المشروع الصهيوني يتناقض مع تطور القاعدة المادية الاقتصادية للشعب الفلسطيني على ارضه ، وبالتالي لا يعطي لاى فئة او شريحة اجتماعية فلسطينية مكانا اقتصاديا مستقلا ، فما هو سر حماس الساسة الاسرائيلية وخاصة من قادة حزب العمل لمشروع رجال الاعمال الامريكيين وماذا يريدون من " مشروع تحسين مستوى المعيشة" في المناطق المحتلة ؟.

ب ـ المناطق المحتلة (البقرة الحلوب) والجوانب التكتيكية في السياسة الاقتصادية .

يجني الاقتصاد الاسرائيلي مرابح هائلة من المناطق المحتلة من مداخيل متعددة اهمها :ـ

١) تعتبر المناطق المحتلة اكبر مستورد للبضائع الاسرائيلية ، وقد قدرت احصاءات امريكية ان فائض الميزان التجارى بين اسرائيل والمناطق المحتلة يصل الى ٨٠٠ مليون دولار سنويا (١١) .

٢) تقدم المناطق المحتلة يوميا ما يزيد على مليون ساعة عمل رخيصة في اوجه النشاط الاقتصادى المختلفة في داخل اسرائيل . فاجور العمال العرب لا تزيد عن ٤٠ ـ ٦٠/من اجور العمال اليهود . كما يقوم العمال العرب بكافة الاعمال السوداء والشاقة .

٣) يدخل الموازنة الاسرائيلية وموازنات الوزارات المختلفة جزءا هاما من الدخل القومي للمناطق المحتلة وذلك .

ـ ١٥/ من الناتج المحلي الاجمالي كضريبة القيمة المضافة . واذا عرفنا ان مطرح هذه الضريبة يمس نطاق اعادة توزيع الدخل ، فتكون النسبة المقتطعة من الناتج المحلي

Digitized by Birzeit University Library

اعلى من ذلك .

- ١٠ ٪ من اجمالي دخول الافراد كضريبة دخـــل .
- نسبة هامة من اجور العاملين في اسرائيل كمقتطعات مختلفة وقد قدرت بحوالي ٣٠ مليون دولار سنويا خلال الثمانينات (١٢)
- الرسوم المختلفة على رخص البناء والمحاكم ومخالفات السير والغرامات الباهظة التي تفرضها المحاكم العسكرية وغيرهـــا .

٤) دخل الجسور المفتوحة والتي تقدر بمليون دولار يوميا من رسوم التصاريح والجمارك فقط . وكذلك الامر رسوم المطار.

٥) تعتبر المناطق المحتلة جسرا هاما لدخول العملات الصعبة للاقتصاد الاسرائيلي وخصوصا من تحويلات العاملين الفلسطينيين في الخارج .

٦) تعتبر المناطق المحتلة جسرا هاما يصدر المنتجات الاسرائيلية الى العالم العربي، سواء بواسطة تهريب منتجات اسرائيلية خالصة او عبر منتجات المناطق المحتلة. اذ من المعروف ان في كل انتاج في هذه المناطق سواء كان زراعي او صناعي تدخل عناصر اسرائيلية .

في المعطيات السابقة لا نجد مبالغة فيما اورده السيد انور الخطيب في كلمته في افتتاح ندوة البطالة بين الخريجين ان دخل اسرائيل الصافي من المناطق المحتلة يصل الى مليار دولار سنويا ، اما انفاق سلطات الاحتلال في المناطق المحتلة فيظهر هزالته الاحصاءات الرسمية الاسرائيلية ذاتها .

فقد بلغ اجمالي الاستثمارات العامة ((للسلطات الاحتلال والادارات المحلية معا) في الضفة الغربية وقطاع غزة حوالي ٢٤٠ مليون دولار ما بين ١٩٧٧ و ١٩٨٣ ،اى بواقع ٣ر٣٤ مليون دولار سنويا (١٣).

في ممارسهاالسياستها العامة والاقتصادية .يبدو احيانا وكان تناقضا ظاهريا ما بين سعى سلطات الاحتلال لمصادره شروط حياة الشعب الفلسطيني كخط استراتيجي وما بين سعيها لاستغلال مكانة المناطق المحتلة لخدمة الاقتصاد الاسرائيلي بشكل تطبيق لهذه الاستراتيجية .

ولكن المتتبع لسياسة سلطات الاحتلال يستطيع اكتشاف الخطوط الحمراء الممنوع تجاوزها في الممارسة الاقتصادية الفلسطينية. فقد قامت هذه السلطات بتعطيل اى مشروع يقوى من القاعدى المادية لاقتصاد المناطق المحتلة او يشكل منافسة خطرة على الصناعات الاسرائيلية، فعلى سبيل المثال الشروط التعجيزية للموافقة على مصنع الاسمنت في الخليل والبنك في نابلس، وقف مشاريع الاسكان الجماعية، منع تطوير القدرة الانتاجية لشركة كهرباء القدس وكهرباء بلدية نابلس؛منع اية مشروعات لاستغلال المياه للرى وغيرهـــا .

ولكن الى جانب ذلك لم تعارض هذه السلطات قيام بعض الصناعات المتفرقة، وعملت على توجيه عملية التصنيع في اتجاهين رئيسيين الاول باتجاه تأمين احتياجات قطاع البناء الامر الذى ادى الى تضخم صناعات الحجر وبعض مواد البناء الاخرى والثاني باتجاه اقامة بعض الصناعات التقليدية المكلفة كصناعة الملابس . و

وفي الانتاج الزراعي يجرى التحكم في النسبة المحصولية وتوجيهها في ذات الاتجـــاه .

ان سياسة سلطات الاحتلال الاقتصادية

Digitized by Birzeit University Library

توضح لنا مسبقا طبيعة المشروعات التي يمكن ان تسمح بها، وهي تتعامل بثقة مع مشروع رجال الاعمال الامريكيين (رغم تصريحات شارون التي انتقدت المشروع) كونها تمتلك حق الفيتو الذى يمكن ان يستخدم لتعطيل كل مشروع يمس امنها الاقتصادى .

جـ ـ مشروع التطوير وفرصة تفعيل دور المناطق المحتلة في الاقتصاد الاسرائيلي :ـ

ان معرفة الاستراتيجية والتكتيك في السياسة العامة والاقتصادية تجاه المناطق المحتلة تفسر الخلافات التي تبرز احيانا بين قطبي السياسة الاسرائيلية ـ الليكود والمعراخ وقد ظهر هذا ايضا في الموقف من " مشروع تحسين ظروف المعيشة" الذى واجه انتقادات شديدة من الليكود بينما لقي حماسا من قبل المعراخ .

وفي هذا الاطار نورد بعض الافكار التي طرحهـا . افرايم احيرام من كبار محاضرى جامعة تل ابيب، قال . احيرام في معرض حديثه عن مشروع " التطوير " " ان من مصلحة الولايات المتحدة الامريكية ان تسعى الى تطوير الضفة تطويرا اقتصاديا ،لان ذلك يساعد على استيعاب العاملين (في المناطق المحتلة) واعتقد ان اسرائيل يجب ان تستغل هذه الفرصة الى درجة قصوى " (١٤).

وفي معرض تفسيره لكيفية افادة اسرائيل من هذه " الفرصة" يقول" ان على اسرائيل ان تتخلص من بعض الصناعات التي اصبحت عبئا ثقيلا على اقتصادها، وذلك بنقل هذه الصناعات الى الضفة، مما يمكنها من تحرير جزء من القوى العاملة الفنية، ورأس مال ضخم ونقلها الى الصناعات المتطورة " (١٥)

ويورد د. احيرام كمثال على ذلك صناعة النسيج بمختلف انواعها وصناعة الماس . ومن المعروف ان عملية نقل اجزاء من صناعة النسيج الى الضفة تجرى على قدم وساق منذ سنوات وتعمل الان عشرات مصانع الخياطة والملبوسات في طولكرم ونابلس ورام الله وبيت لحم وغيرها من مدن الضفة وقطاع غزة بموجب مقاولات وعقود مع مصانع اسرائيلية .

ويضيف د . احيرام ان عملية تصنيع الضفة وغزة" تفتح امام اسرائيل سوق استيراد بقدرة مئة مليار دولار الى الشرق من الاردن (١٦).

يستخلص من حديث د. احيرام ان على اسرائيل ان تنتهز فرصة مشروع رجال الاعمال الامريكية لارساء دعائم معيشية لعمل يحقق لاسرائيل منافع كبيرة، وذلك بنقل الصناعات المكلفة والتي تشرف على الافلاس او افلست عمليا كمصنع اتا الهائل للمناطق المحتلة . كما يكشف د. احيرام عن مدى اهمية المناطق المحتلة كجسر للتوسع للاسواق العربية . ومن المعروف ان الاستفادة الكاملة من هذا الجسر تستوجب تطبيع للعلاقات مع النظام الاردني.

الموقف الاردني ، فرصة لكسب النقـــوذ :

بالرغم من التزام المسؤولين الاردنيين الصمت تجاه مشروع تحسين مستوى المعيشة " فهناك العديد من المؤشرات التي تشير الى وجود تنسيق مباشر مع حكام اسرائيل، والمشاورات تجرى على قدم وساق وراء

Digitized by Birzeit University Library

الابواب المغلقة. وكل ما نرامي الى مسامعنا ان الاردن يرغب بدور اوسع في تنفيذ "مشروع رجال الاعمال الامريكيين".

ومن القضايا العملية التي تجرى منذ مدة مخططات التنظيم الهيكلي التفصيلي للقرى في الضفة الغربية وقطاع غزة التي تمول بشكل مشترك (مناصفة) من قبل النظام الاردني وسلطات الاحتلال.

وقد برز التنسيق في العديد من اعمال التمهيد للمشروع، وبشكل خاص في حملة تعيين مجالس بلدية جديدة في بعض مدن الضفة الغربية. وفي المشاورات حول بعض المشاريع الهامة كشركة كهرباء القدس.

ان النظام الاردني الذى لم يتوانى عن اقتناص الفرص لاعطاء منظمة التحرير عن المسرح السياسي ينفذ مآربه الان على المكشوف بالتعاون مع حكام اسرائيل. وهو يرى أن مشروع رجال الاعمال الامريكي ومشروع "تحسين مستوى المعيشة" بالتسمية الاسرائيلية فرصة لكسب النفوذ والاعوان في المناطق المحتلة.

ان مشروع "تحسين شروط المعيشة" المطروح من قبل مجموعة رجال الاعمال الامريكيين والذى، لقي تجاوبا وحماسا من سلطات الاحتلال ويلقى دعما واضحا من النظام الاردني يشكل عمليا المدخل الاقتصادى للتسوية على الطريقة الامريكية التي ترتكز على معاهدات كامب ديفيد ومشروع ريغن، والمطلوب من هذا المشروع تحقيق ماعجز عن تحقيقه الغزو الاسرائيلي للبنان ذلك الغزو الذى استهدف قلب توازن القوى نهائيا في المنطقة العربية لصالح الترتيبات الامريكية، وتهميش دور منظمة التحرير الفلسطينية وتعميم كامب ديفيد ليشمل جميع دول الطوق او غالبيتها.

فعلى الصعيد الاقتصادى: مطلوب من هذا المشروع ربط اقتصاد المناطق المحتلة بصورة اوثق بالاقتصاد الاسرائيلي من خلال تقسيم اللعمل يحصل المزيد من الاستغلال والتهميش لاقتصاد المناطق المحتلة. وربط هذا الاقتصاد بالتمويل الامريكي عبر القنوات الاردنية والاسرائيلية. ومن خلال ذلك توسيع نطاق عملية التطبيع الاقتصادى بين الاردن واسرائيل.

اما الابعاد الاجتماعية لهذه العملية فتتلخص في تعميق الطابع الكومبرادورى لكبار البرجوازية من خلال زجهم في مشروعات مشتركة مع راس المال الامريكي في نطاق دور محدد في تقسيم العمل بين المناطق المحتلة والاقتصاد الاسرائيلي على الوجه الذى تحدث عنه د. افرايم احيرام المذكور. ومحاولة تطوير دور هذه الشريحة كوسيط بين الاقتصاد الاسرائيلي والاقتصادات العربية في المستقبل بعد ازاحة العقبات السياسية. وتأهيل هذه الشريحةلدور سياسي مناهض لمنظمة التحرير وبديلا لها.

اما الابعاد السياسيةلهذه العملية فتتلخص في تطبيع العلاقات وتقوية الروابط بالادارة المدنيةالمطروح تطويرها لتتكيف مع المهمات الجديدة بواسطة اعطاء دور اكبر لعناصر محلية فيها. وتقوية دور جماعة الخيار الاردني وتحسين فرص الحل الامريكي الذى يهدف الى تصفية القضية الفلسطينية. ولعل مشروع (مارشال الشرق الاوسط) الذى طرحه بيرس، يكشف عن طبيعة التحرك الاوسع نحو تجسيد موضوعة" الاجماع الاستراتيجي" عمليا في تعاون اوثق بين اسرائيل والانظمة الرجعية العربية.

Digitized by Birzeit University Library

ان مشروع" تحسين شروط المعيشة" او مشروع " التطوير " الذى يحاول استغلال ظروف تردى الاوضاع الاقتصادية في المناطق المحتلة بهدف عمليا الى اغراء البرجوازية الفلسطينية بشكل خاص وخلق الوهم لديها ان المجال مفتوح امامها للتطور والتوسع ومراكمة الارباح من خلال الدور الذى يعدونها به كوسيط في عملية التطبيع بين اسرائيل والنظام الاردني وربما مع الانظمة العربية الرجعيه كلهـــا .

الهوامـــــش :

١) جمعية رجال الاعمال لشؤون التطوير والسلام .
اعضاء .
- ستيف كوهين . يهودى ، استاذ في جامعة كوينز ، نيويورك ـ رئيس هذه الجمعية
- ستيف شالوم ، مصرفي من نيويورك .
- ليستر برادن : شيكاغو ، المدير العام لشركة جنرال داينمكس .
- جي برتسكر : شيكاغو ، صاحب شركة فنادق حياة .
- نجيب حلبي : صهر الملك حسين ، رجل اعمال معروف ويشغل رئيس اللجنة السياسية المنبثقة عن الجمعية .
- روبرت ارنو : روبرت ستانبرغ ـ من رجال الاعمال .
- بيل بارودى / مدير مؤسسة استثمارات في واشنطن ورئيس معهد الدراسات الامريكية .
- هنرى كوفمان خبير اقتصادى .
- الفر موسس ـ واشنطن ـ محامـي .
- ارنولد فورستر : رئيس سابق لجمعية الدفاع عن اليهود في امريكا .
- سايروس فانس : وزير خارجية امريكى سابق .
- فيليب كلوزنك : الرئيس السابق للمؤتمر اليهودى العالمي .
- فيليب حبيب : مبعوث امريكي للشرق الاوسط . من كبار موظفي الخارجية الامريكية .
- هلوارد سكوادرون : من قادة الحركة الصهيونية في امريكا .
- الخاشقجي : ملياردير سعودى من زعماء الجالية اليهودية في الولايات المتحدة .

٢) البيادر السياسي القدس ـ عدد ١٣٥ ١٩٨٥/١/١٢ ص ١٦
٣) العودة ـ القدس، عدد ٥٣ ١٩٨٤ ص ٤٩.
٤) الاتحاد ، حيفا ـ الصادرة بتاريخ ١٩٨٤/١٠/٢٦.
٥) القدس في عددها الصادر في ١٦ / ١٩٨٤/١٢.

Digitized by Birzeit University Library

٦) الميثاق ـ القدس الصادرة في ١٩٨٤/١١/١
٧) الاتحاد ـ حيفا ـ الصادرة ١٩٨٤/١٠/٢٦
٨) العودة ـ القدس ـ عدد ٥٣ ص ٥
٩) العودة ـ عدد ٥٣ ص ٥
١٠) القدس الصادرة في ١٩٨٤/١١/٣
١١) القدس عدد ٦٠٤١ الصادرة ١٩٨٦/٦/٢٣
١٢) الكاتب . عدد ٥٤ تيسير العاروري المقتطفات من اجور عمال المناطق المحتلة العاملين في اسرائيل ٢٤ / تشرين اول ١٩٨٤ ص ٣١
١٣) كتاب الاحصاء السنوي الاسرائيلي ١٩٨٥ .
١٤) البيادر السياسي ـ العدد ١٢٥ الصادر ١٩٨٤/١١/٣ ص ٣١
١٥) البيادر السياسي نفس المرجع السابق ص ٣٢ .
١٦) البيادر السياسي نفس المرجع السابق ص ٣٢

Digitized by Birzeit University Library

خمسون عاماً على اضراب وثورة ١٩٣٦*

بقلم : اميل حبيبي

الاهتمام الذي ابدته جبهة الناصرة الديموقراطية بثورة الـ ١٩٣٦ يستحق الشكر. لكنه يجب ان لا يقتصر على يوم واحد او سنة واحدة. فالاحتفال بهذه الثورة وضعنا، وجها لوجه، امام واقع مذهل هو "اختفاء" تاريخ فلسطين الحديث، منذ الاحتلال البريطاني في العام ١٩١٧ حتى خروجه في العام ١٩٤٨ هذا التاريخ الذي قال عنه مايو فلنر، في محاضرة نشرها في ١٩٦٢/١١/٣٠، انه كان "في غالبية سنوات الانتداب البريطاني، تاريخ كفاح الحركة الوطنية العربية ضد الحكم الاجنبي وركائزه، كفاح وضع الحكم الاجنبي، مرات عديدة، في مأزق".

بيد ان ما تعلمه مدارسنا عن هذا التاريخ هو "يوك". ومنهاج التعليم العربي في اسرائيل "يكتفي" بتدريس تاريخ الحركة الصهيونية. حتى في المناطق المحتلة. علمت مؤخرا، ان المدارس لا تعلم هذا التاريخ لفلذات اكبادنا.

ان هذا التجاهل لهذه الحقبة من تاريخنا ليس صدفة. انما هو جزء من عملية تزييف التاريخ المستمرة. لقد كان علي ان اكتب، مؤخرا، مقالا لاحدى الصحف العبرية حول الكارثة..."، وكيف تدرس عندنا. فراجعت بعض الكتب وقرأت في كتاب الاستاذ جورج سلامة "التاريخ الحديث لشعب اسرائيل الذي يدرس في الصفوف الثواني عشر في اسرائيل : ان "التاريخ" بدأ بـ "فرية دمشق" في القرن التاسع عشر حين قام رهبان فرنسيون باتهام اليهود بقتل خادمهم المسيحي ليصنعوا المصة من دمه !!.

وعلى هذا المنوال جاء الحديث عن مظاهر "اللاسامية" في العالم العربي (؟!) وهو افتراء اكبر. فمن الواضح انه لا يمكن ان

* قدم الكاتب هذه الدراسة في ندوة دعت اليها جبهة الناصرة الديموقراطية، وعقدت في الناصرة ـ يوم ١٧/ ١٩٨٦/٥، في قاعة بيت الصداقة.

Digitized by Birzeit University Library

تكون هناك " لا سامية " في العالم العربي لان العرب انفسهم بكل بساطة، ساميون .

هـــذه الدراســـة

حاولت مراجعة العديد من المصادر لاعداد هذه الدراسة. فالاعتماد على الذاكرة هو امر جانبي هنا. فانا من مواليد ١٩٢١. ولا يمكن محاسبة جيلي على مدى وعيه السياسي الا بدءا من الاربعينات. ففي اضراب وثورة الـ ١٩٣٦ كنا اولاد ١٤ ــ ١٥ عاما .

غير انه تجدر الاشارة الى دور معلمينا في المدرسة الحكومية في حيفا حيث كنت ادرس . فقد اهتموا باشراكنا في الاحداث والمناسبات الوطنية. واذكر يوم اعدام فؤاد حجازي وعطا الزير ومحمد جمجوم كيف اعلنا الاضراب في المدرسة. كما اذكر يوم ١٩٣٥/١١/٢٠ حين اعلنا الاضراب ومشينا في جنازة الشهيد الشيخ عز الدين القسام ورفاقه الاربعة (الذين استشهدوا في ١٩٣٥/١١/١٩).

اما المصادر التي اعتمدها في هذه الدراسة فيمكن تصنيفها الى ثلاثة :

١) المصادر الصهيونية: وقامت، في اساسها ،على الفرية التي قامت عليها المفاهيم الصهيونية كلها : " شعب بلا ارض يعود الى ارض بلا شعب" ١.

وكما هو معروف ان هذه الفرية مستمرة الى يومنا هذا . ويكفي ان نذكر للدلالة على ذلك تساؤل رئيسة حكومة اسرائيل غولدة مئير : "اين هو الشعب الفلسطيني" وتصريح رئيس حكومة آخر هو مناحم بيغن : "انا فلسطيني" (واراد القول ان شعبه هو الفلسطيني ولا شعب فلسطيني غيره)، وتصريح احد الزعماء " المعتدلين" من حزب " العمل" ،يغئال الون : " لو كان الشعب الفلسطيني موجودا لترك وراءه ثقافة". وتصريح رئيس حكومة اخر اسحق رابين: " لا مكان الى ملاقاة الفلسطينيين الا ساحة القتال ".

وحتى حين تشتد مقاومة الشعب الفلسطيني للاحتلال البريطاني ،نرى المؤرخين الصهيونيين وقادتهم اما يحاولون تصوير الامر على انه اعمال " ارهابية " فردية وخصوصا " لا سامية" ضد اليهود لانهم يهود. او ينكرونها جملة وتفصيلا. وقد اورد فقيدنا المؤرخ اميل توما في " جذور القضية الفلسطينية" (ص٢٣٣) " تقويم" دافيد بن غوريون : " لم تكن هناك انتفاضة قومية. . ولم يشارك الشعب العربي او جله في الحوادث. فهو يفتقر الى الارادة والطاقة والقوة لان يثور اقلية ضئيلة تحارب حتى الموت وتستخدم في قتالها اية وسيلة وترتكب ابشع الجرائم ".

٢) مصادر عربية لا تريد ان تبحث او عاجزة عن البحث الشجاع عن اسباب نكبة ١٩٤٨ وبالتالي عن اسباب اضراب وثورة ١٩٣٦. يقينا انني اومن، وهذا ما عبرت عنه بالعديد من كتاباتي، بمبدأ " لاتلوموا الضحية". ويقينا ان نورى السعيد وامثاله اصبحوا، فيما بعد، ضحية. ولكنهم يدخلون في عداد مبدأ " على نفسها جنت براقش". ونرفض ان نشلمهم في عداد الضحية الممنوع لومها . كذلك لا اتجاهل ولا يمكن ان اتجاهل ان السبب الرئيسي في فشل حركة ثورية هو عدو الحركة الثورية نفسه .

بيدان هناك " الموسوعة الفلسطينية " التي صدرت ، مؤخرا في بلادنا. فعلى الرغم من نواقصها فيما يتعلق بثورة ١٩٣٦ باكتفائها

Digitized by Birzeit University Library

بابراز الجهل العسكري لدى قيادات الثورة فانها اوردت مراجعة صادقة وشجاعة لحركة عز الدين القسام .

ومن جهة اخرى تأثرت المصادر العربية ، اعلاه . ولو بشكل غير مباشر، بالنارنج الصهيوني ودلك في تجاهلها امرين : الاول — سياسة " فرق تسد" البريطانية المدبرة وما ادت اليه من احترابات قومية دموية . والثاني هو ان كفاح جماهير الشعب الفلطيني ، في المدينة والقرية . كان في مضمونه وفي توجهه كفاحا ضد الاستعمار البريطاني . اولا وقبل كل شيء .

٣) مصادر عربية منصفة للوقائع ومنتبهة للتزوير الصهيوني . ومنها كتابات جورج انطونيوس ومحمد حسين هيكل وامين سعيد وعيسى السفرى .

لقد تميزت هذه الكتابات بأمرين : الانصاف للوقائع والتنبه للتزوير الصهيوني من جهة ، والجرأة في استخلاص نتائج الفشل

وتتميز منها ، اذا لم اقل الوحيدة ، بحسب معرفتي ، كتابات ودراسات اميل توما . ولا شك انه تتميز في هذا المجال وثائق الكومنترن ودراسات المستشرقين الروس والسوفييـــت .

حركـــة عـز الديـن القســام

ارتأيت ، بعد هذه المقدمة ، ان اقدم وقائع اساسية عن حركة وثورة الشهيد الشيخ عز الدين القسام التي سبقت اضراب وثورة ٣٦ على اعتبار انها المحرك الاساسي لهذه الثورة ولانها استطاعت ان تجلو الوجه الحقيقي والمضمون الحقيقي لحركة الشعب العربي الفلسطيني الوطنية :

ولد الشيخ عز الدين القسام في بلدة "جبلة" السورية جنوبي اللاذقية في العام ١٨٨٢ . تتلمذ على الشيخ محمد عبده في الازهر الشريف . وقاد مظاهرة في قريته ضد العدوان الايطالي على ليبيا . ونعني قيادته هذه المظاهرة انه ، حتى في هذا الزمن المبكر لم يتلوث بأوهام الهاشية الموبوءة . بل كان موضوعيا معاديا لها .

واشترك القسام في ثورة١٩ — ١٩٢٠ السورية مع عمر البيطار . وحكم الفرنسيون عليه بالاعدام فالتجأ الى حيفا في اواخر صيف ١٩٢١ وكان آنذاك في الـ ٣٩ من العمر وبعد ستة اصبح مدرسا في " المدرسة الاسلامية في حيفا واماما لجامع " الاستقلال" في المدينة . ولفت انظار الشباب اليه بمواعظه الاسبوعية التي تحولت الى مدرسة متميزة في الوطنية من حيث — كما جاء في الموسوعة الفلسطينية — " التركيز على الاستعمار البريطاني انه العدو الاساسي واساس البلاء في وقت كانت فيه " القيادة التقليدية" تتجنب الصدام مع بريطانيا وتسعى الى مفاوضتها". كذلك دعا القسام الى الكفاح المسلح ضد الانجليز وعمل على اعداد تنظيم سري ودقيق له .

وربط القسام النضال السياسي بالاجتماعي من مثل مكافحة الامية . وعاش في حيفا العتيقة مع العمال والفلاحين المطرودين من اراضيهم . وكانت تلك فترة انتقال عدد كبير من العمال من مناطق نابلس والجنوب والقدس للعمل في حيفا" فوجدت في حيفا كتلة عامة قوية من العمال وغيرهم كانت في الحقيقة المعين الذى اختار منه القسام المؤهلين

Digitized by Birzeit University Library

للعمل" (الموسوعة ص ٦١٩).

وقد ازداد انتباه السلطات الانتدابية الى وجود القسام . وربما استطاعت ان تدخل بعض الجواسيس الى صفوف حركته. وانتبه الى الامر فقرر، بدوره .البدء بالعمل المسلح قبل انكشافه . وفي ١٢ تشرين الثاني ١٩٣٥ عقد آخر اجتماع لقادة حركته وذلك في بيت محمود سالم المخزومي. وقرر الشروع في الكفاح المسلح. وتوجه وجماعته الى قرية" كفر دان" قضاء جنين .

في ١٩٣٥/١١/١٥ اكتشفت السلطات البريطانية موقعه . فأرسلت قوات كبيرة ودبابات اشتبكت معه قرب قرية " البارد" ثم طوقته ، مع احد عشر رجلا من انصاره، في قرية" الشيخ زايد" في احراش" يعبد" في ١٩٣٥/١١/١٩ واستشهد مع اربعة من انصاره بعد معركة استمرت ست ساعات .

وعلى اثر استشهاد القسام اعلن الاضراب العام في حيفا. وتحولت جنازته ورفاقه في ١٩٣٥/١١/٢٠ الى مظاهرة جماهيرية مهيبة. ودفن في مقبرة " الياجور" قرب" بلد الشيخ"

لقد ادعت الحكومة الانتدابية آنذاك ان القسام ورفاقه ماهم الا " عصبة من الاشقياء" . وهكذا رددت القيادة الصهيونية فيما بعد.. ولا تزال حتى اليوم تطلق هذه الصفة على المقاتلين الفلسطينيين . اماهؤلاء (الاشقياء) فكانوا يتألفون من العمال والفلاحين والباعة ،

اى كادحي الشعب ، وقد اتصل بعض رفاقنا الشيوعيين ،الذين سبقونا ، بالقسام وبحركته وتأثر به المعلمون الوطنيون في زماننا تأثرا كبيـــرا .

ومن الممكن ان نترك للباحثين المنصفين ان يدرسوا المفارقة التاريخية التي جعلت حركةالقسام تنشأ في حيفا وان تنشأ ، في حيفا نفسها فيما بعد ، "عصبة التحرر الوطني في فلسطين" . وقد انضم بعض تلاميذ القسام الى عصبة التحرر الوطني .

هنا اود او اؤكد امرين مميزين لحركة القسام اولا : كانت الحركة مستقله عن "القيادة التقليدية" في ذلك الحين. وثانيا: كانت المساجد والكنائس ودور العلم منابر للحركة الوطنية الناشئة . وليس كما تحاول القوى الرجعية، اليوم ،جعلها منابر لابعاد الناس عن النضال الاساسي ضد العدو الاساسي لقد انتبه القسام وحركته الى هذا الامر واعتبر الكافر ذلك الذى يقف بأى شكل من الاشكال ضد الحركة الوطنية والنضال الوطني . اجل هذا هو الكافر . والمؤمن.. هو فقط ذلك الذى يحض الناس على النضال من اجل حقوق شعبه وشعوب الارض قاطبة وحريتها ضد ظالميها ومضطهديها من المستعمرين وحلفائهم

هل هنالك كلام ينقض هذا الكلام في اى من الكتب السماويـــــة ؟!!.

ثـــورة ١٩٣٦

لم يكن ثورة ١٩٣٦ الاخيرة او الوحيدة في نضال الشعب الفلسطيني. وقد شهدت فلسطين انتفاضات ثورية في الاعوام ١٩٢١ و ١٩٢٩ و ١٩٣٠ . والكفاح المسلح الذى توقف بعد اضراب وثورة ١٩٣٦ عاد واستعر في العام ١٩٣٧ حتى ١٩٣٩.

لكن ثورة الـ ٣٦ كانت فريدة من حيث امـــران :

. الاول : ارتباط الكفاح المسلح في الجبال

Digitized by Birzeit University Library

(القروى الفلاحي) بالاضراب العام في المدن (العمال والبرجوازية الصغيرة).

. والثاني :توجهها المباشر ضد الاحتلال البريطاني ومناداتها باستقلال البلاد. وسأبدأ باستعراض احداث الاضراب والكفاح المسلح في العام ١٩٣٦ . ثم انتقل الى الاسباب .

الاحـــــــداث

كان الدافع المباشر للاضراب قيام عناصر صهيونية باعتيال عاملين عربيين كانا يقيمان في براكية في ضواحي" بيتح تكفا" الحالية فيما كان بقي من قرية " ملبس" العربية، وذلك في ١٩٣٦/٤/١٨ اغتالوهما بدعوى الانتقام لحادث طرق لصوصي عادى على طريق طولكرم ــ نابلس في ١٥ نيسان ١٩٣٦ ذهب ضحيته يهوديان. وقامت مظاهرات في تل ابيب. وجرت اعتداءات على ضواحي يافا

لقد كتب الدكتور يوسف هيكل، رئيس بلدية يافا قبل حرب فلسطين، عن الحادث في كتابه عن " القضية الفلسطينية" قال" ان هذه الحادثة اللصوصية ضد المواطنين اليهوديين ــ أ.ح.) اعتيادية ولا علاقة لها بالسياسة، ومثيلاتها عديدة في جميع البلدان وليس العرب براضين عن مثل هذه العصابات وأضرارها تلحق بجميع سكان فلسطين دون تفريق بين عربي ويهودي. وحادث ١٥ نيسان لم يكن الاول من نوعه. فلو وقفت حوادث ذلك اليوم عند هذا الحد لما انفجرت قنبلة الاضطرابات حينئذ ولما اجتاحت الثورة فلسطين. غير ان اليهود مزجوا بين الاعتداءات الاعتيادية والسياسية فانتقموا بقتل رجلين من العرب الابرياء" (الجذور ص ٢٢٦) .

شـــرارة الاضـــــراب

في ١٩ /٤ اعلنت يافا اضرابا عفويا سرعان ما انضم اليه عمال الميناء. واقيمت اول "لجنة قومية".

× في ٤/٢٠ ــ اجتماع ضخم لنابلس وقراها اقام " لجنة قومية" فنشأت " اللجان القومية" في جميع انحاء البلاد.

× في ٤/٢١ اللجان القومية تعلن الاضراب العام والتوقف عن دفع الضرائب .

× في ٤/ ٢٥ تألفت " اللجنة العربية العليا برياسة المفتي الحاج امين الحسيني وامانة السر لعوني عبدالهادى .

× في ٥/٧ عقد في القدس "مؤتمر اللجان القومية" وفي الوقت نفسه نشب الكفاح المسلح وكان للشمال دور الصدارة في بدئه وفي معاركه الهامة .

× الاضراب والكفاح المسلح بلغا الاوج في شهر آب .

كان المسلحون يتجولون في نابلس بحرية . واحتلوا البلدة القديمة من القدس. والعديد من القرى كان محررا. فالتجأت سلطات الاحتلال البريطاني الى اشد القمع. وحشدت (٧٠) الف جندى بريطاني (نصف قوات الامبراطورية في ذلك الوقت!) بالاضافة الى (٤٠) الفا من رجال " الشرطة النظامية" و"الاضافية"و" قوة حدود" شرق الاردن وحرس المستعمرات اليهودية .

بيد ان اشد اساليب التنكيل كانت تمنى بالفشل اثر الفشل. واضطرت حكومة الاحتلال

Digitized by Birzeit University Library

الى تغيير جنرالاتها الذين تولوا مسؤولية الحكم في البلاد. فسحبت الجنرال "ديل" وعينت محله الجنرال "ويفل"، قائد القوات الامبراطورية كلها . ثم سحبته وعينت الجنرال "رينتي". ثم الجنرال "مكميلان". وعينوا حاكما للواء الجليل احد غلاة الاستعماريين المعروف بعنصريته الشديدة، "لويس اندروز"، فقتله المجاهدون في مدينة الناصرة في ١٩٣٧/٩/٢٦.

لقد اعتقلت سلطات الاحتلال معظم اعضاء اللجان القومية و (٨١٩) من رجال الدين والقضاء والاطباء والمحامين والصيادلة والصحفيين ونفت العديد من القادة الى "سيشل" . وعلقت العشرات على اعواد المشانق. وتحدث نقيدنا المحامي حنا نقارة في كتاب مذكراته عن حادث اربعة شبان من "سيلة الظهر" ضبط الانجليز تحت مقعدهم في سيارة تاكسي مسدسا. فحكموا عليهم بالاعدام. واعدموهم فعلا. و"نفذ الحكم في سجن عكا شنقا" (ص٩٥).

واستشهد في الثورة (٧٢٧) ثائرا وجرح (١٧٢٤). ومن البريطانيين قتل (٨٦) وجرح (٣٩٣). ومن اليهود قتل (٣٣٥) وجرح (٧٥٩). وبلغ عدد المعتقلين (العرب طبعا) ما يزيد على (٤٥٠٠). وهذا عدا عن تمشيط ونسف البيوت والقرى .

ويقول عيسى السفرى: " كانت السلطة. حين تشتبه بقرية ما، تأمر حالا بذهاب قوة كبيرة من الجند والبوليس بدباباتها ومدافعها الرشاشة وكامل اسلحتها الى تلك القرية فتطوقها من جميع جهاتها . ويدخل فريق من الجند الى القرية. يطرقون ابوابها باعقاب بنادقهم بشدة ويأمرون مختارها بعزل النساء عن الرجال ومن ثم يأخذ الجنود بتفتيش بيوت القرية بين فرع النساء وعويل الاطفال. فيعثرون محتوياتها ويحطمون آنيتها المملوءة بالسمن والزيت والحبوب ومختلف انواع الاغذية . وبانتهاء التفتيش يطلق الجند المدافع في الفضاء ارهابا" فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية "ص ٨٥ – " "الجذور" ص ٢٣٨) .وجاء ايضا" الجذور" ص٢٣٨) ان " الغرامات الجماعية ونسف البيوت تمت لمجرد صدور طلقات فيها او بقربها . وكانوا يهاجمون القرى ويضربونها بالرصاص بدون تمييز ".

وفي تلك الفترة جرى نسف البلدة القديمة في يافا بحجة " تجميل المدينة"!! وما اشبه الحاضر بالماضي. فكما يفعلون اليوم في يافا فعل المستعمرون انذاك في ١٩٣٦/٦/١٦ اعلن الاحتلال عن العملية. وفي ٦/١٨ بدأ في تنفيذها. وانتهت في ١٩٣٦/٦/٣٠. وبسجل التاريخ ان عملية النسف تمت بسرعة لمنع المحكمة العليا من التدخل – هكذا اعترف الجنرال "بيرس" نفسه. وتركت هذه العملية عشرة الاف شخص بلا مأوى عدا عن اصابة المساجد والكنائس وتهدم بعضها!!.

انتهـــاء الاضـــراب

لم ينته الاضراب اثر نجاح الاستعمار في قمعه واثر تراجع الشعب الفلسطيني عن كفاحه انما انتهى على اثر " النداء " الذى اصدره الملوك والامراء العرب: عبد العزيز ال سعود (السعودية)" (وغازى (العراق) ويحيى حميد الدين (اليمن) وعبدالله (شرق الاردن). ومضمون هذه الدعوة: " الاخلاد الى السكينة

Digitized by Birzeit University Library

حقنا للدماء ومعتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل ".

وقد لبت "الهيئة العربية العليا" النداء وتوجهت "بدعوة الامة العربية الكريمة في فلسطين للاخلاد للسكينة وانهاء الاضراب والاضطرابات ابتداء من ١٢تشرين الاول ١٩٣٦"

وهكذا استمر الاضراب والكفاح المسلح (١٧٦) يوما من ١٩/٤/١٩٣٦ الى ١٢/١٠/٣٦

اسبـــاب الثـــورة وفشلهـــا

يمكن تصنيف اسباب الثورة والاضراب الى صنفين :خارجية وداخلية.

الخارجية :

× النهوض القومي في مصر وفي سوريا في عامي ٣٥و١٩٣٦ فقد شهدت مصر انتفاضة في تشرين الثاني ١٩٣٥ واضرابا عاما في القاهرة في ٢١ منه (١٩٣٥/١١/٢١) وقيام جبهة وطنية في ١٠ كانون الاول ١٩٣٥ مما اضطر بريطانيا الى الوعد بانهاء احتلالها العسكرى وانضمام مصر الى عصبة الامم اما في سوريا فانطلقت مظاهرة تاريخية في ١٩/١/١٩٣٦ تبعها الاضراب العام في اليوم التالي واستمر (٥٠) يوما (من ١٩٣٦/١/٢٠ وحتى مطلع آذار منه) مما اضطر الاحتلال الفرنسي الى الوعد باعادة الحياة النيابية .

× كذلك هناك الوضع الدولي المتقدم وقيام الجبهات الشعبية خصوصا في فرنسا وتعاظم الكفاح ضد الفاشية (اسبانيا) وتعاظم دور الحزب الشيوعي البريطاني (والفلسطيني ايضـــا ...).

الاسباب الداخليـــة :ـ

× اشتداد البطالة والاستيلاء الصهيوني على الارض وطرد الفلاحين من اراضيهم ("وادى الحوارث" وغيره).

× تعاظم الهجرة الصهيونية الى فلسطين منذ وصول هتلر الى الحكم في العام ٣٤ ـ ١٩٣٥. حتى وصلت ارقام الهجرة في عام واحد الى حوالي (٧٠) الفا (٦١٨٥٤ في العام ١٩٣٥ بالتحديد).

× ثورة عز الدين القسام التي سبق ذكرها.

أسبـــاب الفشـــل

لا ننكر ان من اسباب الفشل كان الوضع الدولي الذي تميز، ايضا، بصعود الفاشية. ولكن السبب الاساسي للفشل يكمن في الخنجر العربي الرجعي من الخلف .

وقد تمثل هذا الخنجر في نداء الملوك العرب واستجابة القيادة القومية التقليدية وفي البلبلة والضياع اللذين خلقتهما الرجعية في صفوف الشعب وفي الارهاب الداخلي والانتقال الى محاربة عوارض الداء لا اساسه : اى السماسرة والجواسيس وفي الملكية الاقطاعية التي ارادت خدمة مصالحها الانانية المتناقضة مع مصلحة الشعب كما ساهم في ذلك خروج القيادة من البـــلاد.

الـــــدروس

× اننا اذ نراجع تاريخنا في ثورة ١٩٣٦ لا بد وان نعيد ايضا جذور نكبة ١٩٤٨ الكبرى الى الطعنة في الظهر التي وجهت الى اضراب وثورة ٣٦. فقد تكررت الظاهرة. والدرس

Digitized by Birzeit University Library

الاول هو ان يمنع تكرارها في المستقبل .

× لقد تميزت البرجوازية الفلسطينية بالضعف وعدم القدره على قيادة الكفاح الوطني في اوضاع فلسطين وذلك بالنقيض عن البرجوازية الجزائرية مثلا .

× ما كان من الممكن اعادة الحياة الى الحركة الوطنية الفلسطينية الا عبر القوى التقدمية وبمشاركة فعالة من الطبقة العاملة .

× الشيوعيون اخطأوا الحساب والتصرف ، احيانا ولكن خطأهم لم يكن في انهم لم يقودوا الكفاح المسلح ولا في انهم التهوا في محاولة كسب الجماهير اليهودية . ففي هذا الزعم اجحاف كبير بحقهم . انما خطأهم يكمن في التسليم بواقع القيادة القومية وعدم مجابهتها بالبديل الثوري المنظم . لكن يسجل لصالحهم انهم ، اى الشيوعيين . كانوا الوحيدين الذين اعترفوا بأخطائهم وتعلموا منها .

× الحركة الصهيونية كانت موجة اوروبية استيطانية بالاضافة الى انها اقتلاعية ، بفضل مواقف الرجعيات العربية الحاكمة . وقد افلحت في انشاء اقلية قومية الى جانب الشعب الفلسطيني هي الاقلية اليهودية التي ازدادت بشكل كبير في سنوات صعود هتلر . وبينما كانت نسبة اليهود (٩ر١٢٪) من المجموع العام في سنة ١٩٢٢ بلغت في العام ١٩٣١ حوالي (١٨٪) وفي العام ١٩٤٦ قفزت الى (٣٢ر٩٦٪) .

اننا من جهتنا تعلمنا ونتعلم الدروس . وجدير بحكام اسرائيل ان يتعلموا الدروس ايضا . انهم يجنون على انفسهم وشعبهم اذا استمروا في التشبّث بالغزوات الصليبية في القرون ١١ — ١٣ .

وجدير بهم ان يعودوا الى دراسة تاريخ الغزوات الصليبية وممارساتها . اول هجماتها كان عبر وضد مسيحيي الامبراطورية البيزانطية في اسيا الصغرى . ما كانوا يفرقون بين طوائف اهل البلاد . بل كانوا يقتلون المسلمين والمسيحيين واليهود دون تفرقة . فماذا كانت النتيجـــة ؟ .

في اواخر الحملات الصليبية . في العام ١١٩٥ وقد بدأت تترنح ، غنّى شاعر جوال كان مشاركا في الغزوات الصليبية :

" من صلاح الدين شبعنا
ارض الوطن عزيزة على الناس"

وغنّى آخـــر :

"آنت ساعتنـا
عسكر بعد عسكـر
لنغادر الارض المقدســة " .

Digitized by Birzeit University Library

الطبقة العاملة الفلسطينية
والحركة النقابية في الضفة والقطاع

العاملون وراء الخط الأخضر

بقلم : محمود الشيخ

الجزء الاول

تبحث هذه الدراسة ظروف العمال العرب العالمين وراء الخط الاخضر . من حيث حجم العمالة واسباب تصاعدها . بين الفيئة والاخرى ، وتوزعهم على قطاعات العمل المختلفة. مع خصائص وظروف عمال كل قطاع من هذه القطاعات . وظروف تشغيلهم . وسياسة الاجور . مع ظروف العمل نقابيا بين صفوفهم ، والصعاب التي تواجهه واوجه قصور الحركة النقابية تجاههم . كما تشمل اقتراحات مقدمة للحركة النقابية من اجل تجاوز الصعاب والعقبات ،وتغطية عوامل القصور الموجودة فيها .

تطور حجم العمالة العربية في اسرائيل :

يشكل عمال ما وراء الخط الاخضر نسبة عالية من مجموع العاملين بأجر في المناطق المحتلة ، اثر تزايد عدد العاملين وبوتائر سريعة من سنة الى اخرى ، فقد ارتفع العدد من ٢٠ر٦ الف عام ١٩٧٠ الى ٩٠ر٠٠٠ عام ١٩٨٤ ، مما يعني تضاعفها اربع مرات ونصف تقريبا . ويمكننا ملاحظة تصاعد حجم العاملين بأجر في اسرائيل من خلال تتبع السنوات ففي عام ١٩٧٠ عمل ٢٠ر٦ الف عامل ارتفع الى ٦٦ر٣ الف عامل ١٩٧٥ الى ٨٧ر٨ الف عام ١٩٨٣ و ٩٠ر٠٠ عام ١٩٨٤ ، اي ان العدد ارتفع بنسبة ٣٣٧٪ تقريبا بين عامي ١٩٧٠ و ١٩٨٤ .

Digitized by Birzeit University Library

مصادر العمالة العربية في اسرائيل :

ادت السياسة الاسرائيلية المنتهجة في المناطق المحتلة، الى تخريب شروط حياة الناس، بفصلهم عن شروط عملهم في هذه المناطق ومن اهمها .

١) الاستيطان ومصادرة الاراضي . فقد بلغت نسبة الاراضي المصادرة في الضفة الغربية ٥٢٪ من مساحتها العامة البالغة (٥) ملايين ونصف مليون دونم (١) وفي الوقت نفسه استولت على ما نسبته ٤٢٪ من اراضي قطاع غزة ، وهذا ما يفسر ارتفاع عدد ونسبة العمال من سكان الريف الذين يعملون في اسرائيل من مجموع العاملين فيها .

والجدول التالي يبين صور توطن العمال العاملين في اسرائيل من الضفة والقطاع لسنة ١٩٨١

جـــدول رقم (١)؟

مكان الاقامة	النسبة	العدد بالالاف
ريـــف	٤٦ر٢	٣٢ر٣٨٦
مدينـــة	٢٤ر٨	١٧ر٣٨٥
مخيمـــات	٢٩ر	٢٠ر٣٢٩

يلاحظ من خلال الجدول ان الزيادة التي طرأت على حجم العاطلين بأجر من المناطق المحتلة في اسرائيل هي من اناس اقتلعوا من ارضهم ، ومن فقراء الفلاحين ، وصغار المالكين ، الذين اضطرتهم الظروف الى ترك العمل بالارض وبيع قوة عملهم في سوق العمل الاسرائيلي .

أما بالنسبة لمصدر العاملين في اسرائيل ، فقد بلغت نسبة عمال الضفة الغربية عام ١٩٧٠ حوالي ٩ر٧١٪ بدأت توالي انخفاضها حتى وصلت الى ٥٤ر٨٪ عام ١٩٨٣ . وبالرغم من ذلك بقيت اعلى من نسبة عمال قطاع غزة العاملين في اسرائيل ، يعود اسباب الانخفاض النسبي للعاطلين من الضفة في اسرائيل الى عدة عوامل اهمها . التوسع الاقتصادي الكبير نسبيا في قطاع البناء والصناعة، والخدمات الخاصة، والتجارة بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ بشكل اوسع من قطاع غزة ،كذلك ارتفاع نسبة وحجم المهاجرين الى دول الخليج والامريكتين .

٢) سياسة تخريب الزراعة العربية عبر .

أ) اغراق اسواق المناطق المحتلة بالمنتوجات الزراعية الاسرائيلية المدعومة من الحكومة الاسرائيلية .

Digitized by Birzeit University Library

ب) ضعف البنية الزراعية والاستثمارات الزراعية العربية مع عدم توفر اية مصادر تمويل ودعم المزارع العربي ،وعدم تجاوب السلطات الاردنية مع مطالب المزارعين العرب في استيعاب منتوجاتهم واستخدامها للضغط على اهل المناطق المحتلة من اجل انتزاع تأييد لسياسة نظام عمـــان .

جـ) السيطرة على مصادر المياه وتوجيه استغلالها لغير صالح المزارع العربي .

د) منع تسويق منتوج المناطق المحتلة في الاسواق الاسرائيلية .

٣) ضعف القاعدة الصناعية العربية وعدم قدرتها على استيعاب قوة العمل المزاحة من الزراعة .

٤) فتح المجال واسعا امام عمل الاحداث والنساء . فقد كشفت تقارير منظمة العمل الدولية ان نسبة ٢٠/ من العمال غير المسجلين العاملين في اسرائيل هم من الاطفال ، والبالغة اعمارهم ما بين (١٣ – ١٥) سنة وتبلغ نسبة العمال الذين تبلغ اعمارهم ما بين (١٤ – ٢٤) سنة ٤١ر٥/ (٣) من الذين يعملون في اسرائيل. يكشف هذا ان هناك عددا كبيرا جدا من الاطفال والشباب الصغار . غادروا مقاعد الدراسة وتسربوا الى سوق العمل تحت ضغط الحاجة الاقتصادية . فقد سجل جدول الاسعار في الضفة الغربية ارتفاعا من ١٠٠/ عام ١٩٧٦ الى ١٠٠٦٩ر٠٠ / عام ١٩٨٣ وسجل في قطاع غزة ارتفاعا من ١٠٠/ عام ١٩٧٦ الى ١٠٧٨٤ر٦ / عام ١٩٨٣" نستعرض هذه النسب فقط للتدليل على الظروف التي اجبرت هؤلاء الاطفال على مغادرة مقاعد الدراسة في المرحلة الالزامية من التعليم حسب القانون الاردني المعمول به رسميا في المدارس وهذا انعكاس واضح لموقف سلطات الاحتلال من العملية التربوية في المناطق المحتلة .

بينـة العمالـة العربيـة فـي اسرائيـل :

يعمل العمال العرب العاملين وراء الخط الاخضر من المناطق المحتلة في مختلف القطاعات ويبين لنا ذلك الجدول التالـي :

جـدول رقم (٢)

السنة	حجم العاملين ٪ (بالالاف)	الزراعة ٪	الصناعة ٪	البنـاء ٪	الخدمـات ٪
١٩٧٠	٢٠ر٦	٢٤ر٤	١١ر٦	٥٤ر٣	٩ر٧
١٩٧٥	٦٦ر٣	١٤ر٣	١٨ر٤	٥٤ر٤	١٢ر٩
١٩٨٠	٧٥ر١	١٣ر٧	٢٠ر٩	٤٧ر٤	١٨ر٠
١٩٨٣	٨٧ر٨	١٢ر٢	١٨ر٦	٥٠ر٤	١٨ر٨
١٩٨٤	٩٠ر	١٤ر٤	١٧ر٨	٤٨ر٩	١٨ر٩

Digitized by Birzeit University Library

يستدل من الجدول السابق ما يلـي :

١) ارتفاع نسبة وحجم العاملين باجر في قطاع البنـاء .

فقد بلغت اعلى نسبة بين مختلف شعب فروع الانتاج، ففي عام ١٩٧٠ بلغت حوالي ٥٤ر٣٪ بالارقام المطلقة ١١ر١٨٦ عامل، ثم بقيت النسبة تتراوح مكانها، رغم تصاعد حجم العاملين في هذا القطاع، وفي عام ١٩٨٠ بلغت النسبة ٥٠٤٪ وارتفع حجم العاملين الى ٤٤ر٢٥١ عامل اى بزيادة قدرها ٣٣ر٠٦٥ عامل عن سنة ١٩٧٠.

ان العمل في البناء يعتبر من الاعمال الشاقة، الظيلة المهاره، ويحتاج الى كثافة ايدى عاملة رخيصة ومن الخصائص الهامة لعمال هذا القطاع ان العمالة فيه غير مستقرة وتنتهي بانتهاء المشروع ،كذلك عدم انتظام عطلهم في موقع عمل واحد لمدة تزيد عن اسبوع ـ وتهدف هذه السياسية الى عدم خلق مناخ الثقة بين العمال ،كي لايساعد ذلك على تنظيم صفوفهم . وتقاش اوضاعهم بكافة جوانبها وبالتالي يبقى الشك وعدم الثقة من العوامل والحواجز التي تسهم في عدم امكانية تشكيل لجان عمالية موقعية ومن ثم مركزية تحمي حقوق العمال وتنظم نضالهم وتوحد صفوفهم . فتبقى مجال الاستغلال مفتوحا بابوابا واسعة امام ارباب العمل والشركات، كذلك عدم جواز التغيب عن العمل بدون اذن مسبق، مع توضيح اسبابه ، والا سيواجه المتغيب الفصل من العمل وفي بعض الشركات يقوم ضابط الامن بالتحقيق مع العامل المتغيب . كما يجرى فصل اى عامل يعرف عنه انه يمارس نشاطا نقابيا بين العمال مهما كانت المدة التي قضاها في العمل . وهذه القضية لا تنحصر في قطاع معين بل في كافة القطاعات .

٢) ارتفاع نسبة العمال الذين يعملون في الصناعة ؟.

صحيح ان نسبة من يعملون في هذا القطاع تبدو للوهلة الاولى في ارتفاع ، فمن ٦ر١١/ عام ١٩٧٠ صعدت الى ٨ر١٧ / عام ١٩٨٤ وارتفع في نفس الوقت عدد العاملين في هذا الميدان من ٣٩٠ر٢ عامل الى ٣٣١ر١٦ اي بزيادة قدرها ٩٤١ر١٣ عامل لكن الحقيقة في هذا المجال رغم ارتفاع نسبة وحجم العاملين في هذا القطاع ،والتي خدع بها البعض ،لا تعبر عن وجود عمال صناعيين ذوي مهارات فنية ،بل ان العاملين في هذا الميدان يعملون في الاعمال السوداء والتقليدية الشاقة، كما ان الهبوط في نسبة العاملين عامي ٨٣ ر ٨٤ في هذا القطاع كما يبين لنا الجدول رقم (٢) يكشف ان العامل العربي اول من يتعرض لسيف البطالة، بحكم سياسة التمييز اولا ورداءة العمل الذى يقوم به ثانيا، فمعظم العمال في هذا القطاع يعملون في صناعة (الصناديق) الخشبية، والتي مع مرور الزمن يصاب العامل بمرض ما من الغبار نتيجة قص الخشب، ويعمل البعض الاخر في المناجر والمحادد ومصانع النسيج. وفي هذا القطاع تعتمد الشركات وغير الشركات اسلوب فصل العامل تحسبا من ان يصبح من العمال الدائمين، ومن الملاحظ كذلك ان ٧٠/ من العقال العرب في قطاعي الصناعة والبناء تتراوح اعمارهم ما بين (١٤ ـ ٣٤) سنة في حين ان ٦٥/ من العمال اليهود في قطاع البناء تزيد عن ٣٤ سنة ويقتصر عطلهم على الادارة والسكرتاريا واعمال الصيانة

Digitized by Birzeit University Library

وهذه نشاطات مستقلة عن مشاغل الانشاء والتعمير وهناك مشاريع يحظر على العربي العمل فيها وهي المشروعات الكبيرة التي يعود اكثرها للدولة او للهستدروت(الاسمنت والصناعات الكيماوية والمعدنية والموانيء) وكذلك الصناعة العسكرية والصناعات الجوية وجميع المشروعات التابعة لمجموعة المركبة الهائلة (تايديران) كذلك فان بعض فروع القطاع الخاص جرت العادة لديها على اقفال ابوابها في وجه العمال العرب مثل مشروعات الماس الكبيرة. ورغم ذلك لا يمكننا وصفهم (العمال العرب) بأنهم يعملون على هامش الاقتصاد الاسرائيلي بالرغم من انهم لا يعملون في مجالات تتطلب مهارة وخبرات تقنية وعلمية .

٣) انخفاض مستمر في حجم العاملين بالزراعة .

يكشف لنا الجدول السابق الانخفاض المتوالي في نسبة من يعملون في الزراعة فمن ٢٤٫٤٪ الى ١٤٫٤٪ عام ١٩٨٤، ويعود ذلك الى مكننة الزراعة في اسرائيل، اولا وثانيا انتقال قسم منهم الى قطاع الخدمات العامة نتيجة تقلص قوة العمل اليهودية فيها وانتقالها للعمل في الصناعات العسكرية والكيماوية مما ادى الى نقصان عدد العمال العرب العاملين في الزراعة . لذا نجد ان عدد العمال العرب العاملين في الزراعة . يتراوح ما بين ٥٠٢٦ عامل الى ١٠٫٧١٢ عامل، وعملهم لا يتعدى قطف الثمار وغرس الاشجار وتنظيف الاحراش وغير ذلك من الاعمال اليدوية البسيطة . وتجدر الاشارة هنا ان المشروعات العامة مثل تنوفا (احتكار هستدروتي لتوزيع المنتوجات الزراعية) لا تستخدم سوى عدد قليل من العمال العرب وفي مجال التنظيف فقط . ومعظم الذين يعملون في هذا القطاع يعملون عن طريق سماسرة العمل ولذلك يتعرضون لابشع اشكال الاستغلال ويمتازون بقابليتهم للانتقال من موقع عمل الى آخر بسرعة . وهم من اكثر العمال الذين تتعرض اجورهم للسرقة والمحرومين من اية حقوق .

٤) العاملين في الخدمات العامة .

من الملاحظ ان حجم ونسب العاملين في هذا القطاع في ارتفاع مستمر . بدليل ان نسبتهم ارتفعت من ٧٫٩٪ عام ١٩٧٠ الى ١٨٫٩ ٪ عام ١٩٨٤ وبالارقام المطلقة تضاعف حجمهم من ١٫٩٩٨ عام ١٩٧٠ الى ١٧٫٠٠١ وهم بالتأكيد ليسوا اطباء اومهندسين وليسوا في وظائف على الاقل متوسطة المستوى بل يعملون في مجال التنظيف او اذنه مؤسسات او عمال مستودعات وبلديات او في الفنادق والمطاعم وفي وظائفها الدنيا، وبالقطع لا يوجد فيما تقدم اى شكل من اشكال المهارة وهي في نفس الوقت من الدرجات الدنيا في عالم الوظائف . وينعكس ذلك على مستوى مرتباتهم وساعات عملهم تمتد من ١٢ – ١٣ ساعة فعلية في اليوم وبالذات عمال المطاعم والفنادق .

وتجدر الملاحظة هنا ان نسبة الذكور بين مجموع العاملين بأحرفي اسرائيل من المناطق المحتلة بلغت ٩٧٪(٦) عام ١٩٨١ وبالارقام المطلقة ٦٧٫٩٩٧ بينما بلغ مجموع الاناث العاملات (٢١٠٣) عاملة من المجموع العام بين شهري نيسان وحزيران من نفس العام والذين بلغوا انذاك ١٫٧٠ الف عامل،

Digitized by Birzeit University Library

وبالطبع يعود سبب انخفاض حجم ونسبة العاملات العربيات من المناطق المحتلة في اسرائيل الى صعوبة العمل الممارس، وبعد الموقع ، والعادات والتقاليد الموروثة ، والى امتهان كرامة العامل .

ومن الطبيعي ملاحظة ارتفاع النسب المؤية لعمال المناطق المحتلة من قوة العمل الاسرائيلية العامة في مختلف فروع الانتاج . ويظهر ذلك في الجدول التالي .

جـــدول رقـــم (٣)

الفـــرع	السن ١٩٧٠ (٧) ٪	السنـــة ١٩٨١ (٨) ٪	السنة ١٩٨٤ (٩) ٪
الزراعة	٥ر٦ /	١٢ر٤ /	٥ر٥٦
البنـاء	١٢ر٣/	٤٨ر٦ /	٥٥ر٦٤
الصناعـة	١ر٠ /	١٩ر٧ /	٥ر١٤
(١٠) من قوة العمل الاسرائيلية	٢ر١ /	٥ر٦ /	٦ر٦ /

ظـــروف العمـــل وراء الخـــط الاخضـــــر

بالاضافة الى ما لاحظناه من تركز العمالة العربية في الاعمال السوداء ، وغير الماهرة يعاني العاملين في اسرائيل من ظروف استغلالية قاسية ، وسنحاول هنا تلخيص اهم سمات هذه الظروف :

١) عدم الاستقرار والثبات في العمل. مما يعرض حقوقهم للسلب والضياع ، من اجور وانعاب وحقوق اولية اذ يبلغ من يشتغلون اقل من سنة في مكان عمل واحد (٣٢ر١) الف عامل تبلغ نسبتهم ٤٦ر٢ / وهؤلاء اكثر عرضة للاستغلال والاضطهاد وضياع الحقوق . ولا يعني هذا ان الاخرين يتقاضون حقوقهم بالكامل . لاحظ الجدول التالي :

يبيـن حجم ونسبة وسنوات خدمة العمال العرب في اسرائيل لسنة ١٩٨١

جـــدول رقم (٤) (١١)

المـــدة	الحجم بالالاف	النسبـــة المؤية
اقـل من سنـة	٣٢ر١	٤٦ر٢/
من سنة الى سنتين	١٢ر٤	١٧ر٩
من سنتين الى اربعة	١١ر٤	١٦ر٤
من اربعة فما فـوق	١٣ر٥	١٩ر٥

Digitized by Birzeit University Library

من الطبيعي جد ان العامل الذى يعمل أقل من سنة لا يحصل على اثقاب. او اجازات، بكافة اشكالها . فيجبر تعبه لصالح رب العمل الذى عمل لديه وبهذه الحالة يضمن رب العمل ارباحا اضافية .

٢) عدم المساواة في الاجور مع العاطلين الاسرائيليين لنفس العمل المشابه ، اذن تمييز في الاجور وظروف عمل سيئة. وحرمان من التأمينات والتقاعد. وهذا سنأتي له فيما بعد .

٣) مواصلات طويلة مع انعدام الامن . بسبب السفر لمسافات طويلة يضطر قسم لا يستهان به من العمال للمبيت في اسرائيل وفي ظروف اشبه ما تكون بظروف الاعتقال ، فلا يستطيعون التجول بعد انتهاء يوم العمل تحسبا من القاء القبض عليهم "بصفتهم مشبوهين" دائما وكذلك تحسبا من التحرش بهم من قبل المتطرفين والشواهد على ذلك من الاحداث المؤلمة التي واجهت العديد من عمالنا كثيرة .

ظروف استغلال العمال العرب وراء الخط الاخضر

الحقت سياسة الدمج الاقتصادى التي ابتعتها سلطات الاحتلال الاسرائيلي اكبر ضرر ، باصحاب رؤوس الاموال المحلية ، بالصناعات الصغيرة والحرفية ، والمقاولين الصغار ، مما الحق الضرر بالطبع بفئات العاملين . فاجبر قسم منهم على الهجرة الى الخارج ، بحثا عن مصدر رزق وهذا هو الخيار الثاني الذى واجهه العاملين والمقتلعين من ارضهم ، اذ لو وجدوا لهم عملا لما اضطروا للهجرة الى الامريكتين او الى دول الخليج تار كين عوائلهم فنتيجة لسياسة التخريب الاقتصادى المتعمد ، اخذ سوق المناطق المحتلة يعاني مما يعانيه الاقتصاد الاسرائيلي في ازمته الخانقة ، التي تعصف به ، منذ اواخر العام ١٩٧٣ ، واثر حرب اكتوبر ، رغم " روشيتات" اطباء الاقتصاد الاسرائيليين لم تجد حلا لها . فالتضخم لا مثيل له في العالم ، اذ بلغ حتى اواخر شهر نيسان من عام ١٩٨٥ حوالي ١٤٤٠ ٪ . وجدول الغلاء في ارتفاع جنوني ، والبطالة في تزايد . اذ بلغت نسبة ٨ر٣/ وبالارقام المطلقة (١١٥) الف عاطل عن العمل ، وفي الوقت نفسه تتفنن الحكومة الاسرائيلية في عملية فرض الضرائب المختلفة ، اذ بواسطتها استولت على ٥٢ر٤/ (١٢) من الدخل القومي عام ١٩٨٤ ، وتمتد هذه الضرائب لسلب جزءا هاما من الانتاج المحلي للضفة والقطاع حيث تجرى ملاحقة المؤسسات ، الصناعية . والتجارية والمهنية ، من مهندسين واطباء ، ومحامين بواسطة اجهزة الجمارك ، التي لا تختلف في اساليبها عن اجهزة المخابرات ، كما تحصل ضرائب على رواتب العمال والموظفين وبصل مجموع ما جبته من قطاع غزة مثلا (٥٠٠) (١٣) مليون دولار منذ العام ١٩٦٧ كما تبلغ المقتطعات من اجور العمال العرب العاطلين من المناطق المحتلة في اسرائيل حوالي (٤٨) (١٤) مليون دولار سنويا وضرائب الدخل والاملاك والمعاملات وضرائب الجسور التي تجبيها السلطات الاسرائيلية تقدر بـ (٤٥) مليون دولار سنويا . اما ضريبة القيمة الاضافية تقدر بحوالي (٦٤) مليون دولار عدا ضريبة القيمة المفروضة على البضائع

Digitized by Birzeit University Library

المستوردة عن طريق الموانئ والمطارات الاسرائيلية التي تبلغ (٣٥) بليون دولار ،ومقابل هذه الاموال التي تبلغ بمجموعها حوالي (٢٠٠) بليون دولار في العام افادت الارقام الرسمية ان ميزانية الحكم العسكري في المناطق المحتلة لعام ١٩٨٥/٨٤ لم تتجاوز (٧٠) مليون دولار على احسن تقدير (هذا ما جاء في دراسة وضعها الباحث الاسرائيلي (ميرون بنفنستي مؤخرا) .

مثل هذه السياسة ،جعلت حياة جماهير العمال وفقراء الفلاحين ، واصحاب المداخيل المحدودة في المناطق المحتلة غاية في الصعوبة وسحبت ذيولها على بعض الشرائح والفئات الاجتماعية وخاصة البرجوازية الصغيرة والمتوسطة على ضوء ذلك سنحاول القاء الضوء على بعض من حياة وظروف الاستغلال الكولونيالي الذي يتعرض له العمال العرب العاملين وراء الخط الاخضر .

أولا : الاجـــــــور :

قبل وقوع الاحتلال الاسرائيلي للمناطق المحتلة، بلغت الاجور كمعدل عام ، "٥٠" قرشا اردنيا كأجرة يومية للعمال المهرة ، وما بين الـ "٢٥ – ٣٥ " قرشا لغير العمال المهرة ، الا ان الاحتلال عمد منذ ان فتح فرص العمل الى رفع اجور العمال لما يقرب "٣" دولارات في اليوم ، بهدف ابعادهم عن مقاومتهم اولا ، ولاكراههم بطريقة غير مباشرة على ترك العمل بالارض ثانيا، خاصة وان العمل بالارض لا يوفر المبالغ التي يو فرها لهم العمل في اسرائيل ، وبالتالي يصبح من السهل على سلطات الاحتلال مصادرة الارض او الاستيلاء عليها ، او اغلاقها تحت ذرائع امنية، دون مقاومة، خاصة وانها لم تعد في الظروف الجديدة قادرة على تأمين مصدر رزق رئيسي للفلاحين ، وتظهر الابحاث والدراسات ان الاجور الاسمية ، للعمال العرب العاملين في اسرائيل ، ارتفعت ثلاث مرات طوال سني الاحتلال ، وكانت على التوالي ، عام ١٩٦٩ حوالي (١٥) "٣" دولارات ، ١٩٧٥ "٧" دولارات عام ١٩٨٣ وصلت الى "١٠" دولارات ، وبالرغم من التطورات في الأجور الاسمية كما يظهر لنا " جدول رقم ٥" فان اجر العامل العربي ، كان يساوى ٢٥/ من اجر العامل الاسرائيلي عام ١٩٧٠ بالنسبة لابن الضفة الغربية، و٢١ر٩/ بالنسبة لابن القطاع ، تصاعدت هذه النسبة حتى وصلت عام ١٩٨٣ حوالي ٤٧ر١٪من اجر العامل الاسرائيلي، بالنسبة لابن الضفة الغربية الذى يعمل في اسرائيل و ٤٩ر٤٪ من اجر العامل الاسرائيلي لابن القطاع الذى يعمل في اسرائيل ، هذا ما اظهرته الدراسات الرسمية الاسرائيلية، الا ان الباحث الاسرائيلي " ميرون بنفنستي" يؤكد ان انخفاض معدل اجور العمال العرب بنسبة ٤٠ / (١٦) عن مستوى اجور الاسرائيليين وكشفت مصادراسرائيلية النقاب مؤخرا ان عددا كبيرا من العمال العرب العاملين في اسرائيل تقل اجورهم بنسبة ٢٠٪ عن الحد الادنى للاجـــور .

والجدول التالي يبين لنا الاجور بالشواقل القديمة ونسبتها الى اجور العمال الاسرائيليين .

Digitized by Birzeit University Library

جدول رقم "٥" (١٧)

السنة	الضفة	القطاع	اسرائيل	نسبة اجور عمال الضفة الى اجور الاسرائيليين	نسبة اجور عمال القطاع الى اجور الاسرائيليين
١٩٧٠	٠ر٨	٠ر٧	٣ر٢	٢٥/	٢١ر٩/
١٩٨٠	٣٦ر٤	٣٩ر٢	٩٠ر٤	٤٠ر٣	٤٣ر٤
١٩٨٢	ـ٢٣١ر	ـ٢٤٢ر	٢٩٤ر٤	٤٦ر٧	٤٨ر٩
١٩٨٣	٥٦٥ر٩	٥٩٢ر٦	ـ١٢٠٠ر	٤٧ر١	٤٩ر٤

وهذه الفروق الهائلة في الاجور بين العمال العرب والاسرائيليين لا تشمل المداخيل غير المباشرة للعامل الاسرائيلي، والتي لا يتقاضاها العامل العربي، من خلال خدمات التأمين الاسرائيلي المختلفة ومنها، (منحة الولادة، مساعدات العائلة كثيرة الاولاد، التأمينات الاجتماعية المختلفة، وسوبسيديا التعليم الثانوي والجامعي) . وغيرها اذ تبلغ بالاجمال ما يزيد عن ١٥٪ (١٨) من الاجر الشهري للعامل الاسرائيلي في حين لا يتلقى العامل العربي اى شيء من هذا القبيل، وعليه فان متوسط النسبة المئوية الحقيقية لاجر العامل العربي لا تكاد تصل ٣٦٪ فقط من اجر العامل الاسرائيلي .

من هنا نلاحظ ان الفرق في الاجور ناجم عن انحراف الاجور في المهن نفسها بمعدل ٢٠ـ ٢٥/ بالاضافة الى الامتيازات الاخرى التي يحصل عليها العامل اسرائيلي ولا يحصل عليها العامل العربي، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى، يتركز العمال العرب في مهن الانتاج والاعمال غير المؤهلة التي تسمى" الحطابون وعمال الابار" وكذلك الى عدم وجود اطار تنظيمي، يحمي حقوقهم ولذلك لا يؤلفون مجموعة ضغط، ذات شأن في المجتمع الاسرائيلي .

اضافة الى كل ذلك، يتعرض اجر العامل العربي، لسرقة مكشوفة من قبل ارباب العمل ولاثبات صحة هذا القول نورد نموذجا، ستجده في الهوامش من هذا البحث .

ونستطيع ملاحظة تطور الاجور الفعلية على ضوء تطور جدول الاسعار،

جـدول يبين ارتفاع الاجور من سنة الى اخرى .

جـــدول رقم "٦" (١٩)

السنة	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٨٠	١٩٨٣
الاجرة اليومية	١ر٢	٤ر٣	٤٠ر٥٠	ـر ٦٠٣

Digitized by Birzeit University Library

يستدل من الجدول ان الاجور ارتفعت من عام ١٩٧٠ – ١٩٨٣ حوالي "٥ر٥٠٢" مرة وبعد عام ١٩٧٥ حتى ١٩٨٣ "١٤٠" مرة فقط ومن عام ١٩٨٠ – ١٩٨٣ "٩ر١٤" مرة مما يؤكد عدم مجاراة الاجور لجدول الاسعار الذى ارتفع بشكل جنوني والجدول التالي يبين ذلك .

جـــدول رقـــم "٧" (٢٠)

جـــدول الاسعار للمستهلك في السنـــة

السنـــة	١٩٧٦	١٩٧٧	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠	١٩٨٣	١٩٨٤ (٢١)	١٩٨٥
النسبـــة	٪٣٨	٪٥ر٤٢	٪٤٨	٪١١١	٪١٣٣	٪٢٤٠١	٪٤٤٥	٪ ١٨٥

كما يستدل من الاحصاءات الرسمية ان الاسعار ارتفعت الاف المرات اذ كان في العام ١٩٧٦ يساوى ١٠٠/ ووصل عام ١٩٨٣ الى – ر١٠٠٦٩/وفي القطاع من ١٠٠/ عام ١٩٧٦ الى ٦ر١٠٧٨٤/ عام ١٩٨٣ " وهذا يفسر سبب لجوء العاطلين في سلك التربية والتعليم وغيرهم من ذوى الدخل المحدود للبحث عن عمل اضافي بعد انتهاء يوم عطلهم وفي محاولةمنهم لتغطية نفقات بيوتاتهم خاصة ونحن ندرك ان حجم البيت العربي (اى عدد افراد الاسرة) لا يقارن مع حجم البيت الاسرائيلي من حيث عدد الافراد مما يشكل سببا آخر من اسباب ضعف قدرة الرواتب على تغطية نفقات البيت " ، بمعنى ان الاجور الفعلية التي يتقضاها الاجيرين لا تفي بمتطلبات الحياة. حيث ان ارتفاع الاسعار اكثر بكثير من ارتفاع الاجور وهي من الاسباب التي تساعد على هبوط الاجرة الفعلية ، اضافة الى زيادة الضرائب وغيرها من المدفوعات التي تسهم في انخفاض الاجرة الفعلية. ومن الاسباب الاخرى لهبوط الاجور التمييز العنصرى المكشوف بين العمال العرب والعمال الاسرائيليين مما يشكل مصدر ربح فاحش لارباب العمل الاسرائيليين ، كما ان العامل العربي مطالب دائما بزيادة انتاجيته في العمل مما يؤدى حتما الى زيادة في القيمة الزائدة دون زيادة في اجرة وهذا يعني ازدياد شدة الاستغلال والانهاك للعامل وعواقبه الوخيمة على صحته .

ومن اجل الوقوف على قدرة الاجور في تغطية نفقات الحياة اليومية نسوق الجدول التالي والذى يظهر حجم العاطلين في اسرائيل من سكان المناطق المحتلة حسب الوضع الاجتماعـــي وحسب حجم البيت (عدد افراد الاسرة) لسنة ١٩٨١

Digitized by Birzeit University Library

جـدول رقم (٨) (٢٢)

الوضع الاجتماعي	المجمـوع العـام		
	المجموع الكلي	١ – ٦	+ ٧
المجموع الكلـي	٧٥٫٨	٢٧٫٢	٤٨٫٦
غيـر عـزاب	٥٢٫٢	٢٠٫٦	٣١٫٦
عـــزاب	٢٣٫٦	٤٫٦	١٩٫٠
المجمـوع الكلـي	١٠٠	٣٥٫٩	٦٤٫١
غيـر عـزاب	١٠٠	٣٩٫٦	٦٠٫٤
عـــزاب	١٠٠	٢٧٫٧	٧٢٫٣

يظهر الجدول ان عدد المعيلين لبيوتات حجمها "عدد افرادها" يزيد عن سبعة افراد، يبلغ ٤٨٫٦ الف ونسبتهم ٦٤٫١٪ وحجم المتزوجين منهم ٣١٫٦ الف ونسبتهم ٦٠٫٤٪ وهنا يبرز بوضوح الاسباب التي حدت باولياء امور الاحداث الذين تسربوا من مدارسهم الى سوق العمل الاسرائيلي، التزام الصمت ازاء ذلك، آملين ان يساعد هذا في تأمين دخل يساعد في تأمين نفقات الاسرة واحتياجاتها خاصة ان مستوى الدخل يشكل قاعدة مستوى الحياة وحجم العائلة يقرر نفقات الفرد اذ كلما كبر حجم العائلة قلت نفقات الفرد الوحد .

ومن ناحية اخرى فان العمال العرب يعطون مياومة وليس مشاهرة، وفي هذه الحالة لا تحتسب ايام العطل الاسبوعية او اى يوم يتغيب فيه العامل لاى سبب من الاسباب حتى لوكان التغيب بموجب طلب من رب العمل وبذلك تهبط الاجور ويقل حجمها .

والجدول التالي يبين معدل ايام العمل للاجير في الشهر للعاملين في اسرائيل من الضفةوالقطاع

جـدول رقم "٩" (٢٣)

الفـرع الاقتصـادى	المجمـوع الكلـي		
	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠	١٩٨١
متوسط ايام العمل في الشهر	٢٢٫١	٢٢٫٢	٢٣٫٦	٢٢٫٠
زراعه ،حراج،صيد اسماك	٢١٫٤	٢٠٫٨	١٩٫٧	٢٠٫٧
صناعـة وتعديـن	٢٢٫٣	٢٢٫٦	٢٢٫١	٢٣٫٥
بنـاء واشغـال عامـه	٢١٫٩	٢١٫١	٢١٫٥	٢١٫٨
بـاقـي الفـــروع	٢٣٫٤	٢٣٫٤	٢٢٫٩	٢٣٫٧

Digitized by Birzeit University Library

نلاحظ من خلال الجدول السابق ان العاطلين في اي من القطاعات السابقة لم يتجاوز عدد ايام عطلهم في الشهر عن "٢٣٫٤" يوم بسبب اقتطاع ايام الاجازة الاسبوعية او اية اعياد دينية يهودية اخرى، او نتيجة عودتهم عن " نقاط التفتيش" في حين ان يوم العمل يمتد عند هؤلاء من السادسة صباحا حتى السادسة مساء للعمال الذين يقطنون القرى مما يعني ان عدد ساعات العمل ليست "٨" بل "١٢" ساعة "٤" منها لا يتقاضى عليها العامل مليما واحدا .

ثانيا : المقطعات :

تعتبر المقتطعات من اهم اساليب استغلال عمال المناطق المحتلة، العاطلين في اسرائيل، فهي متنوعة، وتعتمد على تطبيق قانون التأمين الاسرائيلي الالزامي، احادي الجانب بالنسبة لابناء المناطق المحتلة مما يعني الزامهم بالدفع دون منحهم، حق الاستفادة من التأمين، وصورة الشيك التالية تظهر حجم المقتطعات وانواعها المختلفة وهي بالشاقل الجديد .

תלוש לעובד חשבון לעובד

שם המשפחה	שם פרטי	מס' זהות	שם המעסיק	מס' המעסיק	שנה	חודש	מספר
ישראלי	מוחמד	967645300	בית הוצאה בת	12101	06		

נמדד / נתקבל	מס' המחאה	מס' בנק	נמס במעבד	ילדים	מ מ	תעריף יומי	שנה	חודש	ימי עבודה	ימי חופשה	ימי מחלה
נתקבל	14626350	01913	01913	2	5	1736	86	03	22	0	20

סה"כ שכר לפני הפחתות	שעות נוספות	שכר עבור שעות נוספות	תוס' חיונית בגין הנחה לתושב אזור עדיפות לאומית	תוס' חיונית בגין הנחה לתושב אזור עדיפות לאומית	תוספת יוקר	סה"כ נכנסו לחישוב המס	שווה כסף לצורך הפחתת מס
34720	0	0	2750	5491	100	67470	50

תקונים	נשואה לאומי	נוסף שארים	נוסף הנחה	מקדמה	סה"כ נכויים	לתשלום נקבה
הפחתות	נשואה	1736	360	21570	31720	35450

שוחרר בהראות שחרור בהראות

מס' עובד	מס' תשלום	מס' רישום	מס' מעסיק	שם פרטי	שם משפחה
06	967645300	2320	0386	מוחמד	ישראלי

נשלח לשרות התשלומים סוקרה לשרות התשלומים

מסורת לשימוש פנימי בלבד

ויתכן ان هذه المقتطعات تمثل ما نسبته ١٨ ٪ (٢٤) من قيمة اجر العامل، في الوقت نفسه غير ثابتة النسبة، بل متحركة وبشكل تصاعدي، اذ كانت عام ١٩٦٩ حوالي ٧٤٫٧٪ ارتفعت عام ١٩٨٠ الى ٢٤٫٤٠٪ ، وتأتي هذه المقتطعات ، تحت الاسماء التالية :

١) تأمين وطني ٢) تأمين اجتماعي ٣) رسم تنظيم ٤) ضريبة دخل
٥) ضريبة حرب "سلامة الجليل" ٦) خدمات صحية .

Digitized by Birzeit University Library

وقد بلغ حجم المقتطعات من اجور عمال المناطق المحتلةحتى نهاية عام ١٩٨٤، ما يقرب "٩٨٠" مليون دولار(٢٥)، ولو كان صحيحا ما تدّعيه السلطات من ان هذه المقتطعات تمثل احد الارصدة العامة في ميزانية الاراضي المحتلة، واستثمر في فروع اقتصادية، كالصناعة الخفيفة والزراعة والبناء والسياحة وغيرها، وبمستوى التكنيك والتطور الذي يتناسب وواقع المناطق المحتلة ،سيخلق "٩٨" الف فرصة عمل، لعمال المناطق المحتلة الذين يعملون في اسرائيل، كما انه يساهم مساهمة فعلية في تحسين الاوضاع الصحية المتدهورة في المناطق المحتلة، ولو استثمر في ميدان البناء السكني فانه يكفي لبناء " ٢م١٠٫٨٨٨٫٨٨٨ " من الابنية، وسيقضي تماما على ازمة السكن، الا انه وبعكس ما تدعي السلطات، فان هذه المبالغ تذهب لدائرة التوظيف العسكرى في المناطق المحتلة، لصالح الاستيطان وتوسيع شبكة الطرق، من اجل تسهيل نشاطات الجيش وسرعة تنقلهم وتنقل المستوطنيين، واكبر دالة على ذلك ما جاء في دراسة " ميرون بنفنستي" "ان اسرائيل جبت من سكان قطاع غزة ضرائب مختلفة بلغت قيمتها نحو "(٥٠٠) مليون دولار منذ عام ١٩٦٧" دون ان تعود هذه الضرائب باي فائدة على سكان قطاع غزة العرب .

المراجـــــــــع :

١) الميثاق ١٨/٨/١٩٨٥ عدد ٠٦٣٤

2) Central Buren of Statistical Abstract of Israel,NO 34,1984

3) Central Buren of Statistical Abstract of Israel, No 34,1984

4) ABID.

٥) دور العمال الفلسطينيين في الاقتصاد الاسرائيلي ـ منشورات المكتب الفلسطيني للخدمات الصحفية ـ ك٢ ١٩٨٠ القـــــدس .

6) Central Buren of Statistical Abstract of Israel, No 34,1984

٧) موسى . جمال. دراسة وقائع ومعطيات حول الاستغلال الكولونيالي الاسرائيلي ضد العمال العرب من المناطق المحتلة .

8) Central Buren of Statistical Ab stract of Israel No 34, 1984

9) Statistical .Ab stract , Israel ,No 35 ,1985 .

١٠) موسى . جمال . دراسة وقائع ... الخ .

11) Statistical, Ab stract,Israel ,NO 34, 1985 .

Digitized by Birzeit University Library

12) Statistical.Abstract, Israel 1985 .PP.192. No 35

١٣) القدس بتاريخ ١٩٨٦/٥/٢٦ العدد ٦٠١٥

١٤) الطليعة المقدسية . ١ ايار العدد ٤٢٦ السنة التاسعة .

١٥) عاروري،تيسير المقتطعات من اجور العمال العرب العاملين في اسرائيل ـ الكاتب .ت١ عدد ٥٤ ١٩٨٤ .

١٦) الطليعة المقدسية. بتاريخ ٢٩ ايار عدد ٤٣٠ السنة التاسعة .

17) Statistical ,Abstract, Israel .No 34 ,1985 (١٧

١٨) عاروري،تيسير .المقتطعات من اجور العمال العرب ... الخ الكاتب عدد ٥٤

19) Statistical, Abstract , Israel ,No 34, 1985 . (١٩

٢٠) تقرير المؤتمر الـ ١٩ للجزب الشيوعي الاسرائيلي ـ مطبعة الاتحاد التعاونية شباط ١٩٨١ ص٢٢٤

٢١) جريدة الميثاق ١٩٨٦/٣/١١ عدد ٨٠٥ من خطاب حافظ الاسد .

٢٢) جامعة النجاح ـ نابلس ـ نشرة مركز الدراسات الريفية .

٢٣) النجاح . جامعة نابلس ـ نشرة مركز الدراسات الريفية .

٢٤) عاروري .تيسير. المقتطعات من اجور العمال العرب .. الخ الكاتب ت١ عدد ٥٤ ـ ١٩٨٤.

٢٥) عاروري . تيسير . المصدر السابق .

Digitized by Birzeit University Library

وصايا تيلمان حية

أصبحت منطقة برينتسلاور بيرغ العمالية العريقة في برلين منذ عامين او ثلاثة اعوام، منطقة لا يمكن التعرف عليها . فعوضا عن معمل الغاز القديم الذى كان ينفث السخام والروائح الكريهة في سائر ارجاء الحي، تنتصب الان عمارات جديدة جذابة فيها ٩٠٠ شقة حديثة لاربعة الاف مستأجر ومدرسة وروضات للاطفال ودور للحضانة وحوض سباحة ومتاجر ومطعم ومقاهي . ويسمى المجمع متنزها ،وهو اسم غير مألوف لحي سكني، فان الاشجار والمروج والبرك والملاعب والمرافق الرياضية تغطّي ثلثي مساحته. وهنا تستطيع ان تجلس وتستريح متنشقا الهواء العليل، وفي وسط المتنزه نصب ارتفاعه ١٣ مترا ــ هو عبارة عن تمثال برونزى لرجل مربوع القامة ممتلئ الجسم، ذى رأس كبير يقف مستظلا براية حمراء نقشت عليها المطرقة والمنجل، رمز تحالف العمال والفلاحين، وليس ثمة شاهد على (النصب لان مثل هذا الشاهد غير ضرورى فالجميع في جمهوريتنا يعرف انه يرى) ملامح تيدى، ارنست تيلمان، الرجل الذى سمي مجمع السكن والاستجمام الجديد باسمه. وبهذه الطريقة احتفى شغيلة المانيا الديموقراطية بالذكرى المئوية لميلاد قائد الطبقة العاملة الالمانية العظيم والرئيس الاسطورى للحزب الشيوعي الالماني .

× ارنست ديـل : عضو اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي الالماني الموحد ، نائب مدير معهد الماركسية اللينينية التابع للجنة الحزب المركزية .

× غيونتر هورتشانسكي : مسؤول قسم في معهد الماركسية اللينينية التابع للجنة الحزب المركزيـــة .

Digitized by Birzeit University Library

ولد ارنست تيلمان في ميناء هامبورغ في ١٦ نيسان (ابريل) ١٨٨٦، في عائلة شبه متعلمة وكان والداه، آنذاك، حذرين من التدخل في السياسة، يضاف الى ذلك ان تيلمان نشأ في عالم لم تكن فيه بلدان اشتراكية او احزاب شيوعية. انهى سبعة صفوف مدرسيّة وامضى شأن جميع فتيان هامبورغ، ساعات طويلة في المرفأ. وهناك شهد وهو في سن العاشرة اضرابا لم ينسه ابدا، اضرابا صمد فيه عمال الموانيء احد عشر اسبوعا. وفي الرابعة عشرمن العمر دخل معترك الحياة لكسب لقمة العيش وسرعان ما "تعلمت درسي الرئيسي الاول في نظام الاستغلال الرأسمالي واساليبه" (١). وفي سن السابعة عشرقادته قناعاته الشخصية العميقة الى الانخراط في صفوف الحزب الاشتراكي الديموقراطي (الذي كان آنذاك حزبا ثوريا). وبعد عام اصبح عضوا في نقابة عمال النقل.

وفي الثامنة والعشرين من العمر استدعي لاداء الخدمة العسكرية. وعاش تجربة الحرب معايشة مباشرة خلال القتال الطاحن في السوم. وفي سن الثانية والثلاثين اجتاز امتحان ثورة تشرين الثاني (نوفمبرة ١٩١٨ وعرف الامل والخيبة. وبعد عامين اصبح شيوعيّا، وكان قد اضحى ثوريّا مجربا ومتمرسا ذا رصيدكبير من المعرفة النظرية وعضوا في برلمان مدينة هامبورغ ورئيس منظمة الحزب الاشتراكي الديموقراطي الالماني المستقل في هامبورغ، وكان مهيّئا لاتخاذ خطوة الانتماء قبل ذلك، لكنه لم يتخذها الا بعد ان اقنع غالبيّة "المستقلّين" في هامبورغ باحتذاء مثاله، وبعد خمس سنوات من ذلك انتخب رئيسا للحزب الشيوعي الالماني.

انجز تيلمان قدرا كبيرا من العمل النظري حول استراتيجية وتكتيكات الحزب الشيوعي وكرس اهتماما واسعا للتنظيم السياسي. كما اصبح وهوالذي يتحلى بدرجة استثنائية من الانضباط الذاتي وروح المثابرة، رئيس اتحاد المحاربين القدامى الحمر ـ وحدات للدفاع عن النفس شكلتها البروليتاريا الالمانية في عام ١٩٢٥ الى ١٩٣٣. ونشط في عمل الاممية الشيوعية حيث اضطلع بمهام عديدة. ومنذ العشرينات كان من النشطاء المعروفين في الحركة الشيوعية العالمية.

ولم تكن الطبقات الحاكمة في البلاد مخطئة في النظر الى تيلمان، الرجل الذي اصبح قائد البروليتاريا الالمانية المعترف به، على انه عدو سياسي جدي ونافذ، وبالتالي، عدو خَطِر. وبعد اربعة اسابيع من صعود هتلر الى السلطة وقع تيلمان في اسر اعدائه الالدة، وكان حينذاك في السادسة والاربعين من العمر، يمارس نشاطه متخفيا. وابقوه رهن الاعتقال في أحد السجون النازية من دون تحقيق او محاكمة اكثر من احد عشر عاما وفي ١٨ آب (اغسطس) ١٩٤٤ قتل في السر، غيلة، في معسكر بوخنفالد.

تلكم هي العلامات المضيئة في سيرة حياة تيلمان على الطريق الذي اصبح فيه عامل بسيط قائدا لطبقته وواحدا من خيرة ابناء الشعب الالماني. لقد اوقف نشاطه السياسي الدائب وهو في اوج حيويته. فلم يمض تيلمان الا سبعة اعوام قائدا علنيا للحزب الشيوعي الالماني، لكن حياته كانت غنية، ذات معنى ومكرسة بكاملها في سبيل قضية الطبقة العاملة والنضال ضد الفاشية والرجعية والعسكرية ومن اجل السلام.

يحفل التاريخ بامثلة عديدة على قادة سيا[illegible]

Digitized by Birzeit University Library

حياة تيلمان ولم يعرفوا الفاقة ابدا، اهيلت عليهم آيات التمجيد ورفعت منزلتهم الى السماء واغدقت عليهم الاوسمة والنياشين — لكن غبار النسيان تراكم عليهم قبل ذكراهم المئويّة بزمن مديد . طواهم النسيان لانهم لم يمنحوا المجتمع او البشرية او التقدم شيئا يذكر، لانهم لم يكونوا شخصيّات حقيقيّة. كتب تيلمان قبل اعدامه بفترة وجيزة :" "تقولون "شخصيّة في العادة حين تشيرون الى شخص يعلو فوق المجتمع ويكرس كل طاقته لخدمة شعبة "(٢).

ان هذا التعريف ينطبق على تيلمان نفسه ،قائد الشيوعيين الالمان والرجل الذى له كل الحق في ان يدخل سجل التاريخ . فلقد كان من اولئك القادة الشيوعيين الذين انبثقوا من وسط البروليتاريا . وقبل ان يصبح ثوريا محترفا امضى ما يقرب من ٢٥ عاما وهو يعمل في سياقة العربات وفي التعليب والتفريغ والتحميل والنقل وفي الموانئ . نشأ في وسط البروليتاريا الالمانيةكان تفكيره تفكيرا بروليتاريا وهو يمسك دفة الحزب الشيوعي الالماني الذى كان اعضاؤه يعدون بالالاف . كتب بشموخ في السجن :" ان دم العامل الالماني يجرى في عروقي وهذا ما سأكونه حتى النهاية ، وان العمال الاشتراكيين الديموقراطيينهم ابناء جلدتي "(٣).

كان تيلمان على قناعة راسخة بان " "الممارسة الثورية الجادة مستحيلة من دون نظرية ثورية سليمة وواضحة "(٤). وقد اولى العمل الايديولوجي والنظرى اهمية خاصة كلما احتدم النضال السياسي، وكان يحتج بشدة كلما اعتقدأن هذا المضمار منالنشاط قد اصابه الاهمال وكان يتابع عن كثب التربية الحزبية للشيوعيين ويراقب العمل الرامي الى جعل دعاية الحزب الشيوعي الالماني في الصحافة دعاية بالغة التأثير وذات نفس نضالي لتشديد نضالها ضد معاداة الشيوعية وغيرها من صنوف الايديولوجيا البرجوازية الرجعيّة. كما كان يتابع متابعة دقيقة نشر المؤلفات الكلاسيكية للماركسية — اللينينية بانتظام .

وتيلمان نفسه كان محيطا احاطة شاملة بالماركسية اللينينية وقد ساعدته هذه المعرفة في الارتقاء الى مستوى التعميم على نطاق واسع وتقديم تفسيرات اصيلة للعديد من ظواهر عصرة الجديدة.وطبق نظرية ماركس وانجلز ولينين تطبيقا خلاقا على ظروف المانيا في العشرينات والثلاثينات واضاف ابعادا جديدة الى العديد من احكام هذه النظريّة . ويصح هذا بصفة خاصة على تحليل جوانب مختلفةمن تطوير الامبريالية في سنوات ما قبل الحربومعالجة المسألة القومية في المانيا واقامة جبهة عمالية موحدة وصياغة سياسة الشيوعيين في التحالفات .

وقد جمع قائد البروليتاريا الالمانية على الدوام بين تحليله لهذه القضايا والجوانب العملية للنضال الثورى والدعاية والتحريض. وكانت استنتاجاته تستند الى رصد الظواهر الاقتصادية والسياسية المعقدة وتطورات المرحلة رصدا دقيقا وعميقا، فجعل ذلك من الممكن الانطلاق من اساس علمي متين في صياغة ستراتيجية وتكتيكات الحزب الشيوعي الالماني. وحين كان رفاق تيلمان في الحزب يعمدون الى تبسيط الامور ويناقضون الوقائع في اطروحاتهم النظرية كان يهبط بهم بحزم من السحاب الى ارض الواقع القاسي .

وظل قائد البروليتاريا الالمانية يواجه

Digitized by Birzeit University Library

العديد من القضايا الجديدة الحادة والملتهبة في احيان كثيرة ، وبقي الكثير مما يعوزه الوضوح وكان من الصعب التوصل سريعا الى اجابات محددة في خضم الاحداث حين لم يكن الوقت كافيا لتبلور بعض الظواهر . فكان لا بد من التعديل والتصويب في مجرى النضال لكي لا تصبح التفسيرات والشعارات السابقة بالية وعائقا في طريق العمل الثوري .

واكد تيلمان بلا كلل ما يقع على عاتق الشيوعيين من مسؤولية جسيمة ازاء الشعب بوصفهم القسم الواعي سياسيا والمتقدم والمنظم من البروليتاريا . ولا يمكن ان يضطلع بهذه المسؤولية بشرف الا " حزب جديدي، موحد وحدة تامة ومتراص الصفوف ، ذو انضباط عال "(٥). وللقائد الشيوعي يعود الفضل الكبير في ان الحزب الشيوعي الالماني اصبح بحق مثل هذه القوة المنسجمة وحافظ عشرات الالوف من الشيوعيين المتفانين الصلبين على اخلاصهم لقضية الطبقة العاملة والاشتراكية والسلام ، في احلك فترات الدكتاتوريّة الارهابيّة الفاشيّة ، وارسى مع رفاقه الاسس اللازمة للانتصار التاريخي الذي احرزته الطبقة العاملة الالمانية وحلفاؤها في اواخر الاربعينات حين تحقق حلم تيلمان وقامت على ارضنا دولة اشتراكية هي جمهورية المانيا الديموقراطية .

وكان قائد الشيوعيين الالمان يحكم على نضج الحزب الماركسي ـ اللينيني الثوري بقدرته على الاطاحة بهيمنة رأس المال والظفر بالسلطة السياسية، فعمل مع قادة الحزب الشيوعي الالماني الاخرين على تحويله الى قوة" تستطيع قيادة البروليتاريا الالمانية في النضال من اجل السلطة"(٦). لقد كانت هذه المسألة ذات اهمية اساسية بالنسبة لتيلمان يعود اليها ، المرة تلو الاخرى ، في مقالاته وخطاباته. وكان ثابتا وحازما في رفضه الاراء البرجوازية والبرجوازية الصغيرة وكل اشكال الانتهازية والتحريفية، وكان تيلمان على قناعة بضرورة الحفاظ على السلطة العمالية والدفاع عنها كما يصون المرء حدقات عيونه ، اذ قال في احد الاجتماعات الحاشدة "حين نأخذ الدفة بالاستناد الى ارادة ملايين البروليتاريين في المدن والريف، سنكون مصممين على عدم التخلّي عنها ابدا "(٧). وهذه الكلمات هي بالنسبة لنا ، نحن الشيوعيين، وصيّة لا تحيد عن الالتزام بها. فمنذ الايام الاولى لقيام جمهورية المانية الديموقراطية يحرص الحزب والشعب على توطيد حكومة العمال والفلاحين والذود عنها وعدم السماح لاي احد بالعبث بها او محاولة تقويضها .

وكان تيلمان داعية لا يلين لدكتاتورية البروليتاريا لانه كان يعتبر الفكرة القائلة بان الاقلية المستغِلة ـ بالكسر ـ ستتخلى عن مواقعها للاكثرية المؤلفة من الشغيلة، بأنها وهم خطر ، ورأى ان هيمنة الطبقة العاملة تعني اداء مهمة سامية في خدمة الشعب وضمان تطور الشخصية تطورا شاملا . واكد ان استيلاء البروليتاريا وحلفائها على السلطة وحده الذي يمكن ان يحل معضلات المانيا الاجتماعيّة ـ السياسيّة الملتهبة ويستجيب لحاجات الشغيلة الملحّة ويحقق رفاهية الشعب بصورة جذريّة. وان حكومة العمال والفلاحين وحدها التي تستطيع ان تقدم بديلا عن الرأسماليّة لان الاشتراكية لا تنفصم عن هذه الحكومة، وما دامت هذه الحكومة غير قائمة لا يمكن اتخاذ خط

Digitized by Birzeit University Library

لم يرفض الحزب الشيوعي الالماني ابدا استخدام ظروف وفرص الديموقراطية البرجوازية لصالح الجماهير ، فمن على منبر برلمان مدينة هامبورغ والرايخستاغ دافع تيلمان بحدائه عن مصالح العمال والفلاحين وناضل ضد الانقضاض على حقوقهم ومكاسبهم الاجتماعية وفضح الممارسات التعسفية للمحاكم واجهزة البوليس وشجب الميل لانبعاث النزعة العسكرية. وقام رئيس الحزب باعداد مجموعة كبيرة من نواب البرلمان الشيوعيين المتمرسين الذين تولوا تعميم سياسة الحزب الشيوعي الالماني بكفاءة عالية . وكانت الكتلة البرلمانية تنشط سياسة الحزب الشيوعي الالماني بكفاءة عالية . وكانت الكتلةالبرلمانية تنشط في الحملات الانتخابية ، وقد رُشح تيلمانٌ مرتين لمنصب الرئاسة . ولم يكن لديه شك في الاثر المعنوى البالغ لنجاحات الشيوعيين الانتخابية معتبرا انه كلما شك في الاثر المعنوى البالغ لنجاحات الشيوعيين الانتخابية معتبرا انه كلما زاد عدد الاصوات التي يفوز بها الحزب اشتد الضغط الذى يستطيع ان يمارسه على الطبقات الحاكمة. ولكنه، على النقيض من الانتهازيين، لم يبالغ ابدا باهمية العملية الانتخابية لانه كان على يقين بان الانتخابات وحدها ، من دون عمل جماهيرى، لا تستطيع تغيير الوضع السياسي تغييرا جذريا وان الطبقة العاملة لا تستطيع انتزاع السلطة من البرجوازية بمساعدة صناديق الاقتراع وحدها .

غير ان هذا التقييم الموضوعي للديموقراطية البرجوازية لا يعني ان تيلمان رفض ان يرى اية درجات متفاوتة في هيمنة البرجوازية او انه كان ينظر الى هذه القضية بعدم الاكتراث. فلقد ادرك الحزب الشيوعي الالماني خطر الفاشية في وقت مبكر . ومنذ عام ١٩٢٩ اجرى قائد الشيوعيين الالمان تحليلا منهجيا عميقا للازمة التي المت بجمهورية فايمار البرجوازية البرلمانية. وتابع عن كثب كل منعطف على الطريق الذى اخذت الطبقات الحاكمةفي المانيا تنتقل فيه الى اعتماد اساليب دكتاتورية بشكل سافر . وابدى تيلمان شعورا عاليا بالمسؤولية في تقييم طابع هذه الحكومة الالمانية او تلك وعارض بشدة الذين اعتقدوا منذ عام ١٩٣١ ان الدكتاتورية لفاشية اصبحت امرا واقعا . فقد رأى رئيس الحزب الشيوعي الالماني ان مثل هذه التقييمات تنال من معنويات الحزب وجماهير العمال في مواجهة خطر محدث واشد فداحة بكثيـــر .

جادل تيلمان بصورةمقنعة قائلا ان ظهور الهتلريين لم يكنْ بأى حال امرا غير متوقع وانه، في كل الاحوال، لم يكن انقلابا مفاجئا اذهل البرجوازية الالمانية. وان ٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٣٣، يوم اصبح هتلر مستشارا، لم يكن الا الذروة في عملية تحول سلطة الدولة تحولا تدريجيا ، والا تتويجا منطقيا لسياسة رأس المال الكبير الالماني الذى وافق عن وعي على اقامة دكتاتورية ارهابية بشكل سافـــر .

ولكن حتى قبلحدوث ذلك كان تيلمان قد توصل الى استنتاج علمي هام مؤداه انه لا يمكن وقف الفاشية الا ببذل كل الجهود ، من دون انتظار " المعركة الحاسمة" ، لقطع الطريق على الانزلاق الى رجعية مكشوفة ومكافحة المحاولات الرامية الى تقييد الديموقراطية ودفع البروليتاريا الى التخلّي عن المواقع التي احرزتها .

Digitized by Birzeit University Library

الشيوعي الالماني من ذهبوا الى ان تحول البرجوازية الى الفاشية يعكس ضعفها وانها تتنقل الى موقع دفاعي ازاء احتدام التناقضات بين رأس المال الاحتكاري والشغيلة ورأى هؤلاء الشيوعيون ان البطالة الجماعية وغيرها من الاثار الاجتماعية المدمرة للأزمة سرعان ما ستؤدي الى تثوير الطبقة العاملة وتقودها الى المتاريـــس .

غير ان تيلمان الذي كان بشهادة معاصريه يمتلك قدرة فريدة على تقييم الوضع تقييما موضوعيا وواقعيا ، توصل الى استنتاج مغاير منذ بداية الثلاثينات . لم يكن ثمة وضع ثورى آني في المانيا والامال المعلقة على انهيار النظام الرأسمالي انهيارا تلقائيا لم تكن تستند الى اسس، لان العوامل الموضوعية وحدها لا تخلق وضعا لا رجاء للرأسمالية فيه بالمرة (٨). وابتعد بحزم عن اولئك الذين جنحوا في مواجهة ذلك الوضع الى الوقوع في اسر نزعة فوضوية انقلابية وحاولوا اللجوء الى ممارسة الارهاب ضد الافراد . والتزم تيلمان التزاما ثابتا بالمفهوم الماركسي الاساسي القائل بان الثورة لا تصنع حسب الطلب، بمساعدة شعارات راديكالية زائفة . وكتب يقول :" اننا نعتمد على المستلزمات الموضوعيّة (التي تقوم بانضاجها-ذاتيا) (٩)

وكان قائد البروليتاريا الالمانية يرى ان النضال من اجل اقامة حكومة العمال والفلاحين "نضال سياسي تخوضه جماهير الطبقة العاملة والشغيلة بملايينها "(١٠) . ومهما بلغ الحزب من القوة، او من الصلابة الايديولوجية فانه لا يستطيع انجاز مهماته التاريخية بالاعتماد على حفنة من الثوريين . ولا يستطيع المرء ان يقنع الجماهير بان الافكار الشيوعية هي الصائبة او يقودها الى النضال من اجل هذه الافكار" بمساعدة الرسوم البيانية، ولا يكفي اتباع نهج صائب في مجمله فالمسألة تتعلق فصلا عن ذلك بتطبيق طريقة سايكولوجية صائبة وفهم سايكولوجية الجماهير (١١). وقد عرف تيلمان من خبرته ان الشغيلة لن يسيروا وراء الحزب الا اذا رفع مطالب يستطيعون فهمها ، بما في ذلك المطالب الانية الجزئية. اذ يجب ان تكون" المعبّرين عن كل الحاجات واول المناضلين من اجل كل مطالب الساعة "(١٢) ،وكرر قائلا، من اجل المطالب التي تطرحها الجماهير . وكان الحزب الشيوعي الالماني يسعى الى كسب ثقة الشعب المتجددة في كل ما يتخذه من تدابير وخطوات لكي يتوصل ابناء الشعب بعد التأكد بانفسهم من صواب ابناء الشعب بعد التأكد بانفسهم من صواب سياسة الشيوعيين ، الى تبنّي هذه السياسة بوصفها سياستهـــم .

وقد تعلمت منظمات الحزب الشيوعي الالماني وكوادره وقواعده الجمع بين النضال من اجل السلام والديموقراطية والاشتراكية والجهود التي تبذل دفاعا عن مصالح الجماهير الحيوية في كل متكامل . وقد ناضلت من اجل يوم عمل من ثماني ساعات وزيادة الاجور وتوسيع الاعانات التي تقدم في حالة البطالة ورفع المرتبات التقاعدية وضد ازمة السكن وارتفاع الايجارات، من اجل تحسين العناية الطبية وتوفير فرص تعليـــم متكافئة والمساواة التامة للنساء والشبـــاب والالتزام بالحقوق المدنية الديموقراطيـــة وتوسيعهـــا .

وفي الفترة الحرجة التي اصبح فيها خطر الدكتاتورية الفاشية خطرا حقيقيا [illegible]

Digitized by Birzeit University Library

يوم الى آخر دعا رئيس الحزب الشيوعي الالماني ليس الطليعة فحسب، بل والطبقة العاملة باكملها الى التصدي للهجمة على حقوق الشعب الاساسية والحيوية." ما لم تشكلوا انتم البروليتاريون، من اشتراكيين ديموقراطيين ومسيحيين واشتراكيين قوميين مستعدين للنضال، واعضاء النقابات الحرة وغير المنتمين الى اى حزب ـ جبهة موحدة مع الشيوعيين، رفاقكم في المحنة، وما لم ترفعوا راية النضال بشجاعة، عندئذ، وعندئذ فقط ستتمكن من كسب الخبز والبطاطس والفحم لاسرنا، لابنائنا وبناتنا، والطبس والحليب لاطفالنا الجياع" (١٣). وتوجه الحزب الشيوعي الالماني الى قواعد الحزب القومي ـ الاشتراكي ايضا لانه كان يدرك " الفارق الكبير بين وحدات قوات العاصفة ورجال الاس.اس الذين يحاولون شن حملات استفزازية في الاحياء العمالية او يعتدون على منازل العمال واقبية الجعة وبين الجماهير الواسعة من عمال المصانع والمكاتب واعضاء الفئات الوسطى والحرفيين والعمال الذين يشتغلون لحسابهم الخاص وحتى شغيلة الفلاحين الذين طحنهم الفقر وسحقتهم الازمة فساروا او يسيرون وراء النازيين متقادين بديماغوجية هتلر وغوبلز وشتراسر ووعودهم الكاذبة " (١٤).

لقد اعتبر تيلمان مسألة كسب تأييد اغلبية الطبقة العاملة الالمانية وبسط هيمنة البروليتاريا بين سائر الشغيلة لا بوصفها افقا بعيدا وانما مهمة آنية ومركزيّة ملقاة على عاتق الشيوعيين. ورأى ان الفئويين الذين يختفون وراء شعارات ثورية زائفة ليس من شأنهم الا الحاق الضرر بقضية الطبقة العاملة. وانهم من حيث الاساس قد ابتعدوا عن الجماهير لانهم استسلموا امام صعوبات كسب هذه الجماهير الى جانبهم.

ومما له مغزاه العميق تفسير رئيس الحزب الشيوعي الالماني لشعار " التوغل عميقا وسط الجماهير" مطبقا على العمل في النقابات. ففي نهاية العشرينات وبداية الثلاثينات كان ثمة رأي في الحركة الشيوعية الالمانية والعالميّة يدعو الى القطيعة مع النقابات الاصلاحية (ما يسمى النقابات الحرة في حالة المانيا) وتشكيل معارضة نقابية ثورية برعاية الشيوعيين. وكان جذر هذا الموقف يكمن في الرأي القائل بان الازمة الاقتصادية تقود الطبقة العاملة، كما يزعم، الى ادراك جوهر موقعها بسرعة فتصبح على استعداد لترك النقابات القديمة والانضمام الى نقابات جديدة. لم يشاطر تيلمان أصحاب هذا الرأى اوهامهم. وقد اثبتت الحياة انه كان على صواب: فلقد ادرك تمام الادراك مدى تعلق العمال الالمان بنقاباتهم (التي كانت وقت ذاك تضم ما يربو على ٦٫٥ مليون شخص). وكان القبول بمقترحات خصوم تيلمان في قيادة الحزب الشيوعي الالماني والانسحاب من هذه النقابات والتركيز على العمل من خارجها (اى بين العاطلين عن العمل والشغيلة غير المنظمين في الغالب) يعني تخلي الشيوعيين عن عملهم الهادف بين الجمهرة الرئيسية للبروليتاريا، وبالتالي، خيانة القضية الثورية.

بفضل الاستراتيجية و التكتيكات الماركسية ـ اللينينية للحزب الشيوعي الالماني ازداد اعضاء الحزب في عهد قيادة تيلمان من ١١٤ الف عضو الى ٣٦٠ الف عضو. وفي حين صوت ٣٫٧ ملايين ناخب لصالح الشيوعيين في انتخابات الرايخستاغ في عام ١٩٢٤ ارتفع عددهم في عام ١٩٣٢ الى زهاء ستة ملايين

Digitized by Birzeit University Library

ناخب . وحصل تيلمان نفسه الذى رشح لمنصب الرئاسة على ١٫٩ مليون صوت في عام ١٩٢٥، وعلى خمسة ملايين صوت في عام ١٩٣٢. ولا ريب في ان جميع هذه النجاحات كانت نجاحات كبيرة لكنها لم تكن كافية لمنع هتلر من الصعود الى السلطة .

وكان تيلمان طيلة حياته السياسية مناضلا متقدا حماسة وصلبا ضد الامبريالية والعسكرية والحرب . فمنذ عام ١٩١٤ اعتبر الموقف الشوفيني للعناصر اليمينية من قادة الاشتراكيين الديموقراطيين والنقابات الذين ايدو النهب الامبريالي والمخططات التوسعية لرأس المال الالماني الكبير بانه قطيعة تامة مع الماركسية والاممية البروليتارية. ودافع تيلمان عن قضية كارل ليبكنخت وروزا لكسمبورغ مناضلا بلا هوادة ضد اعادة تسليح المانيا والتحضيرات لارتكاب عدوان جديد . وفيما بعد كتب متذكرا تجربته بوصفة جنديا على الجبهة ان اهوال الحرب رسخت قناعاته الاشتراكية وتصميمه على ان يفعل كل ما في وسعه لمقاومة انبعاث النزعة العسكرية .

لعل تيلمان كان ابرز انصار السلام واكثرهم حماسة وثباتا في المانيا في الفترة ما بين الحربين العالميتين! فقد نظر الى صيانة السلام على انها المهمة الرئيسية للحركة الشيوعية في تلك الفترة وجزء من الرسالة التاريخية للبروليتاريا . وفي قيادة الحزب الشيوعي الالماني كان رئيس الحزب مسؤولا شخصيا عن النشاطات المناهضة للحرب . وقد كتب مقالات والقى خطابات يبين فيها ان خطر الحرب يكمن في جوهر الامبريالية، ويفضح المصالح الانانية للنخبة الحاكمة في المانيا وسعيها الى الربح من خلال الانتاج العسكري وسياسة التوسع والانتقام . ولم يصب تيلمان بالكلل ابدا من تأكيد اهمية العمل في الوقت المناسب لوقف التحضيرات الحربية وابقاء المدافع صامتة . ولتحذيراته ما يبررها اليوم بصفة خاصة حيث يهدد اندلاع نزاع نووي بابادة الجنس البشرى .

وحين نهض رأس المال المالي الالماني من هزيمته في منتصف العشرينات وشرع مجددا في السير على طريق التحضير لشن حروب الحاقية كان الشيوعيون اول من وقف ضد هذا الخطر الداهم واتخذ الاجتماع الكامل للجنة المركزية للحزب الشيوعي الالماني المنعقد في كانون الثاني (يناير) ١٩٣١ قرارا يعلن بقوة ان الحزب الشيوعي الالماني هو حزب السلام الوحيد في المانيا المستعد لحل جميع القضايا الرئيسية المتعلقة بالسياسة الالمانية والسياسة الدولية من دون حروب الحاقية ومن دون استعباد الشعوب الاخرى او تهديدها (١٥) .

كان تيلمان وقت ذاك يلفت انتباه الحزب والشيوعيين في العالم اجمع الى ان نجاح النضال ضد الحرب يتوقف، اولا وقبل كل شيء ،على مشاركة الجماهير الشعبية فيه اوسع مشاركة ممكنة . اذ " يستحيل او يكاد ان يستحيل النضال ضد الحرب من دون سياسة جبهة موحدة مقنعة حقا، سياسة لازمة لتعبئة الجماهير في النضال ضد الحرب . فتلكم قضية اساسية» وان كل توجهنا الثورى وكل معرفتنا بالقضية وكل التزامنا سيكون عبثا اذا ما اخفقنا في اقامة تحالف نضالي مع جميع الاخرين، بمن فيهم العمال من ذوى الاراء المغايرة "(١٦). ورأى طائفة واسعة جدا من الحلفاء المحتملين :" جبهة متحدة تضم الملايين من عمال المصانع المستغلين - بالفتح - والعاطلين عن العمل الذين جرى

Digitized by Birzeit University Library

اقصاؤهم من دائرة الانتاج وملايين الفلاحين وشغيلة الفكر" فضلا عن العناصر البرجوازية الصغيرة والفئات الوسطى واصحاب المصالح الصغيرة "(١٧) . وتتطلب الامر عملا منسقا تضطلع به الدولة الاشتراكية الاولى في العالم وسائر قوى السلام في العالم اجمع ـ شيوعيين واشتراكيين ديموقراطيين وتقابيين ومسالمين ـ لمنع الحرب بحـــزم .

وكان تيلمان يؤمن بان من الاهمية بمكان تشكيل جبهة متحدة في المانيا لتأمين انخراط الاشتراكيين الديموقراطيين في العمل المشترك. فلقد صوّت ثمانية ملايين شخص لصالح الاشتراكيين الديموقراطيين في انتخاب الرايخستاغ في عام ١٩٣٢ . واتضح ان من المتعذّر التوصل الى اتفاق مع قيادة هذا الحزب العمالي وقت ذاك، فذأب القائد الشيوعي على التوجه الى قواعده. اذ لا يمكن تهديم " الجدار السميك الذى يفصل بين العمال الشيوعيين ، والاشتراكيين الديموقراطيين الا من خلال استثارة مناقشات رفاقية تستحضر تجربتهم الخاصة فى النضال المشترك" وليس من خلال " الجار بالاوامر الفظة والسباب"(١٩) بروح فئوية . وتيلمان نفسه ضرب مثالا على اجراء حوار كهذا. اذ قال فى اجتماع جماهيرى عقد فى برلين في عام ١٩٣١ " ان الحزب الشيوعي الالماني يتوجه الى رفاقه الاشتراكيين الديموقراطيين الطبقيين ويعول على مشاعرهم الاشتراكية. نعم ايها الرفاق ، اننا نمد لكم يدنا فى النضال المشترك "(٢٠) . واكد ان هذا النداء ليس مناورة تكتيكية، بل يمليه ادراك الحاجة الى وحدة العمال فى النضال ضد خطر الحـــرب .

اقترح تيلمان انشاء حركة " العمل ضد الفاشية "، وهي حركة واسعة لمناهضة الفاشية وفي صيف ١٩٣٢ اجتمع رئيس الحزب الشيوعي الالماني بمجموعة من الكوادر الاشتراكية الديموقراطية والنقابية لبحث قضية العمل المشترك. وحين انبت هؤلاء تحاطهم على حركة" العمل ضد الفاشية" زاعمين انها " منظمة تحمل بصمات الحزب الشيوعي" حدد تيلمان طابعها بوصفها " نقطة استقطاب غير حزبية لسائر العمال المستعدين لخوض نضال حازم ضد الفاشية، واضاف ان الخلافات في الرأى حول القضايا الاخرى ينبغي ان تخلي الطريق للمهمة الرئيسية مهمة الحيلولة دون قيام دكتاتورية فاشية فى المانيا (٢١). ولم يضع الحزب الشيوعي الالماني اية شروط للتعاون وعمل الكثير لتعزيز مواقع " العمل ضد الفاشية " في المعامل بين الطبقة العاملة

لكن الحركة تقدمت بخطى متعثرة : ف "على الرغم من الازمة ورغم النهوض الثورى السابق قامت الفاشية والثورة المضادة بتجميع قواها اسرع من قيام البروليتاريا الثورية وجماهير الشغيلة التي تولت قيادتها بتشكيل قواها الخاصة"(٢٢) . وان جو الارهاب الذى اشاعه الهتلريون انهك خصوم النازية والحرب ، وبعد سنوات دفع الفاشيون العالم الى حرب جديدة .

لقد كان تيلمان وطنيا غيورا . كتب يقول "انتى المانى. والشعب الذى انتمى اليه واحبه هوالشعب الالمانى . وامتى ، الامة التى اعتز بها واحترمها هي الامة الالمانية، تلك الامة الشهمة ، الابية والصلدة" (٢٣) . لكن قائد البروليتاريا الالمانية كان ايضا امميا متفانيا وصلبا . ونظر الى عمله وعمل الحزب الشوعى الالماني بوصفه جزءا من نضال الطبقة العاملة العالمية وربط على الدوام

Digitized by Birzeit University Library

مهماته بوصفه قائدا حزبيا بواجباته في الاممية الشيوعية. وقد ساعد هذا في توسيع رؤية تيلمان وتوضيح العديد من القضايا المرتبطة ببناء الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي والمعارك الطبقية التي كانت البروليتاريا تخوضها في بقية انحاء العالم وسهوض حركة التحرر الو طني . واد كان رئيس الحزب الشيوعي الالماني يقوم بمهامه في الاممية الشيوعية تعلم من نجاحات وانتكاسات الاحزاب الشقيقة وأسهم بدوره في عمل الاممية مستندا الى خبرة الشيوعيين الالمان وجنبا الى جنب مع الاخرين من قادة الطبقة العاملة البارزين عمل من اجل وحدة الحركة الشوعية العالمية على اساس الماركسية ـ اللينينية والاممية البروليتارية .

وقامت ثورة اكتوبر والخطوات الاولى لبناء الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي بدور هام في تكون قناعات تيلمان السياسية. كتب تيلمان : "ان ٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ كان بداية اعظم ثورة في تاريخ الانسانية. فان النصر الحاسم الذى احرزه عمال روسيا وفلاحوها وجنودها · على قوى الملاك والرأسماليين متضافرة، غير وجه العالم ... وبدأت حقبة جديدة في تاريخ الصراع الطبقي (٢٤) واعتبر حزب لينين نموذجا للتنظيم الذى تحتاجه البروليتاريا من اجل تحقيق مهمتها التاريخية.

وعمل تيلمان على تربية الشيوعيين الالمان بروح الوحدة والتضامن الثابت مع الاتحاد السوفييتي والنضال بلا هوادة ضد معاداة السوفييت، اوابداء اية تنازلات امامها · ورأى في ذلك معيار الاممية البروليتارية. ففي عام ١٩٢٦ اعلن فياجتماع لاحدى الهيئات القيادية في الاممية الشيوعية" ان الموقف من دكتاتورية البروليتاريا في الاتحاد السوفييتي يعتبر القضية الرئيسية للحركة العمالية العالمية " (٢٥) . ونحن نؤمن بهذه الكلمات التي قيلت في وقت كان فيه الاتحاد السوفييتي يواجه قوى الرأسمالية بمفرده، والتي نحتفظ بصحتها اليوم بعد ان انبثقت منظومة كاملة من البلدان الاشتراكية. وقد لاحظ الرفيق اريخ هونيكر، السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الاشتراكى الالماني الموحد، ان الاستنتاج الذى توصل اليه قائد البروليتاريا الالمانية " صحيح اليوم كما كان حينذاك وسيظل صحيحا في الغد "(٢٦).

ويؤكد تاريخ جمهورية المانيا الديموقراطية باكمله نبوءة ارنست تيلمان بان " التحالف مع الاتحاد السوفييتي يكفل" (٢٧) تحرر شعبنا تحررا ناجزا. وبالتحالف مع الاتحاد السوفييتي قمنا بثورة اشتراكية وها نحن نبني الاشتراكية وكلما توثقت صداقتنا مع الدولة الاشتراكية العظيمةازددنا نجاحا . واد نحث الخطى قدما يكتسب تحالفنا الاخوي نطاقا جديدا وأبعادا جديدة.

ورغم الحبس الانفرادى المنهك والتعذيب الوحشي الذى تعرض له تيلمان ظل حتى وهو سجين القاشية صامدا، مخلصا لقضيته،راسخ الايمان بصواب الطريق الذى اختاره وواثقا بالنصر . وفى الايام الحالكة للهجوم الذى شنه هتلر على الاتحاد السوفييتي كتب تيلمان :" ان مجتمع المستقبل لنا .. ونحن واثقون من الانتصار مهما بلغت التضحيات والمعاناة التي نواجهها على هذا الطريق "(٢٨). وقد اثبت التاريخ انه كان على حـــق .

نظر تيلمان الى بناء الاشتراكية على

Digitized by Birzeit University Library

الارض الالمانية بانه غاية حياته الرئيسية :
" اننا سنحول عبيدا مقيدين الى المكائن ومدقعين مسحوقين، الى بناة احرار وسعداء للمستقبل ، الى بناء حياة جديدة تقوم على مبادئ الجماعية .. حيث تستخدم السلطة الثورية في خدمة مصالح الشغيّلة كافة ، حيث الارض والمناجم والصناعة والسفن التي تمخر عباب البحار تكون ملك العمال، تلكم هي دولة الشغيّلة التي نناضل من اجلها "(٢٩)
ومثل هذه الدولة اصبحت واقعا في بلادنا .
واليوم في عشية المؤتمر الحادي عشر للحزب الاشتراكي الالماني الموحد للحزب كل الحق في ان يقول انه اذ يوجه بناء الاشتراكية في المانيا الديموقراطية فقد استرشد على الدوام بافكار تيلمان واتّبع وصاياه. ويدافع الشيوعيون بيقظة عن دولة العمال والفلاحين جاهدين الى تعزيز الصلات بين الحزب والجماهير ودائبين على انتهاج سياسة التحالف . وفي وحدة متينة واخوية مع الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية الاخرى تدعو جمهوريتنا الى التعاون الدولي وتعمل بنشاط من اجل صيانة السلام .

عن قضايا السلم والاشتراكيـــة

Digitized by Birzeit University Library

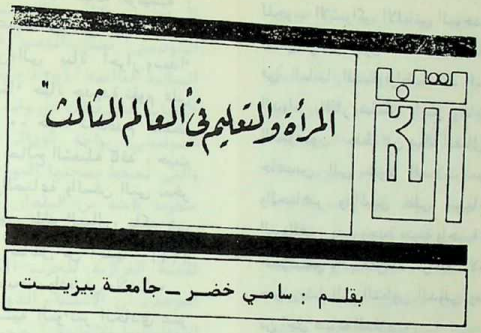

دور التعليم وأهميته :ـ

يلعب التعليم دورا هاما واساسيا في مجرى عملية التغيير والتنمية في الدول عامة وفي الدول النامية خاصة. حيث تعتبر دول" العالم الثالث" دولا زراعية تمر في مرحلة انتقالية من التطور الاجتماعي والاقتصادي، ويكتسب التعليم اهميته في تمكين هذه المجتمعات ان تخطو خطوات واسعة باتجاه التغيير والتنمية حيث يسهم التعليم في تسليح الانسان بالعلم والوعي والمطلوبين للمشاركة في دفع عجلة التقدم الانساني بكل ابعادها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية +

ومما لا شك فيه، ايضا ، ان من الضرورى جدا ان تجد المرأة سبيلها للحصول على حقها في التعليم، وذلك من اجل ان تصبح شريكا فاعلا يسهم بقسطه في عملية التطور الاقتصادى والاجتماعي ويكون ذلك ايضا احد الشروط الضرورية لمواجهة وتحدى اشكال التمييز والاضطهاد المختلفة التي تتعرض لها على كافة الصعد. وبالاضافة الى ان التعليم حق مقدس لكل فرد من افراد المجتمع، فان تعليم المرأة سيخلق قوى جديدة فاعلة في النضال لتحرير المجتمع من وطأة التخلف الاجتماعي والاقتصادى والسياسي .

لقد اصبح توفير فرص التعليم للانسان . بشكل عام ، وللمرأة بشكل خاص مسألة في غاية الاهمية حيث اصبحت هذه المهمة في مقدمة وعلى رأس اولويات برامج القوى والحكومات الوطنية والتقدمية في العالم. فتوفير التعليم حق مقدس اقرته جميع المواثيق الدولية، فلا بد من تضافر جميع القوى التقدمية في العالم من اجل تشديد نضالها على هذا الصعيد، فالنضال ضد الامية لا ينفصل ، باى حال، عن النضال ضد كافة اشكال الاضطهاد السياسي والتمييز العنصرى ومن اجل بناء المجتمع الانساني العادل .

Digitized by Birzeit University Library

جـــدول رقـم (١)

تقديـــر النسـب المئوية للامية بين السكان مصنفين الى ذكور واناث لفئات الاعمار ١٥ + على الصعيد العالمي وعلى اصعدة المجموعات الكبرى والاقليمية للسنـــوات ١٩٦٠ ، ١٩٧٠ ، ١٩٨٠

		١٩٦٠	١٩٧٠	١٩٨٠
الصعيـد العالمـي	اجمالي نسبة الامية	٣٩ر٣	٣٣ر٤	٢٨ر٩
	بين الذكور ٪	٣٣ر٥	٢٦ر٦	٢٣ر٠
	بين الانـــاث ٪	٤٤ر٩	٣٨ر١	٣٤ر٧
صعيد الدول الصناعية	اجمالي النسبة ٪	٤ر٩	٢ر٩	٢ر١
	بين الذكـور ٪	٣ر٦	٢ر٣	١ر٥
	بين الاناث ٪	٦ر٢	٣ر٦	٢ر٧
صعيد الدول النامية	اجمالي النسبة ٪	٥٩ر٢	٤٧ر٨	٤١ر٢
	بين الذكور ٪	٤٩ر٦	٣٨ر٤	٣٢ر٣
	بين الاناث ٪	٦٦ر٩	٥٧ر٤	٥٠ر٣
صعيد دول	اجمالي النسبة ٪	٣٢ر٥	٢٨ر١	٢٠ر٣
امريكـا اللاتينية	بين الذكور ٪	٢٨ر٤	٢٤ر٨	١٧ر٨
	بين الاناث ٪	٣٦ر٦	٣١ر٣	٢٢ر٨
صعيـد الـدول	اجمالي النسبة ٪	٤٣ر٦	٣٨ر٤	٣٨ر٤
الاسيوية (بما فيهـا	بين الـذكور ٪	٤٥ر٣	٣٤ر٧	٣٠ر٠
البلاد العربية الواقعة	بين الانـاث ٪	٦٥ر١	٥٢ر٨	٤٧ر١
فـي اسيـا)				
على صعيد الـدول	اجمالي النسبة ٪	٨١ر٠	٧٠ر٦	٦٠ر٦
الافريقية (بما فيها	بين الذكـور ٪	٧٣ر٤	٥٨ر٣	٤٨ر٠
الدول العربية الواقعة	بين الانـاث ٪	٨٨ر٥	٨٢ر٤	٧٢ر٨
في افريقيـا) .				
على صعيد الدول	اجمالي النسبـة ٪	٨١ر١	٧٠ر٤	٥٩ر٩
العربيـــة	بين الذكـور ٪	٧١ر٦	٧٥ر١	٤٦
	بين الانـــاث ٪	٩٠ر٧	٨٣ر٧	٧٣ر٥

Digitized by Birzeit University Library

الاميـــة كمظهـــر للتخلـــــف :-

ان مشكلة الامية لم تعد مجرد مشكلة تعليمية فقط بل هي مظهرا من مظاهر التخلف متعددة الوجوه ، كما انها تشكل ايضا ، سببا له . فهي ترتبط بشكل جدلي بطبيعة المجتمع الطبقي وبمشكلاته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. انها مشكلة حضارية ، بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى ، فلذلك فان النضال من اجل القضاء على هذه الافة بشكل امتدادا ورديفا طبيعيا للنضال من اجل المساواة والتحرر والكرامة الانسانية ، ومدخلا لبناء المجتمع الانساني التقدمي .

ان نظرة سريعة على عدد الاميين في العالم يظهر لنا بشكل جلي خطورة هذه المشكلة . فوفق الاحصائيات الواردة في الكتاب الاحصائي السنوي الصادر عن اليونسكو عام ١٩٨٢ فان عدد الاميين في العالم يصل ما بين ٨٠٠ مليون وبليون نسمة (اى الف مليون نسمة) اى ان ثلث عدد البالغين في العالم لا يستطيع القراءة او الكتابة. وتشكل النساء ٦٠ / من هذا العدد . كما تشير الاحصائيات نفسها الى ان اكثر من ٧٠/ من مجموع السكان في ٢٣ دولة من دول " العالم الثالث " لا يزالو اميين حتى عام ١٩٨٠ ، والجدول رقم (١) يبين نسبة الاميـة على الصعيد الدولي ووفق الجنس خلال العقود الثلاثة الماضية . (١) .

وتشير المعطيات الاحصائية العربية الرسمية بان " نسبة الامية في الاقطار العربية في حالة تفاوت كبير فهذه النسبة تتراوح ما بين ٢٨ / — ٦٧٪ ويقع معظمها ما بين ٥٠٪ و ٦٠ ٪ ، كما ان نسبة الامية للذكور ما بين ١٤٪ و ٦٠٪ وتتراوح نسبة للاناث ما بين ٤١٪ و ٨٠٪ " (x) (١) ، والجدول رقم (٢) يوضح لنا نسبة الامية بين الذكور والاناث لفئات العمر ١٥ + في الوطن العربي للسنوات ١٩٦٠ ، ١٩٧٠ ، ١٩٨٠ (٢) .

النسب المئوية للأمية بين الذكور وبين الإناث لفئات الأعمار ١٥ + في الوطن العربي للسنوات ١٩٦٠ ، ١٩٧٠ ، ١٩٨٠

السنة	١٩٦٠	١٩٧٠	١٩٨٠
اجمالي النسب المئوية	٨١,١٠	٧٠,٤	٥٩,٩
النسب المئوية للذكور	٧١,٦	٥٧,١	٤٦,٢
النسب المئوية للاناث	٩٩,٧	٨٣,٧	٧٣,٥

Digitized by Birzeit University Library

وهكذا يتضح لنا بان ما يزيد عن نصف السكان في الدول العربية وفي بلدان "العالم الثالث" عامة يقعون خارج عملية المشاركة الفعلية في مسيرة التقدم الاجتماعي. وتزداد المشكلة تعقيدا عندما نرى بان ثلثي الاميين في العالم، والبالغ عددهم ما بين ٨٠٠ ــ بليون نسمة، هن من النساء. وبأن الفجوة في المستوى التعليمي ما بين الذكور والاناث اخذة في الاتساع يوما بعد يوم.

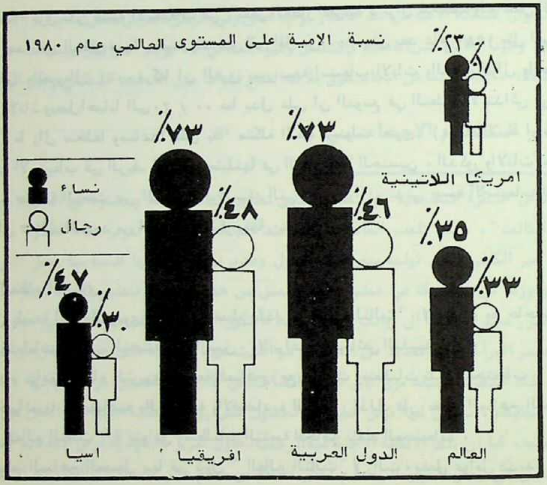

المـــرأة والاستيعـــاب المدرســـي :ــ

تعتبر مسألة الاستيعاب المدرسي من الامور الهامة التي تزيد من حدة مشكلة الامية وتفاقمها. حيث ان اعدادا كبيرة من الذكور والاناث لم يتلقين اى تعليم رسمي على الاطلاق. وتشير الاحصائيات الي توردها مؤسسة World University service الى انه وحتى نهاية السبعينات فان اكثر من ٥٠ / من الاناث في دول " العالم الثالث " يذهبن الى المدرسة الابتدائية، ولكن ٢٥ / منهن فقط واصلن حتى المرحلة الثانوية. وفي الاقطار العربية ووفق دراسة قام بها الدكتور مختار الغول، وقدمت الى ندوة دراسة معوقات تنفيذ الاستراتيجية العربية والتي عقدت في دمشق عـــام ١٩٨١، بين فيها بأن متوسط الاستيعاب في فئة (٦ ــ ١٤) سنة على الشكل التالي :ــ

(مع الاخذ بعين الاعتبار الفروقات بين قطر عربي وآخر).

ــ متوسط الاستيعاب في فئة ٦ سنوات = ٦٥ /

Digitized by Birzeit University Library

- متوسط الاستيعاب في (٦ – ١١) سنة = ٦٢٪
- متوسط الاستيعاب في (١٢ – ١٤) سنة = ٤٢٪
- متوسط الاستيعاب في (٦ – ١٤) سنة = ٥٧٪

وهكذا نرى بأن نسبة الاستيعاب في "بعض الاقطار العربية لا تزال منخفضة ولم تصل الى ٧٠٪ وواطئة جدا في البعض منها، حيث تنخفض الى اقل من ٥٠٪ حتى بعد عام ١٩٨٠ مثل اليمن : (الشمالي والصومال) ... كما ان الفرق بين نسبة استيعاب الاناث والذكور لازال واسعا وليس لصالح الاناث ويصل احيانا الى ٢٠٪ .. مما يدل على ان التوسع في التعليم الابتدائي في الوطن العربي ما زال متخلفا ومساعدا على بقاء مشكلة الامية لسنوات اخرى "(١) كما لا بد ان ننوه الى ان نسبة الاستيعاب في الريف اقل من مثيلتها في المدن لكلا الجنسين ، الذكور والاناث .

ولو حاولنا البحث عن الاسباب الرئيسية التي تكمن وراء + تدني نسبة الاستيعاب المدرسي نجد بان هنالك العديد من العوامل ، نذكر منها :-

اولا : النظام التربوي :

١) ان طبيعة النظام التربوي القائم في معظم بلدان "العالم الثالث" ، لا يتلائم مع حاجات الناس واهتمامات الفئات المختلفة للدارسين ، ولا يراعي الخصائص النفسية لهم .

٢) عدم توافق النظام التربوي وطبيعة المناهج ، مع حاجات ومتطلبات تلك المجتمعات وخصائصها الاجتماعية والحضارية والاقتصادية المميزة ، لذلك فان معظم المناهج المطبقة في "العالم الثالث" لا تتوافق ومتطلبات التنمية الخاصة بتلك المجتمعات .

٣) معظم المناهج المعمول بها في دول "العالم الثالث" لا زالت ، بفعل عوامل عديدة ، تخلو من اى ارتباط بمنجزات الثورة العلمية – التكنولوجية ، الامر الذى يخلق صعوبات كبيرة امام توطين التكنولوجيا المتقدمة واستيعابها في هذه الدول . وبفعل هذه القضية بالذات ، فان الفجوة بين التعليم في الدول المتقدمة صناعيا والدول النامية في تزايد مستمرة .

٤) عجز هذا النظام التربوى عن استيعاب جميع من هم في سن الدراسة . فمن الناحية النظرية نجد بان التشريعات في معظم الدول تنص على شموليته لجميع الفئات . ولكن . وفي الواقع العملي نجد نقصا كبيرا في الامكنة لاستيعاب العديد من الاطفال ، وخاصة الاناث منهن . مما يعني اغلاق ابواب وفرص التعليم امامهن . كما نجد بأن مناطق عديدة وخاصة في الريف ، تفتقر لوجود المدارس وان وجد في بعضها فانه لا تتوفر جميع المراحل التعليمية ، وغالبا ما تقتصر على المرحلة الابتدائية . فعلى سبيل المثال ، ووفق مسح ميداني اجريناه في مكتب محو الامية ، حول الخدمات العامة في قرى الضفة وقطاع غزة وجدنا بان هناك (٤٢) قرية من مجموع قرى الضفة والقطاع ، البالغة (٤١٠) قرية . لا تتوفر فيها مدارس . بمعنى آخر فان ١٠٪ من قرانا لا يتوفر فيها مدارس . كما اننا وجدنا بان (١٤٤) قرية (اى ٣٥٪ من مجموع القرى لا يوجد بها سوى مدارس ابتدائية فقط (٢) .

Digitized by Birzeit University Library

٥) لا تزال العديد من الدول تفتقر الى نظام التعليم الالزامي. فعلى سبيل المثال فاننا نجد بان " عدد الاقطار العربية التي لديها قانون للالزام، حتى عام ١٩٨٣/٨٢ ، (٨) اقطار عربية فقط، مما يعني بانه ستبقى اعداد غير قليلة من الاطفال المستحقين للتعليم خارج المدارس في الاقطار العربيه طالما لم يطبق فيها الالزام، وستكون تلك الاعداد رواقد واستمرارا لمشكلة الامية في تلك الاقطار بوجه خاص وفي الوطن العربي بشكل عام "(٢).

٦) عدم وجود تكامل بين التعليم النظامي وغير النظامي مما يزيد العراقيل ويضاعف من حدة المشكلة . لذا لا بد من ايجاد طرق ملائمة لفتح قنوات بين التعليم النظامي وغير النظامي.

ثانيـــا : النظـــام الاجتماعـــي :-

لا تزال النظرة التقليدية حول عدم جدوى تعليم الاناث سائدة ومنتشرة في العديد من دول "العالم الثالث". حيث تلعب العادات والتقاليد البالية دورا في تعزيز هذه النظرة . كما ان الاهتمام غير الكافي الذى توليه بعض تلك الدول وعدم ايمان قيادتها السياسية بحق المرأة في التعليم ودورها في المشاركة في عملية الانتاج يعمق من حدة الازمة . فتعليم المرأة بنظرهم يعتبر استثمارا غير مجد ، حيث ان رواتب النساء عادة ما تكون اقل من رواتب الرجال ، في نفس المهنة . كما ان مصير المرأة برأى العديد من العائلات هو البيت مهما حصلت على مستوى عال من التعليم حتى ان تلك النظرة الضيقة ترى بان تعليم الفتاة ليس اكثر من تحسين فرص زواجها . فالفتاة المتعلمة ، بنظرهم ، سيكون لها فرص افضل في الحصول على زوج ذو مكانة اجتماعية افضل من الفتاة غير المتعلمة. كما ان تلك الانظمة الاجتماعية الرجعية تحاول تبرير محدودية فرص التعليم ومجالاته ، والتي تصل في بعض الدول الى عدم تمكن الفتاة من تعلم مهن معينة مثل الهندسة او الطب او الزراعة ... الخ ، مستندين الى اسطورة دونية المرأة (اى انها اقل من الرجل) " ومحدودية" امكاناتها وقدراتها العقلية. كما ان نمط الزواج المبكر الذى يسود معظم بلدان " العالم الثالث" عادة ما يكون سببا في تسرب الفتيات من المدرسة ، مما يمنعهن من اكمال تحصيلهن العلمي. فوفق مسح ميداني اجرته اليونسكو عام ١٩٨١ ، وجدوا " بان الزواج يشكل احد العوامل الرئيسية لتسرب الفتيات في افغانستان ، والاردن ومدغشقر. ففي مدغشقر تستطيع الفتاة الزواج في سن الرابعة عشر. وفي تركيا فان اكثر من نصف تعداد السكان الاناث يتزوجن ما بين (١٥ – ١٧ سنة) والغالبية العظمى منهن يتزوجن قبل سن العشرين عاما "(٤).

ثالثـا : ـ الوضـــع الاقتصـــادى :-

تعيش معظم دول " العالم الثالث" ظروفا اقتصادية صعبة ، نتيجة للاستغلال الامبريالي لهذه الدول من ناحية ، والاستغلال الداخلي الذى تمارسه البرجوازية الطفيلية المحلية من ناحية اخرى. وتنعكس هذه الاوضاع الاقتصادية بشكل حاد على الجماهير الكادحة مما يدفع بالعديد من الطلبة ،

Digitized by Birzeit University Library

من الذكور والاناث ، الى ترك المدرسة والانخراط في سوق العمل للاسهام في زيادة دخل الاسرة وتوفير مستلزمات الحياة الضرورية . وتبرز ظاهرة التسرب بشكلها الحاد والملموس في المناطق الريفية حيث تضطر الفتاة الى ترك المدرسة للقيام برعاية اخوانها الصغار ومساعدة امها في اعمال البيت والزراعة ايضا . كما ان الفقر المدقع الذى تعيشه الجماهير في العديد من " الدول النامية" يشكل عائقا امام انخراط العديد من الاطفال في المدارس، وخاصة في تلك الدول التي لا توجد بها تعليم مجاني ، حيث يضطر الاهل الى دفع تكاليف تعليم ابنائهم .

رابعـــا :ـ الوضـع السياســـي :ـ

تختلف طبيعة الانظمة السياسية القائمة في دول " العالم الثالث " من دولة لاخرى. ولذلك فان سياسة تلك الدول تتفاوت في نهج تعاملها فيما يتعلق بمناحي الحياة المختلفة ، ومن ضمنها النظام التربوى. ولكن مما لا شك فيه هو تأثير السياسة والقرار السياسي في المجال التربوى ، حيث نرى ان البلدان التقدمية تمتاز بنظام تربوى تقدمي ، يتلائم وحاجات المجتمع التنموية ويأخذ بعين الاعتبار اهتمامات الجماهير مما يسهم بشكل ايجابي في تطوير المجتمع ككل . اما في في البلدان ذات الانظمة السياسية الرجعية ، والتي تحكمها انظمة ديكتاتورية قمعية ، فاننا نرى بان النظام التربوى القائم فيها يعمل على خدمة الطبقة والاسرة الحاكمة وتحقيق مصالحها . ويتسم هذا الظام التربوى بتعميم ظاهرة الاغتراب بين الجماهير ، وتقزيم دورهم الانتاجي والتنموى. فالنظام والمؤسسات التربوية تشكل انعكاسا منسجما مع البنية التحتية لذلك المجتمع . فاما ان يكون النظام التربوى عاملا في تعزيز وتكريس الواقع القائم بكل ظواهره الاجتماعية والاقتصادية والسياسية واما ان يكون عامل تغيير وتثوير لهذا الواقع من اجل تطوير جوانبه المضيئة وتجاوز الجوانب المظلمة فيه .

ان القرار السياسي والارادة الشعبية هما المحركان الاساسيان لاية عملية تغيير اجتماعية شاملة ، كما ان التعليم يعمل على خلق الوعي السياسي وبالتالي التغيير الاجتماعي . فعلى سبيل المثال نجحت الثورة في نيكاراغوا وكوبا في القضاء على الامية وكان ذلك بفضل القرار السياسي لتلك الثورة التي تمثل الجماهير ومصالحها . كما ادى تعليم الجماهير ومحو اميتهم الى زيادة مشاركتهم في عملية التغيير الثورية في تلك الدول . وهنالك مثال آخر، حيث " نجح التربوى المناضل باولو فرورى عام ١٩٦٤، ومن خلال تعليم القراءة والكتابة ان يصل الى اجزاء كبيرة من السكان ، حيث كانت محصلة جهوده بث الوعي السياسي التقدمي والتي ادت الى انشاء (١٣٠٠) تعاونيـــة زراعيـــة "(٥).

وفي المقابل نرى بان العديد من دول " العالم الثالث " ، تصرف على التسلح اكثر بكثير من مما تنفق على التعليم والصحة والخدمات الاجتماعية لمواطنيها . فعلى سبيل المثال لا الحصر فان " معظم دول افريقيا واسيا تنفق على التسلح اكثر من ٢٥/ من حجم ميزانيتها العامة "(٦). في الوقت الذى يعاني فيه سكانها من الموت جوعا .

Digitized by Birzeit University Library

المـــرأة ونمـط التعليـم السائـد فـي " العالـم الثالـــث " :ـ

يتسم نمط التعليم السائد في الدول النامية بكونه تقليدا مسخا لنمط التعليم الغربي ، حيث تم سحب النمط الاخير ، وبشكل ميكانيكي . وتطبيقه على دول " العالم الثالث" التي تختلف بانظمتها الاجتماعية عن الدول الغربية ، دون مراعاة الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتاريخية المميزة لتلك الدول . وبالتأكيد فان هذا النقل الحرفي لتلك المناهج حمل معه التناقضات والمشاكل التي يعانيها النظام التربوى الغربي والتي تعتبر جزءا من التناقضات العضوية التي تعانيها الدول الرأسماليـــة .

ان هذه العملية لا تخرج في ابعادها عن استمرار سياسة الغزو الامبريالي "للعالم الثالث" وتصدير الثقافة والتربية والفكر الرأسمالي لتكريس التخلف والتبعية الاقتصادية والسياسية للعالم الرأسمالـــــي .

وتتجلى سلبيات هذا النمط التربوى ، بشكل خاص ، على المرأة حيث يميل التعليم الرسمي للفتيات التأكيد على الدور التبعي للمرأة في المجتمع ، وتلعب المناهج واساليب التدريس المتبعة دورا اساسيا في تعزيز هدا الوضع وتكريسه . كما نلاحظ بان النساء المتعلمات تعليما عاليا يشكلن فئة قليلة من مجموع النساء في تلك البلدان ويشكلن نخبة تنتمي في معظمها الى الطبقة البرجوازية الصغيرة او الكبيرة . وغالبا ما تؤهل النساء ، في بلدان " العالم الثالث" وحتى في الدول الرأسمالية ايضا ، في مهن محددة مثل : الوظائف الخدماتية كممرضات وعاملات تلفونات وسكرتيرات ، او اعمال ـ اخرى مثل الخياطة والنسيج .. الخ .

ان هذا الوضع لا يقتصر على التعليم الرسمي فقط ، بل يتعداه ليشمل التعليم غير الرسمي ايضا ، الذى بدوره يعاني من مشاكل شبيهة في مضمونها لما يعانيه التعليم الرسمي . فمعظم برامج محو الامية على المستوى العالمي لم تنجح في تحقيق اهدافها في محو الامية الحضارية او دمج المشاركين فيها في العملية الانتاجية ، ومساعدتهم على اخذ دورهم في تطوير مجتمعاتهم . ففي عام ١٩٧٥ وجدت " البعثة الاقتصادية الافريقية" بان نصف برامج التعليم غير الرسمي المقدم للنساء تقع ضمن دائرة العلوم المنزلية ، فمعظم مشاريع الامم المتحدة الخاصة بالنساء تشمل مواضيع مثل الصحة ورعاية الاطفال والخدمة الاجتماعية "(٧) . ان هذه المواضيع ، ورغم اهميتها الا انها تعمل على تعزيز نمط خاص لدور المرأة في المجتمع . والسبب الرئيسي لهذا الفشل يعود لكون تلك البرامج والمشاريع انطلقت من نفس الارضية التي قام عليها التعليم الرسمي ، ولانها وضعت دون فهم حقيقي لاوضاع النساء المتخرطات في هذه المشاريع ، حيث انه ، وفي اغلب الحالات ، تفرض هذه المشاريع على النساء بشكل فوقي . وهكذا فان هذه المشاريع ، رغم نجاحها الجزئي ، قد حملت بذور فشلها منذ وضعت .

Digitized by Birzeit University Library

النمـــط التعليمـــي البديـــــل :-

ان السؤال الذى يطرح نفسه هنا ما هو النمط التعليمي الملائم للدول النامية بشكل عام وللمرأة في " العالم الثالث" بشكل خاص ؟ اننا لا ندعي باننا قادرين على الاجابة على هذا السؤال ، حيث ان توفير نمط التعليم الثورى البديل للنمط الغربي السائد حاليا يرتبط بشكل جدلي في احداث تغيير جذرى في التركيبة الاجتماعية الاقتصادية لبلدان " العالم الثالث" ، ويرتبط بشكل اساسي في فك عرى علاقات هذه الدول ـ التبعية بالدول الامبريالية باعتبارها الحلقة المركزية في نضال شعوب هذه الدول لانجاز تحررها السياسي والاقتصادى وباعتبارها العامل الاول والرئيسي في الانتقال من قيود التخلف التي ترزح تحت وطأته منذ عقود طويلة . وبالتالي فان الحديث عن تغيير جذرى في انماط التعليم القائمة حاليا بدون تحقيق المهمة المركزية سيبقى ضربا من الوهم وستبقى هذه الدول تدور في حلقة مفرغة وسيكون مصيرها كمن يحرث في بحر او كمن يتوهم بان خض الماء سيفرز له لبنا . ولكن سنحاول طرح بعض الخطوط العامة التي من الضرورى مراعاتها في النمط التعليمي البديل :-

اولا : ان يتلائم النمط التعليمي الجديد مع اهتمامات الجماهير وحاجاتهم الحياتية ومع مشاريع التنمية المقترحة .

ثانيا: ان يسهم في تمكين المرأة من التحرر من اسر القيود البالية. ويزيد من توسيع دائرة انخراطها في مجالات عمل جديدة لان يحصرها في الاعمال المنزلية وذات الطابع النسوى مثلما هو قائم حاليـــا .

ثالثا : كماهومعروف تشكل النساء في دول" العالم الثالث" نسبة عالية من تعداد العاملين في المجال الزراعي لهذا يجب ان يتيح النمط التعليمي البديل الفرص للنساء للتدريب على مهارات مختلفة لها علاقة بالزراعة مثل التسويق والتخطيط الزراعي ومسك الدفاتر والارشـــاد الزراعي والادارة ـ الـــخ .

رابعا : اشراك المرأة في تحديد طبيعة المشاريع التنموية الخاصة بالمرأة والاقلاع عن فرض تلك المشاريع بشكل فوقي فمن حق المرأة تحديد حاجاتها وشكل المشاركة فيها .

خامسا : تحديث وتطوير المناهج بما يتلاءم والارتباط بمنجزات الثورة العلمية ـ التكنولوجية .

كما ذكرنا سابقا فان اى تغيير جذرى مرتبط باحداث تغير على المستوى السياسي ، ومع ان التعليم بحد ذاته لا يضمن لوحده مساواة المرأة وتحررها ، الا انه وبلا شك يساعد على تطوير مكانة المرأة الاجتماعية وبقوى قدراتها على تحدى المشاكل وتجاوز العراقيل التي تقف حائلا امام اخذها زمام المبادرة من اجل الاسهام جنبا الى جنب مع الرجل لتحقيق مجتمع انساني عـــادل .

Digitized by Birzeit University Library

المراجـــــــع :-

١) مجموعة خبراء : محو الامية في الوطن العربي عند مطلع الثمانينات . مجلة تعليم الجماهير عدد ٢٦ / ايلول / ١٩٨٤ بغـــداد .

٢) سامي خضر وبثينة الشعباني : الخدمات العامة في قرى الضفة الغربية وقطاع غزة . مركز الابحاث جامعة بيرزيت ١٩٨٢ .

٣) 3) UNESCO Statistical Year Book 1982 .

4) Michael Kidron and Ronald Segal.The State of the World Atlas. Pan Books .1981 . London .

5) Eva - Maria Regen herdt - Dein, Education for the Third World, Development and Cooperation, page 11, 1984 .

6) WUS Women, Education and Development Campaign. World University Service (no date), London .

7) New Internationalist, January 1980 .

8) WUS, Learning For Change ,A Woman"s Right to learn . World University Service, London, (No Date)

٩) الدكتور مختار الغول : الاستيعاب في التعليم الابتدائي في الاقطار العربية. ندوة خبراء لدراسة معوقات تنفيذ الاستراتيجية العربية. الجهاز العربي لمحو الامية وتعليم الكبار دمشق ١٩٨١.

الهوامـــــش :-

١) محو الامية في الوطن العربي عند مطلع الثمانينات. مجلة تعليم الجماهير ، عدد " ٢٦) ايلول ١٩٨٤ ص ١٢٢ - ١٢٣.

٢) الوثيقة الختامية لمؤتمر الاسكندرية الرابع . مجلة تعليم الجماهير عدد ٢٦/ ايلول / ١٩٨٤ صفحة ٢٢ ، بغداد .

٣) محو الامية في الوطن العربي عند مطلع الثمانينات . مصدر سبق ذكره ، صفحة ١٢١.

٤) اوضاع محو الامية في الاقطار العربية . مجلة تعليم الجماهير ، عدد ٢٦/ايلول / ١٩٨٤، صفحة ٥٠ بغـــداد .

٥) سامي خضر وبثينة الشعباني . الخدمات العامة في قرى الضفة الغربية وقطاع غزة . مكتب محو الامية / جامعة بيرزيت ١٩٨٢ .

٦) اوضاع محو الامية في الوطن العربي. مصدر سبق ذكره ، صفحة ٩٠.

Digitized by Birzeit University Library

من هم الدوشمان ؟

الصحافة البرجوازية تسميّهم " مجاهدين" والرئيس ريغان يتحدث عن " وطنيين" يخوضون حربا من اجل تحرير الشعب الافغاني لكنهم في افغانستان يسمون "دوشمان"، وتعني بالافغانية "عصابات". من هم يا ترى في الواقع ؟.

مـن التـأريخ الاخيـــر

==========

ان ثورة وطنية ديموقراطية معادية للاقطاع والامبريالية قد فجرت في كابول في ٢٧ نيسان (ابريل) ١٩٧٨ بقيادة حزب الشعب الديموقراطي الافغاني. حدث هذا في بلد ذى اقتصاد متخلف وعلاقات اجتماعية باليـــة . وجرفت الثورة الاقطاعيين وخدامهم. وشرعت البلاد في اجراء تحولات جذرية في حياتها الاقتصادية ـ الاجتماعية والثقافية والسياسية.

وقد واجهت هذه التحولات التقدمية في افغانستان مقاومة شرسة من الرجعية في الداخل والخارج بقيادة الدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة . فمنذ عام ١٩٧٨ اخذت واشنطن تعمل على اقامة جبهة افغانية مضادة للثورة معتمدة على الهاربين من الملكيين ومجموعات ومنظمات اسلامية وقومية يمينية متطرفة وكذلك مجموعات ومنظمات يسارية متطرفة ايضا . وبدأت الدول الامبريالية تمويلها بسخاء .. ويقدر ان المعونات الاجنبية لاعداء الثورة الافغانية تبلغ مليار دولار سنويا . ويأتي قسم كبير من هذه الاموال من الولايات المتحدة فيما يتولى توفير الباقي عدد من بلدان حلف شمالي الاطلسي الى جانب اليابان والعربية السعودية واسرائيل والصيـــن .

Digitized by Birzeit University Library

وتستخدم هذه الاموال لتعزيز المنظمات لمعادية للثورة القائمة وتشكيل منظمات جديدة وادامة معسكراتها وقواعدها شبه العسكرية وتدريب وتسليح العصابات التي كان تشكيلها منذ البداية من صنع مخابرات الدول الامبريالية وبعض البلدان الاسيوية . وكان الاف الافغان ممن ضللتهم الدعاية المعادية قد هجروا ديارهم وانتقلوا الى بلدان اجنبية وبالدرجة الرئيسية الى باكستان حيث جمعوا في مخيمات . واصبحت هذه الاعداد من المذعورين واليائسين والمسحوقين مصدر المجندين في صفوف "المجاهدين ".

وظهر اول المرتزقة ــ من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وايران والعربية السعودية ــ في بيشاور ، عاصمة اقليم الحدود الشمالي الشرقي في باكستان، والمدينة التي تحولت الى بؤرة للثورة الافغانية المضادة . وكان الكثير من هؤلاء القتلة المحترفين قد اكتسبوا خبرة واسعة في " الحروب القذرة" ضد الوطنيين في فيتنام والكونغو وروديسيا وانغولا .

ومنذ عام ١٩٧٨ بدأت تصل الى اعداء الثورة شحنات كبيرة من السلاح، كانت تنقل عبر المراكز التجسسية التي اقامتها اجهزة المخابرات الامريكية على طول الحدود الباكستانية ــ الافغانية . واضطلع بدور نشيط للغاية في تنظيم امدادات السلاح زبغنيو بريجنسكي، الذي كان وقت ذاك مستشار الرئيس الامريكي لشؤون الامن القومي (١) .

وانيطت مهمة التحضيرات المباشرة للحرب بخبراء من وكالة المخابرات المركزية يترأسهم لويس دوبري. وقام هؤلاء بتشكيل مجموعات من الارهابيين والمخربين للتسلل الى داخل افغانستان ، وتنظيم عملية تدريبهم

(٢) واقيم زهاء ١٢٠ معسكرا تدريبيا لهذا الغرض في باكستان بمشاركة اجهزة المخابرات الامريكية. وكان خبراء من الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا واسرائيل ومصر وباكستان يدربون " المجاهدين" على استخدام السلاح الحديث والمتفجرات وممارسة اساليب ارهابية بشعة. ومنذ عام ١٩٧٩ اقيم في اسلام اباد مقر اقليمي لوكالة المخابرات المركزية يتولى تنسيق العمليات التجسسية والارهابية والعسكرية في افغانستان .

وفي موازاة ذلك كانت تجرى عملية سيكولوجية لغسل أدمغة السكان عن طريق الدعاية الاذاعية والمنشورات والكراريس التي تحرض الافغان على التخريب ومناهضة الحكومة بنشاط والقيام باعمال ارهابية في افغانستان. ففي احد هذه الكراريس يصور اغتيال عضو في حزب الشعب الديموقراطي الافغاني على انه يعادل ٣٠ الف ركعة صلاة لرب العالمين.

وفي بداية عام ١٩٧٩ دخلت التحضيرات للحرب مرحلتها النهائية، وقطعت الادارة الامريكية مساعداتها الاقتصادية لجمهورية افغانستان الديموقراطية وقلصت التجارة معها. وفي شباط (فبراير) تحدث الرئيس كارتر لشبكة سي.بي.اس مهددا بصراحة باستخدام القوة العسكرية لحماية " المصالح الامريكية الحيوية" في الشرق الاوسط . وبعد ذلك بفترة وجيزة اندفع الاف العصاة مجتازين الحدود الى افغانستان عبر ممرات اعدت سلفا . وتم تعزيز الوحدات المضادة للثورة بعسكريين باكستانيين ذهب بعضهم الى حد قيادة العصابات بنفسه .

في عقر دار الثورة المضادة

ان الحرب غير المعلنة التي تخوضها

Digitized by Birzeit University Library

الولايات المتحدة ضد الشعب الافغاني بعناصر افغانية مشتعلة منذ سبع سنوات ، يتخرط فيها حاليا ما يربو على ٨٠ مجموعة مضادة للثورة ومنظمات مختلفة لها قواعد في باكستان وفي ايران الى حد ما . ويتحدر قادة هذه العصابات من عائلات اقطاعية ثرية والميسورين من رجال الدين . وتكشف الامثلة التالية من هم قادة عدد من انشط المجموعات المضادة للثورة التي تحارب السلطة الشعبية .

غلب الدين حكمتيار يترأس " الحزب الاسلامي الافغاني" وله ارتباطات بوكالة المخابرات المركزية منذ الستينات وبوصفه احد زعماء مجموعة " الاخوان المسلمين" المتطرفة التي تسعى الى استغلال مخلفات القرون الوسطى . ويشارك شخصيا في اعمال ارهابية . سجن في عام ١٩٧٠ لارتكابه جريمة قتل ذهب ضحيتها احد الطلبة ، لكن اسياده في اجهزة المخابرات الامريكية سرعان ما رتبوا اطلاق سراحـــه .

وبعد الاطاحة بالنظام الملكي عمد حكمتيار الى تشكيل مجموعة في باكستان للقيام باعمال لصوصية ضد الشعب الافغاني . وارفد سجله من " المآثر" بفظاعات جديدة منها حرق ثلاثة قرويين احياء في محافظة كوندوز في عام ١٩٧٥ .

وفي نهاية عام ١٩٧٨ اصبح رئيس " "الحزب الاسلامي الافغاني" وقام بتشكيل اكبر عصابة من حيث العدد في قواعد نشأت في باكستان بمعونة غير محدودة من الولايات المتحدة . ومن جرائمه تفجير قنابل في اربعة مطاعم في كابول وحرق سكان قرية ميبان بوشت وهم احياء وتدمير ١٥٠٠ مدرسة ومئات المستشفيات والجسور والجوامع . ان حكمتيار مسؤول شخصيا عن مصرع العديد من الافغان ، ومن بين ذلك اعدام ١٢٠ شخصا بسبب رفضهم المشاركة في العمل المسلح ضد السلطة الشعبيـــة .

واذ يصور حكمتيار نفسه " مجاهدا" فان شغله الشاغل هو توسيع ثروته الخاصة . وتأتي امواله عن طريق الابتزاز والنهب وبيع البضائع المسروقة وكذلك الاسلحة التي يزود بها قطّاع الطرق ، والمخدرات . ولا يفوت فرصة للاستحواذ على الاموال التي ترسل من الامم المتحدة بهدف اغاثة " اللاجئين الافغـــان ".

ان النفعية والقسوة السادية من صفات زعماء الدوشمان الاخرين . فان سيد احمد كيلاني يرأس " الجبهة الاسلامية الوطنية في افغانستان" . وهو ارستقراطي بالوراثة ، كان من المقربين شخصيا للعرش في العهد الملكي وكان ملاكا كبيرا يحتكر تسويق سيارات "بيجو" الفرنسية في افغانستان ويملك فيلات في لندن وبيشاور . عمل في خدمة المخابرات البريطانية ثم اصبح عميلا لوكالة المخابرات الامريكية . وبعد ثورة نيسان (ابريل) هرب الى باكستان حيث قام بتشكيل مجموعة من قطّاع الطرق .

ويتولى زعماء عصاباته وانصاره من الملكيين مهمة جمع المعلومات عن المواطنين الذين يتعاونون مع الحكومة الشرعية ومنهم شخصيات دينية ، ثم قتلهم .

ومن الملكيين الاخرين صبغة الله مجددي : الذي يرأس "جبهة التحرير الوطني الافغانية" السيئة الصيت . وهو ايضا ينتمي الى الارستقراطية الاقطاعية ـ الدينية العليا . وكان قبل الثورة يمتلك ما يقرب ٢٠٠٠ هكتار من الارض .

Digitized by Birzeit University Library

ويرأس الحركة الثورية الاسلامية " رجل دين وملاك معروف يدعى مولوى محمد نبي . وكان في العهد الملكي يتعاون مع اجهزة المخابرات . وانهم باختلاس مبالغ طائلة من مالية حزبه نفسه . وله ايضا ارتباطاته بالموساد ، جهاز الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية . وبعد " هذا المدافع عن الاخلاق والمحافظ على نقاء الاسلام" بانقاذ الشعب الافغاني من " الرأسمالية والالحاد والشيوعية " .

ويرأس منظمة " جمعيتي اسلامي افغانستان" الجمعية الاسلامية الافغانية" الدكتور فقه الدين برهان الدين رباني الذى كان في الماضي ملاكا كبيرا ومصدرا للسجاد . وله رصيد كبير باسم مستعار في بنك عمان . والى جانب اغتيال الابرياء وتفجير القنابل واشعال الحرائق تقوم عصابات هذا الارهابي ــ الديني بتهريب المخدرات الى ايران واحجار اللازورد الى باكستان .

ويمكن القول ان لمنظمات " المجاهدين" المعادية للثورة برنامجا مشتركا هو الاطاحة بالسلطة الشعبية . وتتستر هذه المنظمات ببرقع الدفاع عن الاسلام مستغلة الامية التي تكاد تكون شاملة بين السكان وايمان المواطنين الديني وعادتهم القديمة في اطاعة الخانات والزعماء القبليين والملاك . وهي لا تعتبر الاسلام دينا بقدر ما تعتبره طريقا خاصا للتطور يختلف عن التطور الرأسمالي والاشتراكي مع اعطاء الاولوية للقوانين السماوية . ومن هنا دعوة الثورة المضادة الى النضال لتحرير البلاد من " الحكومة الكافرة" وتطبيق الاصول الاسلامية في المجتمع الافغاني

ويعمد قادة الثورة المضادة بحذاقة الى تكييف النصوص الدينية الجامدة بما يتلاءم والدفاع عن مصالح الطبقات المستغلة (بالكسر) . فهم يدينون الاصلاح الزراعي بوصفه خروجا على الاسلام ومعادياله . وتشدد دعايتهم على ضرورة السلام بين الطبقات . وينبغي ان نؤخذ في الاعتبار الحقيقة الماثلة في ان التقاليد القبلية والعشائرية تطمس في حالات كثيرة جوهر الاستغلال الاقطاعي الذى كان سائدا في افغانستان قبل الثورة . اذ ان من اهداف " المجاهدين" استعداء المواطنين على التحولات الاقتصادية ــ الاجتماعية التقدميـــة .

ان مشاعر العداء لثورة نيسان (ابريل) التي تجمع بين رجال الدوشمان ولا تستبعد نشوب تناقضات حادة في صفوفهم مبعثها انعدام التجانس القوْمي ــ العرقي والانتماء الى مدارس ومذاهب اسلامية مختلفة والمصالح الشخصيةوالصراع بين الزعماء . ومن العوامل الاخرى في هذا الاطار ايضا التصادم بين التوجهات البرنامجية لمختلف العصابات . فالبعض يريد ان تكون افغانستان "جمهورية اسلامية" فيما يتحدث آخرون عن الدفاع عن السكان ضد المارقين ويعقد البعض الاخر آماله على عودة الملكية . وغالبا ما تتفجر التناقضات متخذة شكل صدامات مسلحة .

وفي هذا الوضع لم تسفر المحاولات التي لا تحصى لتوحيد المنظمات الكبيرة المعادية للثورة عن شيء يذكر منذ فترة طويلة من الزمن . وقد شكل في بشاور في عام ١٩٨٤ " " التحالف الاسلامي للمجاهدين الافغان "بضغط من وكالة المخابرات المركزية التي لها مصلحة في تنسيق عمليات هذه المنظمات ويضم التحالف منظمات منها المنظمات التي

Digitized by Birzeit University Library

يقودها حكمتيار ورباني وكيلانـي .

ويأمل قادة الثورة المضادة في استخدام التحالف للحصول على مساعدات اجنبية اضافية : ولكن من الاسرار المكشوفة للجميع ان المساعدات الاجنبية كانت على الدوام العظم الذى تتزاحم عليه الاجنحة المتصارعة، وتقول جريدة " واشنطن بوست" ان المنظمات الاعضاء في التحالف اخفقت حتى الان في اقامة وحدة سياسية او عسكرية بينها ، بل ان اعوان حكمتيار اطلقوا النار على سبعة من قادة " جمعيتي اسلامي افغانستان" واردوهم قتلى في خلال مناقشة حول وضع استراتيجية مشتركة.

الارهـــاب سلاحهـــم

ان اعداء الثورة بصرف النظر عن الخلافات فيما بينهم يستخدمون اساليب متماثلة في الصراع : الارهاب بابشع صنوفه . فلقد ازهقت الاف الارواح البريئة على ايديهم في غضون سبع سنوات من الاعمال الاجرامية الواسعة . ان رجال الذوشمان سفاحون برابرة بكل معنى الكلمة وهم لا يرأفون بالنساء والشيوخ والاطفال . وتنفذ عملياتُ القتل التي يرتكبونها بعد تعذيب سادى واعمال ارهابية دموية، ويحصل الجزارون على ثمن ما تقترفه ايديهم وفق تعريفة محددة لكل جريمة ـ قتل معلم او ملا ، مسؤول حزبي او حكومي ، طبيب او فنان او جندى ، حرق مدرسة او مستشفى ، تفجير جسر او القيام بعمل تخريبي في احدى المنشآت الصناعية .

واذ يمنى مرتزقة الرجعية العالمية بالهزيمة في الصدامات المباشرة مع الجيش الافغاني ، يلجؤون الى ارتكاب الفظائع مثل تسميم تلميذات احدى مدارس البنات في كابول ر اح ضحية الجريمة مئة فتاة تتراوح اعمارهن بين ١٥ و ١٨ عاما (توفيت منهن ١٤ فتاة) ـ او تفجير قنابل في احدى دور السينما في مركز كابول في اثناء عرض للاطفال ، او في مطار كابول او في احدى الحافلات الكهربائية في ساعة الازدحام او في سوق مزدحـــم .

وفي الوقت الذى يعلن فيه "المجاهدون" انفسهم مدافعين عن الاسلام يعمدون الى قتل رجال الدين وتدمير الاضرحة الاسلامية. فلقد فجروا قنبلة في مسجد المعهد البوليتكنيكي في كابول والقوا قنبلة يدوية في فناء كلية دار الحفاظ وفجروا قنبلة في فندق للوافدين الى المزار الشريف، مرقد خليف علي الذى يعد من اماكن العبادة الرئيسية للمتدينين من الافغان ، واطلقوا بدم بارد قذيفة صاروخية على الساحة المزدحمة لمسجد هيرات وهو من اكثر المساجد جلالا عند المسلمين . وقتل على ايدى الارهابيين الدوشمان في الحرب غير المعلنة ضد الشعب الافغاني المئات من رجال الدين، منهم امام الجامع المرزى في كابول، مولان عبد الحميد (٣) .

ان للمستشارين الامريكان ضلعا مباشرا في هذه الفظائع . فلقد نشرت قبل زمن ليس ببعيد يوميات رجل يدعى تشارلس ثورنتون، كان قد قتل في صدام بين عصابات متنافسة في قضاء شاهو اليكوت، محافظة كانداهار . وفيها يسرد ثورنتون كيف قام هو وغيره من "خبراء" وكالة المخابرات المركزية الذين توجهوا الى باكستان منتحلين صفة اطباء وصحفيين. بالاشراف على التدريب العسكرى لرجال الدوشمان والتخطيط لعملية وحشية اسفرت عن تدمير طائرة مدنية من طائرات

Digitized by Birzeit University Library

الخطوط الجوية الافغانية بصاروخ من صنع امريكي . وقتل في العملية ٥٢ شخصا بينهم عدد من النساء والاطفال .

وفي مؤتمر صحفي اعلن اثنان من قطّاع الطرق وقعا في الاسر ان دوشمان متنكرين ببزات عسكرية افغانية او سوفيتية هاجموا قرى آمنة بايعاز من المستشارين الامريكان، وان احدى القرى التي داهموها هي قرية عليسانغي في محافظة باكتيا (من المعروف للجميع ان قوة محدودة من الجنود السوفييت ترابط في افغانستان بطلب من حكومة البلاد) . وقد صور الامريكان هذا الاعتداء الذى ارتكبه " "المجاهدون" ثم عرضوا الفيلم على شبكات التلفزيون الغربية بوصفه" دليلا قاطعا " على ممارسات القوات الافغانية والسوفيتية ضد السكان المدنيين .

ويضاف الى ذلك ان محاولات اجرامية قد بذلت لاستخدام الاسلحة الكيمياوية في افغانستان مقرونة بافتراءات ضد القوات المسلحة السوفيتية). وتشهد على ذلك قنابل كيماوية من صنع امريكي تم الاستيلاء عليها من قطاع الطرق واوامر عليها تواقيع " قادة مسلمين" باستخدام هذه القنابل ضد السكـــان (٤) .

نشرت في كابول (٥) وثائق اصلية تفضح جرائم الدوشمان وارتباطاتهم الوثيقة بالوكالات الرسمية في الولايات المتحدة وغيرها من بلدان حلف شمالي الاطلسي .

ويفعل قطاع الطرق كل ما في وسعهم لتقويض الاقتصاد الافغاني وتعطيل النقل والمواصلات وتخريب الانتاج الصناعي . فلقد هدموا في مجرى الحرب غير المعلنة العديد من المدارس والمستشفيات والتعاونيات وخربوا العديد من التعاونيات الفلاحية وخطوط المواصلات والعديد من الجسور والكثير غير ذلك . وتبلغ قيمة الخسائر المادية المباشرة ٣٥ مليار افغاني (وحدة مالية مستخدمة في افغانستان ــ المترجم) ، وهو رقم يزيد على ثلاثة ارباع اجمالي استثمارات الدولة في الاقتصاد الافغاني لمدة ٢٠ عاما قبل ثـــورة ١٩٧٨ .

نـــــزع الاقنعـــــــة

==========

ان الهدف من هذا الارهاب الواسع النطاق هو تقويض استقرار الوضع في البلاد وتخويف السكان وزعزعة ايمانهم بقدرة السلطة على اعادة الاوضاع الى حالتها الطبيعية . لكن الرياح لا تجرى كما تشتهي سفن الدوشمان. فهم ينشرون الرعب ويحظون بكراهية متزايدة . والافغان لا يريدون العيش في خوف دائم من الغارات، واكراه الشباب على الانضمام الى عصابات قطاع الطرق، والتهديد بجرهم الى مصادمات وحشية دموية بين مختلف المجموعات والاطراف . وحتى الكثيرممن عارضوا السلطة الثورية بنشاط في البداية تتملكهم مشاعر السخط على " "المجاهدين"، اذ ان نسبة الهروب بين رجال الدوشمان آخذة في الارتفاع، وغالبا ما تقدم وحدات كاملة منهم الاستسلام .

وفي محاولة لوقف هذا الاتجاه تزيد واشنطن مساعداتها المادية وغيرها من المعونات التي تقدمها للثورة المضادة الافغانية ، بما في ذلك تصعيد الحملة الدعائية ، اذ يتحدث الذين سلموا انفسهم من قطاع الطرق عن " مركز اعلام افغاني" اقيم مؤخرا في باكستان بمشاركة مباشرة من

Digitized by Birzeit University Library

وكالة المخابرات المركزية. والمهمة الرئيسية التي يضطلع بها هذا المركز هي الترويج لاعمال العصاة على الارض الافغانية (مع اخفاء الطابع الاجرامي لهذه الاعمال) وتلفيق " ادلة دامغة" على فظائع الجيش الافغاني ضد المدنيين .

ولكن من المتعذر التستر على جرائم الدوشمان او تبريرها وتصوير ممارسات الولايات المتحدة في تأجيج هذه الحرب غير المعلنة على انها " معونة انسانية للاجئين الافغان". فلقد بعثت " لجنة الوطنيين الافغان المقيمين في باكستان" مؤخرا برسالة الى الرئيس رونالد ريغان تعلن فيها : " انكم تدعون انفسكم مدافعا عن حقوق الانسان وداعية لاحلال السلام في المنطقة . لكن الواقع انكم تفعلون كل ما في وسعكم لاذكاء .. العدوان على افغانستان ، وتزودون المجرمين من قطاع الطرق والقتلة المحترفين بمزيد من المال والسلاح. وان وضع اللاجئين الافغان .. بسبب نشاطاتكم ، يتفاقم من سيء الى اسوأ. وقد عرفوا من خبرتهم ثمن " الدفاع عن حقوق الانسان" الذى تتشدقون به متاجرين بدماء العزل . انهم يحتقرونكم . وتعلن " لجنة الوطنيين الافغان المقيمين في باكستان" ان الافغان ليسوا بحاجة الى معونتكم الهوجاء فهي تستخدم ضد الشعب الافغاني وضد اللاجئيـــن "(٦).

ان العملية الثورية مستمرة في افغانستان. وان نجاحات السلطة الشعبية في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية تحظى بدعم قطاعات متسعة من السكان . كما ان خطوات القيادة لتوسيع القاعدة الاجتماعية ـ السياسية للثورة الافغانية اخذت تعطي ثمارها ويرغب حزب الشعب الديموقراطي الافغاني وحكومة الجمهورية في اجراء حوار بناء بين مختلف القوى الاجتماعية والسياسية ، بما في ذلك القوى التي ما زالت تتخذ موقفا سلبيا من التحولات الجذرية في البلاد. وفي الاونة الاخيرة وجه مجلس الثورة نداء يدعو سائر الافغان الى التعاون بما يخدم مصالح الانبعاث الوطني ووضع حد لسفك الدماء. ولاقى هذا النداء استجابة ايجابية من ابناء الشعب . واخذت فئات وقطاعات جديدة من المجتمع الافغاني تنضم الى عملية التحويل الاجتماعي . وينحسر تأييد الدوشمان في البلاد فأخذوا يعتمدون بصورة متزايدة على التدخل الخارجـــي .

ان طريق الثورة الافغانية طريق شائك لكن تطورها يقلب رأسا على عقب حسابات اعداء الشعب الافغاني في ارجاع عقارب الساعة الى الـــوراء .

هوامـــش :

١) انظر: Time, June II, 1984, pp.10-13.

٢) انظر: The Secret War of CIA against Afghanistan. Kabul, 1984, pp. 8-10.

٣) Martyred for the Cause of the Truth. The true Moslems murdered by the "Mujaheddin". Kabul, Government Printing Press.

٤) Chemical Weapon: Who Resorts To Its Use? Kabul, 1984.

٥) Enemies' Grimfaces Unveiled, Kabul, 1984.

٦) انظر : " حقيقة انقلاب ثورة" ، حزيران (يونيو) ١٩٨٥ بلغتي البوشتو والدارى)

فريق عمل
منبثق عن لجنة الاعلام والتوثيق العلمي
في مجلة " قضايا السلم والاشتراكية "

Digitized by Birzeit University Library

قراءة في كتاب

"رحلاتي في الخارج" للدكتورة نوال السعداوي

اعداد : جميل السلحوت

٢

في العدد السابق استعرضنا الجزء الاول من رحلات الطبيبة نوال السعداوي وفي هذا العدد نتجول معها في رحلاتها الممتعة وكما قال الناشر في مقدمة الكتاب" ندخل معها الى المكان والانسان في آن واحد، ونربط بين التاريخ والسياسة والاداب دون فاصل. نلتقي بالانسان العادي البسيط بمثل ما نلتقي باندیرا غاندی وكبار الحكام ".

في الهند وضعت الكاتبة خطة للقاء عدد من الادباء والاديبات الهنود . وقد اعجبت من خلال قراءاتها بشجاعة الكاتبات الهنديات فمثلا احدى الكاتبات واسمها " "ساهجال" كتبت تنقد الحكومة وسياسة انديرا غاندی. ومع ذلك ظلت تحتفظ بصداقتها لانديرا غاندی ، وقد التقت الدكتورة نوال السعداوي هذه الكاتبةوسمعت منها اشياء عن حياتها وهيابنة شقيقة نهرو . كما التقت باحدى الكاتبات واسمها " كاملاداس" التي انفصلت عن زوجها لانه لم يكن لديه وقت لحياته الزوجية وقد كتبت بحثا عن القيم الاخلاقية بين الازواج في بومباى بناء على طلب احدى الهيئات، حيثوجدت ان ٩٦ بالمئة من الازواج يخونون زوجاتهم سرا خلال ساعات العمل او في رحلاتهم الى بلاد اخرى او اثناء الدورة الشهرية لزوجاتهم . كما وجدت ان ٧٣ بالمئة من الزوجات مارسن الجنس مع رجال اخرين غير ازواجهن . والباقيات مخلصات ليس بسبب ايمانهن بالاخلاص الزوجي ولكن لانهن قبيحات ؟!.

وتقول الدكتورة السعداوي ان الكاتبة الهندية استطاعت ان تنتهك الثالوث المحرم في معظم المجتمعات وهو الجنس والدين والحكومة دون حرج او خوف . زارت الدكتورة السعداوي احدى الاديبات " امريتابريتام" واهدتها روايتها الاربعين . وهي بعنوان " "ذلك الرجل" وهذه الرواية تكشف الكثير من الزيف في موضوع الدين .

والمرأة في الهند هي التي تدفع المهر لزوجها ، وهذا من ضمن بقايا النظام الامومي الذى كان سائدا .

والمرأة العاملة في الهند بأجر تمثل ١٩ بالمئة من قوة العمل، وكانت الزوجة الهندية

Digitized by Birzeit University Library

الى عهد غير بعيد تحرق نفسها بعد وفاة زوجها او كانت اسرتها تقيدها بالحبال وتلقيها في النار مع جثة زوجها . وقد انقرضت هذه العادة في معظم مناطق الهند لكن المرأة الارمل ظلت مكروهة بعضهم يتصور انها سبب موت زوجها وبعضهم يعتقد انها سبب الكوارث مثل الفيضانات . وقد استغلت بعض الاحزاب السياسية هذا المعتقد لتهاجم انديرا غاندى وهي ارملـــة .

وأشهر الهة الهند ثلاثة هم براهما ، فيشنو وشيفا وهي الهة للقوة والخلق والدمار واغرب ظاهرة رأتها المؤلفة ان معظم زوار المعابد الذين يدفعون الهبات هم من الفقراء

والهنود مشهورون بصدقهم وصراحتهم . ولا يعرفون النفاق الوظيفي وتقول المؤلفة انها حضرت احدى الاجتماعات الكبيرة في دلهي ورأت الوزير يدخل ويخرج كأى شخص عادى ودون ان يلتف حوله احد واثناء النقاش سمعت صغار الموظفين ينقدون الوزير بشدة .

والمجتمع الهندى يعيش جملة تناقضات ومنها اللغة احد الادباء الهنود قال للمؤلفة ان الهندى يولد له لغة ، ويتعلم لغة ، ويفكر بلغة ويحلم بلغةويكتب بلغة " واللغات في الهند تزيد عن سبع عشرة لغة واللغة الرسمية هي الانجليزية واحدى اللغات الهندية واسمها "هندى" اصبحت لغة رسمية ويحلم الهنود ان تصبح اللغة التي توحد بين اللغات الهندية المتعددة . وبسبب اللغة فان الادب الهندى يترجم اولا الى الانجليزيةومن الانجليزية الى اللغات الاخرى كالعربية مثلا .

واهم الكتب المقدسة للدين الهندوسي هو " الجيتا" وهذا الكتاب يحوى الكثير من الافكار الحديثة في علم النفس والفلسفة . ومن "الجيتا" أمن الهنود بتناسخ الارواح ولهذا هم يفرحون للموت .

وتقرأ المؤلفة هذا الكتاب في الهند وتروى لنا بعض اهم قيمه الفلسفية .

وتزور المؤلفة مدينة جايبور بولاية راجستان لترى قصورها الضخمة التي يسكنها ابناء المهراجات الذين توارثوها عن اسلافهم والتي تحوى اطنان الذهب بداخلها . وتصف المؤلفة احد القصور بقولها " دخلنا من البوابة الضخمة الى مقر ضخم يشبه قصور الشاه في شيراز بايران او قصور القيصر في لينينجراد او القصور التي لا هي هنا ولا هناك وانما نراها فقط في الاحلام والخيال لم اكن اتخيل ان الاباطرة المسلمين الذين حكموا الهند قد عاشوا هذه الحياة . لعلهم ارادوا ان يصنعوا الجنة فوق الارض بعد ان تأكدوا من سوء افعالهم وظلمهم للشعب الهندى الفقير انهم ذاهبون الى جهنم الحمراء" وبعض هذه القصور تحول الى جامعات ومعاهد او فنادق بينما بقي البعض الاخر كآثار يتفرج عليها السياح . واحد هذه القصور ويدعى " عنبر" به سماء صناعية ليستمتع صاحبه بضوء القمر والنجوم مع زوجاته ومحظياته دون حاجة الى مغادرة القصـــر .

وفي مدينة " احماد اباد" في ولاية جوجراد على الساحل الغربي للهند بدأ غاندى كفاحه مع الفقراء وعاش فقيرا ومات فقيرا . وتزور المؤلفة بيت غاندى الذى اصبح متحفا وترى ممتلكات هذا المفكر والزعيم العظيم فتصفها لنا قائلة " رأيت المنضدة على شكل طبلية التي كان يجلس امامها على الارض ويكتب اويقرأ . الى جوارها نظارته ، وكتابه لا زال مفتوحا ، وقلمه ، وعصاه وقبقاب خشب ، وصندل ، وصحن وملعقة وتمثال صغير جدا لثلاث قطط معا وهذا كل ما كان يملك غاندى

Digitized by Birzeit University Library

في حياته وكل ما تركه من ممتلكات بعد وفاته وتعقب المؤلفة على ذلك بقولها " قلت لنفسي ان الطريقة الوحيدة الممكنه للحكم على صدق نضال زعيم او حاكم هو ان نعرف املاكه وامواله بعد وفاته وان نعرضها على الناس كما تعرض املاك غاندى ". كما اكتشفت ايضا شيئا اخر كان يملكه غاندى انه " النول " الصغير الذى كان يغزل عليه ملابسه وكان يصحبه في سفره للخارج .

ومقابل بيت غاندى يوجد تجمع مباني صغيرة يعيش فيها حوالي الف شخص من الرجال والنساء والاطفال يتقاسمون كل شيء ويطبقون مبادئ غاندى يتعلمون ويقرأون ويزهدون في الحياة ولا يمارسون الجنس . فليس هناك اى اتصال جسدى بين الرجال والنساء حتى وان كانوا ازواجا قبل انضمامهم الى الاشرم . وهذه " الاشرم " منتشرة في كل ارجاء الهند .

وفي الهند عشرات الديانات منها البوذية " والسيخ" وهم يجمعون بين بعض مبادئ الدين الهندوسي والدين الاسلامي . وهناك مجموعة " الفارسيين" وهم الذين يعبدون النار ويعلقون جثث موتاهم في شجرة لتأكلها طيور معينه اسمها " فالتشرز" وتقول المؤلفة " في يومياى اخذنا احد هؤلاء الفارسيين لنرى كيف تأكل الطيور الجثث . لم نر الا الطيور الجائعة المفزعة تهبط فوق "برج الصمت" . انه برج عال بني خصيصا في وسط المدينة لتوضع فوق قمته جثث الموتى وتترك للطيور لتأكلها . داخل البرج بئر عميق تسقط فيه العظام بعد ان تتركها الطيور وتذوب في حامض معين داخل البئر لتتلاشى تماما " والذى يتمرد على هذا المعتقد ويطلب في وصيته أن يدفن او يحرق فانهم يعتقدون انه يتعرض لغضب الالهة وغضب رجال هذا الدين الذين يرفضون الصلاة عليه .

وتسافر المؤلفة الى مدينة " كاجيوراو" احدى المدن الصغيرة في ولاية " ماديا براديش في وسط الهند وبها اثنان وعشرون معبدا . وترى في احد اشهر هذه المعابد " تماثيل عارية لرجال ونساء يمارسون الجنس الثنائي او الجنس الجماعي . هناك لوحة كبيرة لمجموعة من الرجال والنساء يداعبون بعضهم البعض جنسيا . ولوحة اخرى لنوع اخر من المداعبات ولوحة اخرى لرجل وامرأة اثناء عملية جنسية كاملة " وفي ولاية " جوجارات" تزور المؤلفة في مدينة صغيرة اسمها " اناند" مصنعا للجبن والزبد والبان الاطفال المجففة . كما تزور مزرعة لتربية الجاموس والتي بها خدمة اسعاف عالية الكفاءة حيث سيارات الاسعاف وموظف على اجهزة التلفون لتلقي الاشارة عن مرض اى جاموس . وكذلك الرعاية النفسية للجاموس !!؟ ومركز اسعاف الجاموس هذا تصفه المؤلفة " بأنه اكثر كفاءة من كثير من مراكز اسعاف المرضى من البشر في بلاد كثيرة بل وفي هذه المنطقة بالذات ".

وفي دلهي تقابل المؤلفة انديرا غاندى رئيسة الوزراء وتقول بانها لم تر الا حارسا واحدا على البوابة الخارجية كما تجد في المكتب سكرتيرا واحدا . وتستقبلها رئيسة الوزراء وتتحدث معها وتعلن تأييدها للجانب العربي في الصراع العربي الاسرائيلي كما تتكلم عن اهم المشاكل التي تواجهها وعن تحرر المرأة الهندية وكيفية اشراكها في العمل وتعزو سبب الفقر في العالم الى خطأ النظام الاقتصادى السائد في الغرب .

وتطير المؤلفة من دلهي الى باتكوك في تايلاند مدينة العبادة والدعارة كما تصفها .

Digitized by Birzeit University Library

وتتحدث لنا عن كثرة بيوت " التدليك " التي تستعمل للدعارة والموجودة ايضا بجانب دور العبادة ولهذه البيوت " مرشدون سياحيون " مهمتهم اصطياد الرجال السياح لهذه البيوت والدولة تشجع هذه البيوت لانها تسعى الى انعاش الثروة القومية بالعملة الصعبة وهذا واجب وطني !! ومن باب حب الاستطلاع تدخل المؤلفة احد هذه البيوت متنكرة بزى رجل وترى ما يدور فيها ويكتشفها احد الموظفين عندما سمع صوتها النسائي ويأخذها للمدير اليهودى الذى حاول ان يقبض منها مبلغ ٥ر١٧ دولار بدل استطلاع . فترفض ذلك وتخرج بعد نقـــاش .

وبعدها تزور بعض المعابد وترى كيف يأخذ رجال الدين اموال الفقراء من رواد المعابـــــد .

رحلـــة افريقيـــا :

استغرقت رحلة المؤلفة لافريقيا ثلاثة شهور الصيف عام ١٩٧٧ وأول محطة لها كانت دار السلام عاصمة تانزانيا وهناك تكتشف المؤلفة ان بشرتها السمراء ليست عارا لانها عاشت وسط السود وتتكلم عن ذكرياتها في طفولتها وشبابها وحتى في رحلاتها الى امريكا واوروبا كيف كانوا يستهزؤون من بشرتها السوداء . وفي دار السلام وتيروبي وعنتيبي وجهوا اليها النصيحة هي وزوجها وابنها وابنتها بأن لا يخرجوا من الفندق بعد الغروب لان الامن مفقود وتصف لنا انتشار افلام الجنس والجريمة الامريكية في نيروبي عاصمة كينيا كما تصف لنا انتشار المومسات ايضا .

كما تصف لنا كيف رأت الاسد في غابة " ميكومي ، في تنزانيا ايضا وتطير من دار السلام الى جزيرة زنزبار وفي المطار اعطوها اقراصا وقاية من الملاريا المنتشرة في الجزيرة وتنزل في فندق " يوانا " وهو من فنادق الجزيرة لكنها لم تمكث فيه سوى ليلة واحدة عندما علمت ان بركة السباحة بنيت على الاف الجماجم والهياكل البشرية المدفونة هناك فانتقلت الى فندق آخر من فنادق الدرجة الثالثة وهناك تلتقي مع فتاة مصرية يعمل ابوها قنصلا لمصر هناك، كما تلتقي مع امها ويحصل التعارف بينهم كما تصحبها الام لرؤية متحف زنزبار حيث كان بيتا للعبيد وهناك يوجد قصر محروق كان السلطان يعيش فيه عام ١٨٩٩ وسط مئة من نسائه وتآمرت النساء المائة ضد السلطان وحرقن القصر وهربن باتجاه المحيط . ويتكلمون في بيت القنصل المصرى عن النيل ومنابع النيل واسرائيل وكيف سيبيع السادات مياه النيل لها . وعن بطرس غالي جد بطرس غالي الحالي ورئيس المحكمة التي اعدمت فلاحي دنشواى عام ١٩٠٦ والذى بحث عام ١٩٠٢ مع رئيس حكومته مصطفى فهمي باشا من جانب وبعثة بريطانية من جانب آخر امكانية ايصال مياه النيل عبر مواسير تحت قناة السويس الى سيناء لتوطين اليهود فيها لكن الشعب المصرى اعدم بطرس غالي الجد عام ١٩١٠ كما زارت المؤلفة جزيرة مدغشقر وتناقش الصحف في تنزانيا مشكلة احالة الموظفين على المعاش في سن الخامسة والاربعين حيث ان معظم الناس لا يستفيدون من هذا القانون لان متوسط العمر هناك اقل من هذا العمر .

الفصـل التاســع :

تصف لنا المؤلفة في هذا الفصل رحلتها

Digitized by Birzeit University Library

الى اثيوبيا كخبيرة في منظمة الصحة العالمية التابعة للامم المتحدة بعد ان فصلها السادات من عملها في وزارة الصحة المصرية .

وتروى لنا حياة الامبراطور المخلوع هيلاسيلاسي حتى سقوطه عام ١٩٧٤ كما تروى لنا المهرجانات والاحتفالات التي كان يقوم بها الشعب الاثيوبي بعد الثورة والهتافات التي يرفعون اصواتهم بها مثل " تحيا العدالة والمساواة ، تحيا الحرية وكرامة الانسان ، تسقط امريكا واسرائيل ، تؤيد القضية الفلسطينيـــة ".

كما تصف لنا بعض القيم للشعب الاثيوبي واختلافها من قبيلة لاخرى ففي بعض القبائل تقتل البنت اذا مارست البغاء ، وفي قبائل اخرى يقدسون البغي ، وتحصل المومسات الثريات على سلطة سياسية ففي قبيلة " امهارا تحتل المرأة مكانة مرموقة كانسانة بعكس قبيلة "جوراجي" فالمرأة لا تملك ولا ترث ، وتزوج قبل ان يدركها الحيض ، واذا لم تتزوج حتى هذا السن يعلقونها من شعرها في شجرة وقبل الزواج بثلاثة شهور يخلعون اظافر يديها ورجليها وقبل الزواج بثلاثة ايام تشرب البنت شربة كزيت الخروع لتنظيف الامعاء ويفرض عليها الصيام لمدة اربعة ايام ويوم الزفاف تحبس في بيت لوحدها ويدخل عليها العريس في منتصف الليل ويغتصبها بعنف في حين يقف اهلها على الباب ينتظرون علامة العذرية فاذا خرج المنديل نظيفا تعذب حتى الموت وكثير من البنات يهربن الى العاصمة قبل الزواج ليمارسن البغاء والزوجة في هذه القبائل كالعبد ولا يخدمها احد الا اذا اصابها الصرع او الجنون ويقولون حينئذ ان الروح ركبتها . وفي شهر العسل تركب الارواح الزوجات بنسبة ٢٠٪ حسب دراسات جامعة اديس بابا . وتحظى في هذه الحالة برعاية طيبة واحترام لخوفهم منها . كما ان الاحترام يصل اهلها ايضا . ويفد اليها المرضى طلبا للبركة والشفاء . وتجلس في البيت وفي يدها عصا . واذا اساء اليها احد تضربه ـ والمومسات في اثيوبيا عدة انواع فهناك مومس البار و"مومس الكشك" تسكن في كوخ من القش وتبيع الكوكاكولا ومومس البارات او الحانات والمقاهي ومومس الفنادق الضخمة والملاهي الليلية الفاخرة . ومعظم المومسات متدينات والناجحات منهن لا يتزوجن والمومس الفاشلة هي التي تتزوج لانها فقيرة .

الفصـــل العاشـــر " جزيـرة العبيـد

طبيعة عمل المؤلفة كخبيرة في المنظمة الدولية فرض عليها ان تكون كثيرة السفر والترحال فاكتشفت ان الانتقال من بلد افريقي الى بلد افريقي آخر لا بد وان يمر باحدى العواصم الاوروبية فلكي تصل من اديس بابا الى النيجر او السنغال مثلا لا بد ان تطير الى القاهرة ومن هناك الى باريس ومن باريس الى داكار . ورغم ان الدول الافريقية حاصلة على استقلالها السياسي الا انها لم تحصل على استقلالها الاقتصادي فقد كانت المؤلفة تتنقل من الطائرة الافريقية فوق الارض الافريقية لتركب الطائرة الفرنسية او الانجليزية فوق ارض اوروبا التي تنقلها الى الطائرة الافريقية فوق الارض الافريقية مرة اخرى ، وتعقب المؤلفة على ذلك بقولها " واشعر بالمهانة لا تزال بلادنا الافريقية عاجزة عن الاتصال بعضها بالبعض دون وسيط من البلاد الاستعمارية وتزداد المهانة حين ارى المضيفة

Digitized by Birzeit University Library

الافريقية السوداء تنحني باحترام لكل من ارتدى بشرة بيضاء ورطن بلغة اجنبية، تلبى رغباتهم وعلى وجهها ابتسامة، وانا اناديها فلا تسمعني وكانها صمـــاء ".

واثناء مرورها في مطار القاهرة لاحظت ان عمال النظافة يرتدون بدلا اجنبية يكنسون الارض وعلى ظهورهم علقت احرف انجليزية. وتندهش المؤلفة حين تعلم ان شركة انجليزية اصبحت هي المسؤلة عن امر تنظيف مطار القاهرة ـ طبعا العمال مصريون . وتعقب على ذلك بقولها " يمكن لعقلي ان يتصور ان الحكومة قد تستعين بالخبرة الاجنبية في مجال علمي عويص او في حل مشكلة تكنولوجية مستعصية، ولكن ان نستعين بشركة انجليزية لكنس ارض مطارنا فلم يخطر ببالي او خيالي. ولكن هذا هو ما اوصلنا اليه حكم السادات فبعد ان كنا بصدد التصنيع الثقيل اصبحنا نعجز عن كنس مطارنا بأنفسنا او اننا نكنسه بأيدينا تحت ادارة واشراف انكليزي ، وكأننا نعلن على الملأ اننا لا نملك الا سواعدنا ونحتاج دائما الى عقل آخر غير عقلنا كي يشغلنا ويديرنا ".

وتضيف " والغريب انني رأيت المنظر نفسه في مطار جدة والاغرب من هذا انني لم ار هذه اللافتة على ظهور الكناسين في مطار دار السلام او عدن او داكار او نيودلهي او كولمبو او حتى زنجبار جزيرة العبيد "!

وتكشف لنا في هذا الفصل حقيقة الخبراء الدوليين والمساعدات التي تقدم للدول النامية والحلول التي تطرح وسأنقل هنا تكاليف احد المشاريع الانمائية كما ترويه المؤلفة حيث تقول " في فندق داكار الضخم المطل على المحيط الاطلسي جلست وسط هؤلاء الخبراء الدوليين، عرض احدهم مشروعا جديدا للتنمية في السنغال ميزانية المشروع ١٢٦ الف دولار قسمت كالاتي :

مرحلة اولى العام الاول :

٤١ الف دولار اجر الخبير في السنة .
٢٠ الف دولار اجرة مساعد الخبير في السنة
٢٥ الف دولار لشراء سيارة للخبير .
١٥ الف دولار اجرة لسائق الخبير في السنة
٥ الاف دولار مصاريف طبع التقارير .
١٠ الاف دولار شراء اجهزة تكنولوجية حديثة .

مرحلـــة ثانيـــة العـــام الثانـــي :

==========

٣٠ الف دولار مصاريف عقد مؤتمر في نيويورك لمتابعة المشروع .
المجموع ١٢٦ الف دولار امريكي .

ثم تروي لنا مناقشات المؤتمر التي تعطي الانسان صورة واضحة عن طبيعة ما يطلق عليهم الخبراء الدوليون. وبعدها تكتب لنا عن تاريخ هذه الجزيرة كما سمعته من فتاة افريقية تعمل بالصحافة .

Digitized by Birzeit University Library

حضور الذاكرة في قصتي "الرفيقة فيرونيكا" و"مندوب خبز دولتكه"

بقلم : ابراهيم العلم

تربط بين هاتين القصتين انفاس ملحمية تتصل بالماضي النضالي لشعبنا وتسقطانه على حاضر الثورة في ظل الركود الذى تشهده الساحة الوطنية .

ولقد انصبت عناية ابراهيم الدقاق في " الرفيقة فيرونيكا" على ابراز الحدث من خلال لوحة بانورامية ممتدة الابعاد ، وجعل وكده تسليط الضوء على شخصية البطلة بما يخدم الفكرة التي يهدف الى اضاءتها ، ولهذا بدت "فيرونيكا" رمزا جسّد الكاتب به رؤيته مما جعله يخفق في خلق الحياة عليها بما يماشي الواقع وينسجم مع منطقه . ولعل مردّ ذلك ان الكاتب يسعى الى ان يعالج غير موقف في القصة فبذا كمن يحاول ان يحمل على راحته بطيختين مماقد يؤدى الى سقوطهما او سقوط واحدة على الاقل ،على ان في القصة اكثر من بطيخة سالمة !! وفي هذا كسب فنيّ يحمد به ابراهيم الدقاق. ومن الجدير الاشارة الى ان القصة القصيرة لا تحتمل اكثر من موقف اذ نستشرف في القصة ماضيا يعود الى مستهل العهد الاحتلالي للضفة الغربية ، ويجول الكاتب بنا في مشاهد تتسلسل تاريخيا من خلال علاقة عاطفية تقوم بين بطلها الذى يدين بالمسيحية وبطلتها التي لا تفرق في الانتماء بين دين وآخر،ولكنها مؤمنة بالله فهي تصلّي في الكنيسة التاريخيّة التي تحمل اسمها ،وتصلّي في المسجد وفي جميع اماكن العبادة !!

وربما شعر الكاتب ان في سلوك بطلته غرابة مستهجنة فتطوع بالايضاح اذ كانت امّها مسيحيّة ذات ورع وتقوى ، اما والدها فمسلم يعمل موظفا في المحكمة الشرعية بعكا وهذا هو الموقف الاول ، وقد قصد اليه الكاتب كي يوحي بأن تعدد الاديان في الوطن الواحد لا ينبغي ان يحول دون الوحدة الوطنية .

وفي علاقتها بأحد الشباب دلالة اخرى هي هذه الوحدة بين الجزء الاسير من فلسطين والجزء المحتل ، فهي عكيّة ، اما الشاب فمقدسي.. وتحمل علاقتها بابن خالها اشارة رمزيّة اخرى،هي هذه الصلة الحميمة التي لا تنفصل بين ابناء شعبنا في الوطن واخوته في المنفى ، وهذه الاشارة لا تستغلق على الفهم حين يقدمّها الكاتب في المقطع التالي " لقد قلت لي انك سلّمت نفسك لابن خالك في آخر ليلة التقيته لانهم اقتلعوه من الارض وهو لا يزال في صلب ابيه ، وقبل ان يصل الى

Digitized by Birzeit University Library

رحم امّه ، لقد قلت انك اردت بذلك ان تزرعي العودة والامل في رحمك ". الا انهما حين يسعيان الى الزواج تلاحقهما الشرطة فتحول دون اتحادهما من جديد ...

فان ملامح "فيرونيكا" تستمد اصولها من تاريخ الشعب وحياته في ظل التجزئة والاحتلال والنفي كما بدت ملامح الفتى المقدسي واضحة لانه يعكس المناخ النضالي لشعبنا في الارض المحتلة ، وقد استعان الكاتب على ذلك برصد الحركة الخارجية واستبطان العالم الداخلي للبطلين .

ولم يغفل ابراهيم الدقاق الاشارة الى هذا الالتحام بين الماضي والحاضر في وحدة لا تتجزأ ، فان ماضي عكا ينتصب امام عيني البطل من خلال ثورة الشعب في عهد الانتداب" واتذكر التلاتة والتلاتاء الحمراء واتذكّر عكا وسجنها وهدير بحرها والقلعة " ومثل اشارة الكاتب الى هذه الوحدة النضالية بين ابناء فلسطين قبل سنة ١٩٤٨ وبعدها. فقد كان والد البطل " ينقل الرسائل والاموال للثوار وبدل ان يكتم الامر ثرثر بما فيه الكفاية حتى ألقي القبض عليه ". وفي هذه العبارة يقف الكاتب موبّخا لا موبِّخا للاحداث ..

ان المساحة الزمنيّة التي تضم المواقف مترامية ، ولكن الكاتب حقق نجاحا واضحا في ان يشدّ القارئ الى قصته من خلال الايحاءات العميقة التي بعثتها الرموز المختلفة ، فضلا عن النظرات الفكرية الثاقبة التي انطوت عليها وحملت عناصر التأثير كقوله " كانت تقول ان لقاءنا جزء من الحقيقة وان علينا بناء علاقتنا بثقة لتكتمل الحقيقة " الا انه قد ندّ عن الكاتب عبارات يمكن ان تعد تدخلا مباشرا في الحدث ، ولعل الذى دفعه اليه حرصه على ان يقدم لوحة تاريخية ذات تفصيل كاشارته الى الجندى الصهيوني الذى يحضره بالقول (لم يكن الجندى الجالس بجانبي عابثا بافكاري" ربما لانه كان يتمنى يوما مريحا واجازة يمضيها مع صديقته على شاطئ طبريا ، او ربما يفكر بالحاح اصدقائه عليه مشاركتهم طلائعيتهم ببناء مستوطنة في غور الاردن، ربما ،وربما لانه كان يفكر بالسفر والهجرة الى الخارج كما يسافر غيره ليريح نفسه من ضغوط الحياة هنا ، ويمارس النقد للسياسة الاسرائيلية وهو مستريح . من حقه ان يفكر وان يختار ، ربما لانه يملك بندقية ".

فان النجوى النفسية يمكن ان تكون ذات غناء في هذا الصدد ، بدلا من ان ينقلها الكاتب ،وذلك بان يجريها الجندى في ذهنه.

ففي القصة نزعة تسجيلية واضحة الا انها لا تطغى على الجانب الفنّي فلم تتحول الى مادة اعلامية تعتمد الفكرة المباشرة ، لان كل عمل فني ناضج ينبغي ان ينطوى على فكرة ذات شأن وان يقوم على معمار فني موح ايضا ولقد حقق ابراهيم الدقاق في هذه القصة جدة في المضمون وعمقا .

وتشترك قصة " مندوب خبرّ دولتك " لسامي الكيلاني مع القصة الاولى في هذا الاحساس العميق بالماضي والاهتمام بتوظيفه لاضاءة الواقع ،اذ تربطان بين تاريخ فلسطين وحاضرها .

ان الفلسطيني في هذه القصة يعيش في وسط معادٍ سواء في ظل الاحتلال ام معانطة عربيّة واجنبيّة ، فان بطلها يسافر الى لندن للعمل فيصطدم بموقف يبعث سخطه ، وذلك حين يرفض الموظف الانجليزى المسؤول ان يمنحه اذن الاقامة لان كشْطاً يتخلل احرف الاسم ، فحاول عبثا ان يفهمه ان هذا الكشط

Digitized by Birzeit University Library

معنه خطأ في كتابة الاسم ولا ينبغي ان يؤخذ به ،لانه ليس مسؤ،ولا عنه بل موظف الداخلية في الدولة التي منحته جواز السفر .

وتتنقل مشاهد القصة خلال مساحة رحبة في المكان والزمان،على ان العودة الى الماضي في هذه القصة لا توحي بالجو النضالي الذى اوحت به قصة " الرفيقة فيرونيكا" بقدر ما تشير الى خيانة الزعامة الرجعية خلال الانتداب الاستعمارى والى سذاجة العقليّة العربيّة آنذاك،تلك الزعامة التي جمعت الى الزهو الاجوف مطامع رعناء فكانت تسارع الى التصديق وتستنيم الى الغرور" اسمع يا مستر ، هل لديكم ملفات قديمة؟ بالتأكيد لديكم ، اذن خبّر ذوى الشأن عندكم بأنني حفيد المدعو صالح الذى خرج يهتف في المظاهرات (مندوب خير دولتك ،لندن مرابط خيلنا) ،جريمة تستحق العقاب، لندنكم هذه كان جدّى سيحولها الى مربط للخيل، جريمة في حق الحضارة، وانا حفيدة ، هذه القضية اربح بكثير بالنسبة لك . مسكين يا سيدى صالح، كانت طموحاتكم تعانق عنان السماء ، وكان قادتكم يحجّون الى هذه "اللندن" ويقبلون الارض تحت نعال حكامها ، ويسبحون باسم الصداقة التي لم تسمن ولم تغن من جـــوع ".

ومما نؤخذ به هذه القصة ان كاتبها لم يمهل النفس في انتقاء الموقف الفني الذى ينظّم اجزاء الحدث ويضم مشاهده ذلك ان المقدّمة التي استهلّت بها هذه القصة ضعيفة الصلة با لموقف الرئيسي وهو المواجهة بين البطل والموظف الانجليزى المعني بمنح اذن الاقامة للقادمين الى انجلترا ، ولا علاقة لها بالحوار مع مدير المصنع الاسرائيلي او مع اسرائيلي آخر يدعى مردخاي. ولم يفسح الكاتب مجالا لسبر أغوار بعض المواقف وتعمق ابعادها ، الامر الذى جعل رسمه للشخوص يبدو ضعيفا، فقد ظهرت كالدمى التي تنطق بلسان الملقّن في مسرح العرائس، فهي ادوات في يد الكاتب استخدمها ليدلي بنثار من الاراء حول قضية وطنه المغتصب وليستعرض صورا من الماضي والحاضر، اذ تنكب عن اعادة بنائها بما يعمق الواقع في الذهن ، فظهرت متباعدة الاجزاء .

أما الحدث فلم يعن سامي الكيلاني بتطويره بقدر عنايته بالعرض التسجيلي للواقع في ماضيه وحاضره .

Digitized by Birzeit University Library

هل حققت هوليوود ما تبتغيه ..؟

سينما

منذ أن تولى ريغن منصب الرئاسةتضاعفت وبشكل يلفت النظر موجة الاعلام التي تعادى الاتحاد السوفييتي ودول المنظومة الاشتراكية، ودول امريكا اللاتينية التقدمية، وبالطبع كان للعرب نصيب لا بأس به من هذا الاعلام المسموم.

وفي الحقيقة لا نريد ان نستعرض كل ما كتب وصور وطرح و(لازال)، لكن نشير الى ابرز واجهة اعلام مؤثرة على الجماهير والتي لعبت ولا زالت تلعب دورا حقيرا في تبني هذا الاعلام المعادى الا وهي هوليوود، حيث انها انتجت خلال الستينيّ الاخير تين ١٩٨٤ – ١٩٨٥ اكثر من عشرين فلما سينمائي وتلفزيوني(على الاقل)طيء بالعنصرية والحقد وقلب الحقائق ضد الشعوب المذكورة اعلاه وانظمتها التقدمية. وفي الحقيقة ان هوليوود بذلت جهدا مضاعف في الاخراج والتكتيك السينمائي لاخراج كذبها وكأنه الحقيقة، وتطرح الاشياء التي لا وجود لها اطلاقا على ارض الواقع وكأنها الحقيقة الموجودة. ودعونا هنا نستعرض وبايجاز بعض هذه الافلام. فعلى سبيل المثال نأخذ فلم (السادات) الذى يشوه ثورة مصر ويضع جمال عبد الناصر موضع الخائن والدكتاتور، والسادات امل مصر ووجهها الديموقراطي الناضج... انه شيء مضحك حقا؟؟ ثم فلم آخر بعنوان (مسادا) تعمدت به هوليوود بان تطرح فكرته بشكل تاريخي محاولة منها ان تضع تاريخا لم يسمع او يقرأ به احد من قبل. لقد كانت رسالة هذا الفلم هو تبرير الاحتلال الاسرائيلي لمرتفعات الجولان معتبرة اياها بانها جزء من اسرائيل تاريخيا. ان قصة هذا الفيلم لا تختلف عن القصص الخرافية التي اخرجتهامن قبل. اما الافلام عن العرب وعن الشخصية العربية بالذات فهي كثيرة وتشاهد فيها دائما بان هذه الشخصية غير متحضرة،

Digitized by Birzeit University Library

غشاشة ،مخادعة، ارهابية ومتعطشة للدماء، بلهاء وغبية تصلح لان تكون موضع سخرية وضحك. وبالتأكيد يمتد هذا الشعب حتى الى وجه الحياة في البلدان العربية ، فلا وجود في هذه الافلام لاى مدن عصرية او حضارة انسانية ما عدا العقال والجمل ...؟ واذا اردنا المزيد نشير ايضا الى موجة افلام (رامبو)تلك الشخصيةالعسكرية التي يتباهى بها ريغن، محاولا زرع المزاج العسكرى عند الشاهد بغية تهيئة الرأى العام لدعم سياسته العسكرية العدوانية والبرامج النووية وتسليح الفضاء، ونلاحظ ايضا في هذه الافلام ان فيتنام وقصص الهزيمة العسكرية لامريكا فيها قد حولتها هوليوود الى انتصارات وبطولات خارقة للجندى الامريكي الذى لو سئل بنفسه لاعترف بالهزيمة وما جلبته هذه الحرب من ويلات ورعب. ويبدو ان ريغن يتجاهل الرأى العام بخصوص هذه الحرب، فلجأت هوليوود الى هذا النوع من الافلام لاعادة هيبة الجيش الامريكـــي .

وقد انتقلت هوليوود ايضا في افلامها الى امريكا اللاتينية واخرجت اكثر من فلم تعرض فيها همجية الثوار والعنف التي جاءت بها الثورة بعدما كانت هذه البلدان تعيش حالة ازدهار في ظل الدكتاتورية ونذكر على سبيل المثال فيلم بعنوان (الطائرة الاخيرة).

اما عن الاتحاد السوفييتي، فهو هدف الاعلام الامريكي في كل ثانية، للانتقاص منه والهجوم عليه، وتصور هوليوود ان هذا البلد الاشتراكي سجن كبير يعاني الناس فيه مأساة عظيمة وملاحقات بوليسية تكاد ان تفوق ما يحدث في البلدان الدكتاتورية، فيأتي فيلم (زاكروف) مثلا، وفيلم آخر يتحدث عن غزو عسكرى مزعوم للقوات السوفييتية وقوات حلف وارسو بعنوان (ريد دان) ويصور فيه الجيوش بأنهم قتلة ولا يعرفون الرحمة، حيث يبتدئ الفيلم بخرافة وينتهي بمثلها، ثم فيلم آخر بعنوان (غوركي بارك) لا يقل عنصرية وعدوانية عن الذى سبقه، واخيرا جاء فيلم (راكي ٤) الذى يعد تعبيرا حقيقيا عن السياسة الريغانية التي تضمر الحقد والعدوان ضد الاتحاد السوفييتي، لقد وصلت السخافات والطرح اللامعقول في هذا الفيلم درجة دفعت العديد من المخرجين السينمائين الامريكان ان ينتقدوه ويصفوه بانهملىء بالعنصرية واحد الافلام السيئة جدا لعام ١٩٨٥. ومن الملاحظ بان الافلام التي عرضت والتي تحاول ان تظهر الاتحاد السوفييتي بانه خطر محدق بالبشرية جاءت في وضع سياسي حاد، تميز بتصاعد وتيرة الحرب الباردة، وتسليح اوروبا، اذنهذه الافلام عمليا هي لتهيئة الرأى العام نحو الهدف الثاني والذى هو توجيه الضربة للاتحاد السوفييتي او الدول التقدمية الاخـــرى .

ومهما تحاول هوليوود ان تزيف وتشوه الواقع فان الشمس لايمكن حجبها بالغربال..

عن (صـوت الاتحـاد) جريدة
الاتحاد الديموقراطي العراقـي
فـــي امريكـــا وكنـــــدا

Digitized by Birzeit University Library

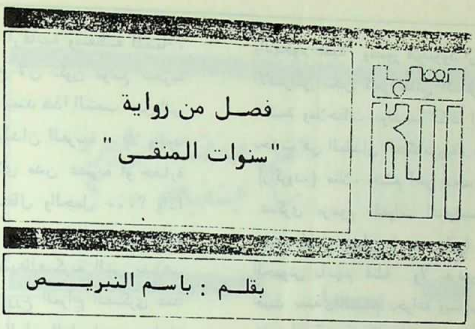

الفصل الثالث :

بعد معاناة رهيبة استمرت خمسة عشر يوما ،جبت خلالها ـ مع اكثر من عشرة سماسرة ـ معظم شوارع القاهرة والجيزة : استطعت الحصول على شقة متواضعة وبسعر معقول نسبيا.

كانت شقة لطبيب ، اكتشفت فيما بعد ، انه دكتور جامعي وليس طبيبا فقط .

مما جعلني اشعر بفرح غامر لهذه المصادفة الطيبة ، فاعتبرتها فألا حسنا رغم عدم ايماني بمسألة الفأل .

قلت مهنئا نفسي بثقة هائلة : " ان يكون مالك الشقة التي تؤوى جثتك ، مثقفا وذا شهادة علمية عالية، فهذا يعني الاحساس الرائع بامكانية التفاهم معه، وبالتالي الاحساس الاروع بالامان. فقد اجتزت مرحلة القلق والخوف ، ولم تعد ترعبك " مهزلة" اوضاعك المادية ، التي ليست على ما يرام دائما ، بل هي في معظم الاحيان عرضة للوقوع في ازمات قادحة ..!".

تذكرت حينئذ فؤاد، وتذكرت مماطلته السمجة معي ، عندما ذهبت اليه راجيا ان يسلفني مبلغا من المال ، ينقذني من الحاح مالك الشقة السابقة .هذا الذى لم يتورع ـ حينما تيقن من افلاسي التام ـ عن الصراخ في وجهي ـ امام سكان الطابق ـ ان اذهب لانام تحت احد الكبارى ، او اذهب الى "جهنم" .. ، المهم الا امكث يوما آخر في شقته .

... تذكرت الموقف الحرج ، الذى اوقعني فيه افلاسي وسلبية فؤاد المطلقة ، فؤاد القادر ـ بمنتهى السهولة لو اراد ـ على انقاذى منـــه !.

... وتذكرت كل التفاصيل المؤلمة : غضبة المالك الشرسة المباغتة ، تدخل الجيران الطيبين ، في محاولة للدفاع عني واقناع المالك عن طريق استدراج عواطفه ، بتذكيره بالاصول والواجب والعيب والعشم ..... الخ !.

ـ "ميصحش يا معلم .. الراجل غريب ولازم تراعيه حبتين برضه ".

ـ "دا من احسن اللي سكنوا هنا .. دا

Digitized by Birzeit University Library

حتى يستحي من نفسه ...".

- " كل واحد عنده كلمه يلمها .. انا صبرت عليه باما في غيره معهم فلوس ومستعدين يسكنوها بعشرين جنيه زيادة .

- .....

تذكرت كل التفاصيل، فتدمت لانني قبلت السكن في شقة يمتلكها صاحب مقهى، وتذكرت قريبي الذى خذلني، وابتسامته الشامتةالقذرة، ونصيحته الفجة الاشد قذارة : حينما طلب مني ان ابيع (كرتونة كتب من حمل الكراتين الموجود عندك، لاحد تجار سور الازبكية) كي اسدد الاجرة.

تذكرت كل ذلك، فشعرت بعمق الجرح، وبشاعة المهانة، وبمدى النذالة التي وصل اليها فؤاد .

همست معزيا نفسي باسى : " لا بأس .. يجب ان تتناسى قليلا قضية الكرامة .. فأنت لا كرامة لك .. لا في وطنك المحتل ولا خارجه ... ثم استدركت : على ان هناك - في الوطن - ورغم كل الظروف يظل الحد الادنى منها متوفرا، اما هنا ....".

حاولت الخروج من الجو المتجهم الذى جلبه استسلامي لتداعي الذكريات ...، فقمت واغلقت شبابيك الشقة، واحكمت اغلاق صنابير المياه، وبعد ان اطمأننت ان كل شيء على ما يرام، عزمت على مغادرة الشقة والذهاب الى فؤاد - لاسترداد حاجياتي منه قلت وانا اغلق الباب الخارجي :

- " لا شك ان فؤاد سيفاجأ عندما يرى شقتي ".

- " وسيفاجأ اكثر حينما يعلم ان مالكها دكتور كبير ".

- " ولا شك انه سيعترف - ولو امام نفسه - بان هنالك في هذه المدينة ، من هم اسعد حظا منه ".

ضحكت بجذل اثناء نزولي درجات السلم الخالي :

قلت بصوت خافت مشبع بالامل والحماس والنشوة :

" من الممتع حقا ان يجد الانسان " جحرا " يؤويه في هذه المدينة الفاجرة ! "

ثم اردفت بصوت اقل خفوتا .

" ومن المسهج ان يتبقى لديه فائض من مصروفه الشهرى، يستطيع ان يشترى به بعض الروايات الجيدة مرتفعة الثمن ! "

في اسفل العمارة على الباب الكبير، كان عم ابراهيم البواب جالسا على دكة خشبية مع زوجته العجوز.

مسيت عليهما، واخبرتهما انني ذاهب في مشوار صغير، وربما اعود في المساء.

قال عم ابراهيم :

- "مع السلامة".

قلت :

- " اذا فتح الفرن جيب لي خمسة عيش اوعى تنسى يا عم ابراهيم ".

قالت زوجته :

- " حاضر يا بيه .. ما يهمكش "!.

شكرتها ومضيت .

في الطريق، تذكرت اللقب الذى منحتني اياه زوجة عم ابراهيم، فابتسمت لخاطرة راودتني " ماذا لو عرفت هذه العجوز الطيبة، ان هذا " البيه" الذى تراه متأنقا و " ابن ناس" ، قد يضطر في المستقبل لاستدانة مبلغ " وصل الكهرباء " من زوجها ...؟؟" وصلت الى ميدان الجيزة، كان غاصا بالزحام ، وسحب الاتربة تملأ الجو، والضوضاء هائلة بدرجة تستفز الاعصاب . وقفت على الرصيف المخصص لانتظار الاتوبيس الذى ابتغيه، طالت

Digitized by Birzeit University Library

وقفتي ، فاخذت اتأمل ملامح الوجوه من حولي : كانت تعبر بوضوح عن الارهاق الشديد والضجر ، والاستسلام العاجز لشيء ما ، لم يكن استسلاما بالضبط ، كان شيئا اقرب الى الخنوع المجاني .. ثم اكتشفت ان معظمها يعاني من انيميا متفاوتة الدرجات . قررت في نفسي " انهم لا يأكلون حيدا ".

فصرخ صوت في اعماقي ممتلىء بالهزء " وهل انت تأكل جيدا .. ؟!" . لفت انتباهي وجه طفل صغير ، كانت تحتضنه امرأة شعبية بائسة ،وكان مستغرقا في نوم وادع ، فكرت " هل تحتمل رئتاه الهواء الطوث الذى تتنفســه ؟".

هبت زوبعة مثقلةبالغبار ، فاخرجتني من حالة التأمل ، وتذكرت على الفور ان وقتي طالت اكثر من اللازم ، ومن الافضل ان اكون عند فؤاد قبل الخامسة .

قلت لنفسي ــ وقد احسست الغبار على بشرة وجهي .

" يجب ان تخرج من هذا الميدان اللعين باقصى سرعة ممكنة ، حتى لو اضطرك الامر لركوب سيارة ".

وبالفعل ، بعد ان يئست من قدوم الاتوبيس ،توجهت الى الناحية الاخرى من الميدان، وقفت امام" سينما الفنتازيو" ، صدمني الطابور الهائل الواقف امام المجمع الاستهلاكي ، كان معظم ذلك الطابور من النساء الشعبيات ، وكن يتزاحمن بشكل غوغائي ،مما اتاح الفرصة لنشوب مشادات كلامية ساخنة بينهــن .

سألت بائعا متجولا كان يقف بجانبي ويراقب المشهد بألفــة .

ــ "بيتزاحمو؛ على ايه دول ؟".

اجاب مبتسما :

ــ " على الجبنة يا بيه ".

دهشت بشدة :

" هل تستحق " الجبنة" عناء الانتظار الخرافي ، ومشقة التزاحم المهووس ، وبهدلة التطاحن الاخرق ..

لماذا ..؟ اليس ذلك في غاية العبث؟

اليس اهدارا لادمية الانسان ؟

لا اعــرف !.

اسئلة كثيرة في هذا البلد لم اتوصل الى اجاباتها المقنعة . واوضاع كثيرة ما زالت غامضة ويجب ان اكتشفها ، وامور متعددة تبدو غير طبيعية على الاطلاق ، واشياء مختلفة في ذروة العبث ولا تخضع لاى منطق .. ظواهر تشبه الطلاسم والالغاز ...."

اشرت الى سيارة اجرة ، فوقفت .

ركبت في المقعد الخلفي وانا اتذوق احساسا بالظفــر .

كان بجوارى فتاتان جميلتان من حديثهما عرفت انهما جامعيتان ، وان احداهما ــ التي بجانبي ــ على وشك التخرج .

نظرت اليها بطرف خفي . فهالتني كثافة الاصباغ على وجهها . كانت في قمة الاناقة ، كأنها قادمة من احد بيوت التجميل ، وكان وجهها طازجا ، كأنها استيقظت لتوها من نوم عميق ، وكانت رائحة عطرها المثيرة تنبيء عن وضع اجتماعي مختلف .

تذكرت المصطلح الشهير، الذى يردده دائما صديقي المصرى المغمور .

" اولاد ذوات يا عم !".

وفكرت " لا بد انها منهم ".

حينما اقتربت من ميدان التحرير، اشرأبت برأسي ، فقرأت العداد ، واثناء نزولي نقدت السائق المبلغ وفوقه عشرة قروش اضافية ، لكن المبلغ لم يعجبه ، وطلب

Digitized by Birzeit University Library

الضعف واصر على ذلك .

سألته باستغراب :

- " ليه .. هو العداد كام ؟".

فرد بابتسامة ساخرة :

- "عداد مين يا زوق .. هو حد في البلد النهاردة بيمشي على عداد؟!.

سألته مستنكرا :

- "أمال مشغلينه ليه ؟".

رد بعصبية مفاجئة :

- "علشان الحكومة بس ... يعني حضرتك مش عارف ؟!.

وحينما لم اجد فائدة من مواصلة الحوار، وبعد ان ازداد تأفف الراكبتين الخلفيتين ، بحجة انهما " مستعجلين قوى" ، اضطررت ان ادفع المبلغ المطلوب صاغرا ....

قبل ان تتحرك السيارة، سمعت السائق يخاطبني قائلا :

- " احمد ربك اللي وقفت لك .. كان زمانك ملطوع هناك !".

" شعرت بامتعاض وقرف .. وتذكرت اخر مرة، ركبت فيها سيارة اجرة من شارع ديزنغوف بتل ابيب ، الى ميدان الساعة في يافـــا ....

لم يأخذ مني السائق ـ حينذاك ـ قرشا واحدا لا يستحقه !.

احسست بالاسف لهذه المقارنة ،واحسست بالفجيعة لمدى تدهور الاوضاع في هذه المدينة البشعة .

وعقدت العزم على عدم ركوب سيارة اجرة مرة اخرى، الا في حالات الضرورة القصوى .

لم تكن القضية، قضية فلوس ـ رغم وضعي المادي المتدهور، ولكنها في الاساس قضية مبـــدأ .

" لا احب ان استغل احدا، وبالتالي ان يستغلني احد".

تركت الرصيف المزدحم ، ومشيت قليلا ، ثم صعدت درج الكوبرى العلوى .

رأيت على يميني مبنى " المجمع" الضخم ، ومبنى الجامعة الامريكية، فتذكرت ان اقامتي انتهت ويجب تجديدها، وانني لم اداوم منذ شهر في الجامعة ...

" انتبت نفسي على تهوري في دفع قسط الكورس الثاني ، كان من الممكن ان يريحني ذلك القسط من مهازل عديدة تعرضت لها، ولكنني استسلمت لالحاح" امل"، زميلتي التي فقدت الامل في الزواج من احدابناء بلدها ، فتشبثت بي !

ما اشد سذاجة تلك الفتاة الرائعة، وما اشد جهامة الظروف ! كيف افكر في الزواج، وثمة احتمال قائم بان لا اجد ثمن علبة سجائر بعد اسبوع ؟.

... تذكرت صديقي" ابو يوسف " من قرية" مجد الكروم" ، وتذكرت حكمته الساخرة " الفقراوى فقراوى ولو طلع على المريخ!"..

اين انت يا ابا يوسف ؟ ما اشد حاجتي للجلوس معك، وسماع نوادرك الفذة مع نساء "جيفعات سيفيون" !.

اين انت يا رفيق ؟ اما زلت لا تجد غضاضة في الاستحمام عاريا امام العمال ؟.

اما زلت مصرا ان الله يكون في غاية السعادة حينما ينظر الى اوضاعنا القاتمة ؟

ما احوجني لك يا ابا يوسف . ما احوجني الى " تخبيصك" الاصدق من قبيلة الانبياء ! وصراحتك الفاضحة وضحكك العميق ... لقد فقدت القدرة تماما على الضحك في هذا البلـــد !.

اصبح ما يضحكني هو شرالبلية فقط !.

Digitized by Birzeit University Library

هو الضحك الاسود يا صديقي .

أيها الساخر حتى الاشتعال ، الصادق حتى الجنون الباحث عن خرافة العدالة منذ ولادتـــك ١٠٠٠!!".

.... اصطدمت باحد المارة، وسمعته يصرخ " ما تصحى يا اخي .. الله !"... تنبهت الى انني كنت في حالة شرود، فابتسمت لنفسي وهمست " من الذي يصحى؟"

.....

انحرفت يسارا وانا اشق الزحام بصعوبة بالغة .

أحسست بطعم الغبار حارقا في حلقي، فاستأت من مرض الزكام الذي اجبرني على التنفس من خلال الفم .

واسرعت الخطو في محاولة للخروج من جحيم الزحام باقصر وقت عندما شارفت على آخر الكوبرى . اعترض طريقي فجأة رجل كهل ، قال دون مقدمات انه قادم من طنطا ، وانه فقد حافظته في المترو، ويرجو اعطاءه خمسة جنيهات ، بغية العودة .

شعرت باحراج، فكل ما بحوزتي لا يتجاوز اربعة جنيهات ..ثم من المحتمل ان تكون الحكاية مختلقة من الاصل، وان يكون الكهل مجرد متسول، ابت عليه كرامته ان يمارس المهنة بالطريقة التقليدية، فلجأ الى حيلة اخرى مضمونة النتائج: كاختلاق الحكايات الوهمية ذات الطابع المأساوي، التي تستدر تعاطف ونخوة الاخرين، فتخرج ما بجيوبهم دون الحاجة لاراقة ماء الوجه . المهم، لم اعطه شيئا ، ليس بسبب الشك في مصداقيّة حكايته، ولكن لقصر ذات اليد .

اقتربت من ميدان طلعت حرب، فلم استطع منع نفسي من القاء نظرة على مكتبة الرصيف .

كانت مزدحمة بالكتب والمجلات والصحف المختلفة .

ابتعت صحيفة الاهالي . واستفسرت من البائع عن مجلة ادبية جادة، تطبع بطريقة الماستر، بحثت عنها في مكتبات كثيرة ولم اجدها . قال البائع انها غير موجودة، وحينما سألته عن احتمال نفادها ، رد بابتسامة ذات مغزى :

ـ "يمكن لمّوها من السوق !".

هممت بمغادرة الميدان، ولكن سوءالا من احد الاشخاص استرعى اهتمامي .

كان يسأل عن " اى" عدد من جريدة "يدعوت أحرنوت ".

تفرّست فيه بعناية" ربما يكون يهوديا" ، لكنني استسخفت الفكرة . كانت ملامحه تنفي ذلك، فكرت " لماذا يريد اي عدد "..." هل يكون طالبا متخصصا "..." وشعرت برغبة في محادثته ، لكنها باخت، فمضيت..انتظرت قليلا حتى عبرت احدى حافلات الامن المركزي، ثم قطعت الاسفلت مع المشاة، ومشيت في شارع سليمان باشا .

شرعت اتفحص واجهات البوتيكات الانيقة على جانبيه، فامكنني ملاحظة خلوّها شبه التام من المصنوعات المحليّة ،واكتظاظها بالبضائع المستوردة .

صدمتني لوهلة الاسعار الخيالية لتلك البضائع ، فخمّنت أن معظم هؤلاء الناس قدموا الى هنا بهدف الفرجة فقط، لكنني دهشت من اقبالهم المحموم على الشراء، ودهشت اكثر من شهوتهم المسعورة في اقتناء الكماليّات، ومن تلك " السهولة" التي يدفعون بها . استغرقتني المشاهدة، فلبثت اراقب احدى السيدات وهي " تتلمظ" امام فاترينة احذية ...

Digitized by Birzeit University Library

فكرت" لابد ان شيئاً اعجبها ولم تستطع شراءه".

اعرابي الموقف ، فطلبت اراقبها عن كثب لم اجد صعوبة في استبطان حالة الطلبان التي انعكست على تعابير وجهها .

ويبدو انها سبّهت لي ، فسعرتْ بانني ضبطتها في "حالة تلبّس" ، مما جعلها ترشقني بنظرة عدائيّة . ثم تنصرف مهمهمة..!

ابتسمت بخجل . واسترجعت في ذهني مقالة كنت قرأتها ، يدين كاتبها فقرات الدعاية التي يبثّها جهاز التلفزيون ــ والموجهة اصلا للطبقة الطفيلية الثريّة ــ .. والتي تدغدغ الرغبات الدفينة في اعماق الطبقات المسحوقة

هذه الطبقات التي يستبقظ فيها ذلك الحلم القديم بالتملك و الاستهلاك والبذخ مما يزيد من اتساع الهوّة بين واقعها العاجز ورغباتها المستحيلة ، فيكون لذلك اثار سلبية عميقة التأثير ، تنعكس على سلوك افرادها وتصرفاتهم ، واطباعهم وطريقة تفكيرهم ، مما يدفعهم ــ في نهاية المحصّلة ــ الى محاولة الحصول على أي قدر من المال وبأية طريقة!.

وتذكرت ملاحظة ــ لم اتعمّقها في حينها

وهي ان رواد المقهى الشعبي الذي ارتاده دائما : مغرمون وحريصون على متابعة فترات الدعاية تلك ، لدرجة انهم يفضلونها احيانا على المسلسلات ! ربما لانها تمنحهم سعادة وهميّة ، اوتعويضا نفسيا ، او اى شيء من هذا القبيل .

المهم ان لها سطوة طاغية واغراء كاسح لا يقاوم .!

تذكرت كل ذلك . وتذكرت السيدة المحيطة ، فتصورت انها (ربما ستضطر ــ هي ايضا ــ للحصول على ما يشبع رغباتها من المال بأيّة طريقة) وتذكرت على الفور : الشقة التي يسكنها بعض الزملاء في " منيل الروضة" ،وتلك المرأة الشعبية التي تجاوزت العقد السادس، والتي كانت تأتيهم في غالب الايام وبرفقتها امرأة شابة او اثنتان واحيانا اكثر . بسبب ظاهر وهو العمل كشغالات ، وبسبب خفيّ وهو ممارسة الدعارة . وحين سألتها ذات مرة (وهي جالسة في الصالون ، ورفيقاتها في الغرف يتأوهن بصوت مسموع ، ويصدرن فحيحا لاهثا مفتعلا ..) عن الدافع الذي يجبرهن على هذه المهانة ، ويجبرها هي بالذات على العمل كقوادة رغم سنّها المتقدم .

ردت باقتناع تام وكأنها تقرر حقيقة مفروغ منها :

ــ " ما هو مفيش غير كدة .. حتعمل ايه؟

ــ " ازاى ؟".

ــ "علشان نقدر نعيش !".

ــ " تعيشوا ازاى ؟!".

ــ زي الناس مهيّا عايشة ".

ــ " الناس مين ؟".

ــ " ولاد القحبة اياهم !".

ــ "ولاد القحبة مين ؟".

ــ " اللي غلّوا كل حاجة .. واللي عندهم فلوس وبيقدروا يشتروا اي حاجة !".

وحينما سألتها هل يعرف البواب ؟

ابتسمت وقالت :

ــ " كل حاجة وليها تمن !".

وحينما استغربت قالت موضحة :

ــ (ما يغرّكش انه عامل فيها حنيلي ... دا ميّة من تحت تبن !".

ثم اتسعت ابتسامتها وتحوّلت الى ضحكة وهي تقول :

ــ "والبوليس كمان .. آ والنبي زي ما بقول لك كده .. ما تستغربش !".

ــ .....!

Digitized by Birzeit University Library

ـ " اصل انت مش واخد بال حضرتك .. دول كلهم ولاد قحبة !".

ـ.....

واصلت سيري بخطى متثاقلة ، وانا اتامل ما آلت اليه الاوضاع في زمن الانفتاح ، وما افرزه من قيم وسمات وطواهر ، امتدت حتى شملت الناس في اعماق الاحياء الشعبية ، دون ان تجد امامها اي مقاومة تذكر .

لم استغرب الامر ، ففي ظل الفقر المدقع والحرمان البشع والجهل الراسخ ، من السهل لاي شيء ان يجد مكانا له ، خصوصا اذا كانت هناك حملات مكثفة من الدعاية الخبيثة المقننة .. التي يديرها ويشرف عليها افراد لا ينقصهم الذكاء والخبرة ، بل هم على جانب كبير منهما

ولكن ما جعلني استغرب واتألم في آن هو هؤلاء الناس الذين استسلموا تماما لحلم الحياة السهلة ، حيث الرخاء والرفاهيّة والوفرة في كل شيء ، وحيث على الجانب الاخر : القبح والفساد والرشوة والبؤس والضياع الرهيب ... ورغم ذلك لا احد يتمرد ولا احد يقاوم بل الغالبية العظمى تحاول ان تتكيف وان تتلاءم بكل الوسائل الى درجة خداع الـــذات ١١٠٠٠

.....

عندما اوشكت على الوصول الى نهاية الشارع ، كان الزحام اقل كثافة ، فاجتزت بيسر طريقا جانبيا ، ودخلت في ٢٦ يوليو . كان غاصّا ـ ككل شوارع وسط البلد في هذا الوقت ـ بالضجة والسابلة ، وكانت السيارات تطلق ابواقها بشكل مزعج ، بعد ان توقفت تماما وغطت الاسفلت بطابور طويل قدرت ان نهايته تصل لـ " صيدناوى " وربما الى قلب الميدان . شعرت بحالة من الحصار ، فتابعت سيري مخترقا كثافة الزحام بمشقة ، وبدأت احس بالارهاق وبلزوجة العرق والتراب على جبيني تجاورت محلا لبيع الكشرى ، ومررت بمقهى مكشوف بلاصقه ، فرأيت بعض السعوديين بلباسهم المميز وقد جلسوا يتفحصون النساء ويتمتمون .

راودتني نفسي على الجلوس قليلا : رغبة في الراحة والتدخين ، وبهدف الاقتراب من عالمهم شبه الاسطورى !.

تجاوزت المقهى بقليل ثم رجعت ، وتعمدت الجلوس بالقرب منهم .

جائني النادل فطلبت شايا ، واخذت اراقب نظراتهم الشرهة ، وانصت الى حديثهم كانوا منهمكين في متابعة النساء باهتمام واضح ، وكان الجنس محور حديثهم .

قال احدهم ان المصرّيات شبيهات بالاسبانيات ، ولكنهنّ اكثر خبرة ودراية في السرير ، علاوة على لهجتهن المحببة !.

لم استهجن كلامهم ، فقد توقعت شيئا مشابها ... ، لكنني شعرت فجأة بالتقزز والكراهيـــة .

قبصقت بصوت مسموع وقمت واقفا .

لاحظوا ذلك فسكتوا جميعا وقد استغربوا لوهلة .

غادرت المقهى وسط دهشتهم ونظراتهم المتسائلة ، ولعنت في سرّي هذه الحثالات التي لا تعرف من الدنيا غير المال والجنس ! ولعنت الاقدار التي جعلتهم يجوبون انحاء العالم ، ويتصرفون بثقة مطلقة وكأنهم انصاف الهة !.

واصلت سيري حتى وصلت صيدناوى ، فلبثت مع المنتظرين امام الاشارات الضوئية ، ثم اجتزت التقاطع وامسيت بالقرب من بوابة الازبكيـــة ...

لكنني تجاهلت رغبة شديدة في المرور عليه ، وظللت سائرا باتجاه الميدان .

Digitized by Birzeit University Library

كان الشارع اشد زحاما، وكانت ارضية الرصيف المبلطة مشغولة بعربات باعة اللب والكشري واجهزة التسجيل، وكانت ريح قوية تحرك اوراق الاشجار العالية في الحديقة المجاورة، وتثير الغبار .. تخطيت بركة مياه صغيرة، وسرت بمحاذاة السور الخارجي للمسرح القومي، اعترضتني احدى عربات الكشرى، فحولت مسيري وانا في غاية الدهشة من بعض الشباب الذين التفّوا حولها وانهمكوا في اكل الكشرى بشهيّة واضحة، رغم ان العربة مكشوفة، والجو مغبر ومترب، والمياه التي تغسل فيها الاطباق بالغة القذارة ولونها اسود

عندما وصلت الى قلب ميدان العتبة، فاجأني منظر احد المتسولين، وقد كشف عن عاهة مرعبة في جسمه . لم احتمل المنظر، فغضضت بصري بسرعة، واشحت وجهي للجانب الاخر، بعد ان صدمت وشعرت بالتقزز والالم! همست لنفسي " ما اكثر المتسولين في هذه الدنيا، وما ابشع ذل الحاجة حقا ...، بيد انه كان من الافضل الا يستفز مشاعر الاخرين بهذا الشكل البشع، وكان من الالطف ان يستر عاهته، حفظا لما تبقى من آدميته المهدورة! آدميّته التي يبدو انه فقد الاحساس بها منذ زمن بعيد !!".

واصلت سيري وانا افكر في ثلة من النقاد والمتحذلقين، الذين استهجنوا واستنكروا بشدّة بعض الكتابات المحلية ذات الصبغة العبثية، بحجّة ان ذلك منافٍ للواقع، ودخيل على الادب العربي، وتقليد اهوج لموجة العبث واللاجدوى التي سادت الادب الاوروبي في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية . كيف يفكر هؤلاء الناس ؟ ما اسخفهم، وما اضيق تفكيرهم، وما اجدرهم بالرثاء !...

ان الحياة ذاتها — في هذه المدينة وبالتأكيد في مدن عربيّة أخرى اصبحت عبثية تماما . واصبح كل شيء فيها، يدفعك دفعا لان تكون عبثيا ولان تتغلى تماما — اذا اردت الاندماج في تفاصيلها الهائلة — عن عقلك، وعن كل ما يمتّ بصلة للمنطق المرتب السليم

همست لنفسي مرة اخرى : " من الان والى ان تغادر هذه المدينة، يجب ان تتوقع كل شيء، واى شيء . ويجب ان تقلع عن هذه العادة السيئة: في عقد المقارنات المأساوية، بين ما تراه كائنا وما يجب ان يكون . ثم من الحماقة حقا ان تظل تكرر جملتك السخيفة التافهة البليدة " غير معقول " ..." غير معقول "! يجب ان تكف فورا عن الشعور بالغرابة والدهشة، واذا كنت لا تقدر فاحتفظ به لنفسك، ولا تفصح عنه للاخرين، حتى لا تبدو ساذجا وغريرا امامهم !.

ثم ان كل شيء هنا : عاديٌ جدا، وطبيعي ومألوف . بل على العكس : فالشيء الغريب واللامألوف هو ان تظل تعلن — بمناسبة وبدون مناسبة — استغرابك واندهاشك يجب ان تتعود، وان تتكيف، وان تندمج، حتى تكون عاديّا انت الاخر! عاديا مثل الاف المارة في هذا الشارع . هؤلاء المتسكعون الذين يسيرون بلا اي هدف ...، ومن الممكن جدا ان يغير الواحد منهم خط سيره، ويسير في الاتجاه المعاكس، دون ان يجد في ذلك اية غرابة !.

لتكن مثلهم ان شئت، متسكعا وعبثيا وبلا اى هدف، ولكن ليس الان ... .

فها هو المساء قد حل، وها هي الاضواء قد انيرت، وها هي حالة الذهول — التي تستسلم لها دائما — وقد انستك موعدك مع فؤاد . لتسرع اذن .. ، قبل ان يخرج فؤاد

Digitized by Birzeit University Library

من شقته، ليواصل تسكعه الليلي المعتاد في شوارع المدينة، وضياعه الكبير في مفاهيمها المتناثرة. ورحلة هروبه الاليم في حانات الدرجة الثالثة. حيث خمرة الروم النارية الرديئة. والجو العابق بالادخنه المكتومة، والبكاءات المتقطعة من اولئك الرواد الذين يعلنون ـ بصراحة جارحة ـ استسلامهم وانهزامهم التامين امام قسوة الحياة ولا مبالاة الاخريـــن ١١١٠٠٠٠٠".

.....

.....

القاهـرة ـ شـارع الهـرم ١٩٨٢.

Digitized by Birzeit University Library

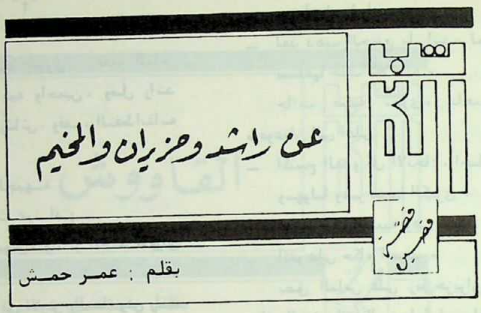

(١)

تجمع الناس في حزبران، احتشدوا في شارع المخيم الرئيسي ،شدوا انفاسهم بعد سماع البيان رقم "١" لهثوا مع ضجيج الموسقى المنبعثة من مذياع توسطهم ، صراخ مغنـــي :

– نار يا استعمـــار .

انتشر صوت المغني في الفراغ ودارت الرؤوس، ماذا يحدث بعد الان ؟ نظروا الى الافق الشرقي، الى ما بعد الحدود، البيارة والبيت والحارة، لم تضع ذكرياتهم، حضنوا الهواء القادم والذاهب، رقبوا بشغف طيور الجو، حملوها سلاما لقبور الاجداد هناك وحسدوها على قدرتها في تخطي الحدود .

قال مذيع صوت العرب .

– يا عرب آن الاوان .

– طائرات العدو تتساقط كالذباب .

ثم صرخت مغنية بغضب .

– راجعين بقوة السلاح

راجعين كما رجع الصبـاح

من بعد ليلـة مظلمـة .

حفروا حفرا وغطوها بفروع السرو التي قصفوها من الاشجار المحيطة بالبيارة المجاورة للمخيم ، دخل البعض الحفر، قال احدهم :

– ادخلوا الخنادق يا ناس، فالحرب هي الحرب .

مر بهم الشيخ ليمون، كان قد عصب احدى عينيه منذ سنين ولحيته استطالت على صدره بشكل فوضوى غير مكترث بها ، ضرب الشيخ ليمون حمارته العرجاء فقفزت امامه ، صرخ بها " حا" ثم رفع عصاه وصرخ في جمهرة الناس :

– ماذا تحفرون ؟ لقد عبر ابناؤنا الحدود ،استعدوا يا عالم للرجوع . ثم اخذ يزعق وهو يسوق حمارته وبصوت عال ممطوط :

– الذى من يافا الى يافا ، الذى من المجدل الى المجدل، الذى من اسدود الى اسدود ،الذى من ...

واختفى صوته بعد ان تجاوز الناس وطوته البيوت القرميدية .

Digitized by Birzeit University Library

"٢"

فجأة جاء راشد يجري ، ففغر الناس افواههم وحملقوا فيه واجمين، وصل راشد وعلى ظهره مدفع رشاش، وقف ، التقط انفاسه ،قـــل :

ـ اقتحم العدو الجبهـة

ثم همس وقد احمرت عينـاه :

ـ انسحبت الجيوش، وتناثر الجند كأوراق الخريف .

حملق الناس في الارض والسماء وفي راشد ،مطارق هوت على الرؤوس، دقتها لبرهة وتركتها مطحونة .

همس احد الكهول :

ـ اذن صرنا مكشوفين للعدو، ومحاصرين كبركة مـــاء .

وصرخت امرأة بصوت مخلوط بالعويل :

ـ سيدخلون المخيم ويذبحوننا كما فعلوا في سنة ٥٦.

صرخ مذيع صوت العرب .

ـ يا عرب، طائرات العدو تتساقط كالذباب

أنزل راشد مدفعه عن ظهره، حضنه بيديه ،صوبه الى المذياع، اطلق رصاصة عليه، زمجرت الرصاصة وثقبت الجهاز، سكت المذيع

توسط راشد مدخل المخيم ، استلقى خلف مدفعه واقفل المدخل :

قال الناس بحلوق مشروخة :

ـ سيتقلوك يا راشـــد .

ـ لقد ذهب الجميع يا راشد ، لم يعد احد مسلقيا خلف سلاحـه .

جاءت صبية تجري، ناحت وبداها مرفوعتان الى اعلى .

ـ اكتسح العدو كل الانحاء ، اجتاز صحارينا وسهولنا وعبر مدننا الكبرى .

ثم صرخت الصبية وهي تبصق على الارض

ـ اتفو على حكام العرب .

بصق الناس على رمل حزيران الساخم، نطق البعض الفاظا خجلوا ان يلفظوها قبل ذلك ، جاء صوت راشد مليئا بالعزم :

ـ لكنهم لم يدخلوا مخيمنا بعد .

قالوا :

ـ سيدخلونه يا رشـــد .

تحسس مدفعه ، ثقبت عيناه آخر الشارع، تمتـــم :

ـ ربما ، لكن وانا راقد في المقبرة .

(٣)

في تلك الليلة خرق الناس حظر التجول دقائق ، غافلوا فيها دبابات العدو وطائراته، حملوا راشدا، اقفلوا حفر جسده، جمعوا قلوبهم وخاطوا منها كفنا، ارقدوه في مقبرة المخيم ، هالوا عليه التراب وهو يرنو اليهم بعينيه الحمراوين ويبتسم .

Digitized by Birzeit University Library

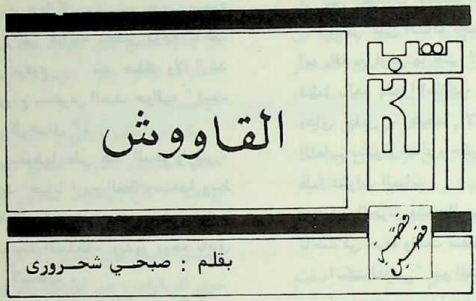

سكب الظهر اللاهب جمر الغيظ على الياخور ، واسندت على القصدير المحرق ظهرى الموجوع . ما ابعدها بثرالسبع !!

هدر الباص ثم زمزم وارتج ووقف . للمرة العاشرة جابوا دلو الماء وصبوه . طشطش الماء واندفعت من ارض الباص المهترئة غيمة من الدخان ، رأيت فيها وجه المدّعي العام الاعجف المستطيل وقد تدلت من شعره الخيلي خصلة اهتزت بعنف وهو يصيح منتفضا كالملسوع فوق المنصة. اشاحت زوجتي بوجهها عبر الشباك فأخفت عني عينيها المقرّحتين .

تعلقنا بالاسلاك الشائكة وانغرس الشوك في اللحم ونحن نتدافع قدام البوابة. ارتفعت هستيريا التضاغط عندما ازف الوقت. انحسر ظل المبنى الاصفر وتركنا للشمس المحرقة ، ران الصمت وانا اشد رجلا وارخي الاخرى. ارتمت الاجساد البيضاء المتمشة على الارض فجروهم للخلف. تصاعد العراك فانتحى جندى جانبا قرب المعبر السلكي واخذ يقرأ الاسماء في عجلة ليصرفنا عن متابعة المشهد . تقدمت فجذبتها منحيا في عنف. اعولت فزجرتها " بتتحملش ".

بين رجلي القاضي جلس الولد الخاكي الاسمر النحيل. يرطن الوجه الاعجف طويلا فلا يفوه الولد الاسمر الا بكلمة واجفة او اثنتين.

تسلق طفل واجهة الياخور صعودا حتى السقف ، وخيل الى انه سيفر من بين القضبان وفوق الجدران يقطر الم الفرقة في حرح ابيه.

الساحة في الخارج سوق صحراوى منسى ، يتردد صوت باعة المرطبات في كل مكان. حتى في السفر الطبقات. كنا نقرفص في ظل الباصات المتواصل الانحسار وهم ينبطحون في السيارات. كنا ما زلنا ننتظر وكان البعض يغادر . قالت حفصة "شوبهمهم كل واحد سيارته تحت طيزه ".

في الداخل ترتد العين عن السور الهائل والباب باسفله كالوشم ، يحرس هيكل الاسرار.

Digitized by Birzeit University Library

كانت تعول طول الليل. تغبرت ، وشقت الاخاديد اسفل وجهها عند الذقن، وحين كان النوم يصرعها كانت تنشج بصوت مسموع

رفعت رأسي فرأيته يجلس بوجه شاحب ملتح ورأس مرفوع ، " شد حيلك ولا " شد قبضة يده وراح يستعرض الصف حواليه " لست وحدى على كل حال ".

راعني سقوطها على هذا النحو وارقني. اما انا فكنت احيانا ازيح الغطاء منتفضا وسط الليل لاقاجأ بانه لم يعد يقطع شوارع الجامعة العتيقة المبلطة. ويدور بوجه بادى العزم على الاصحاب .

اضطربت بعض النسوة باكيات مستطلعات ، خلفي اقلقت ام قسطندى راحة السيد المسيح وحواريه وهي تستشفعهم ، ورافقتها " على صوتها" المبحوح ام جميل فنخت الانبياء جميعا . ازداد الطرق فوق روءوسنا فزجرتهن ام مجدى في قسوة اثارت الاعجاب .

ها نحن الان امام البوابة، فتح الباب ، نادونا فدخلنا . قسمونا الى مجموعات من اثنين او اقل ومجموعات من ثلاثة . كنا في الطرف الثاني فدخلنا قفصا اسمنتيا وجلسنا. في صدر القفص نافذةواحدة تخنقها القضبان

دخلت في عجل وجلست جنبي . عجفاء ومموصة، دورت خواتمها العديدة في اضطراب. قالت " نحن نساندكم" قلت " رأيت". قالت " مادايحد ..." ولم تكمل ، شدوها خارج القائمة وهي ترفس الهواء بساقين هزيلتيـــن .

ظل القاضي في الكرسي يدور وعيناه على السقف ، ويدور طاقيته الصغيرة ويلجمها خوف ان تسقط ، بعينين رماديتين خابيتين لا تنظران الى شيء .

قضينا في القفص الاسمنتي دقائق. عبروا " الطرقة" "شفناهم" بالبذلات الزرقاء ، دسوا من بين الفتحات السلكية اصابعهم .

وأطل على الطاقة محمود فرأيناه. عصت امه بالدمع فزجرتها حتى لا تفسد حلاوة اللقاء قبلنا بالفم على الاسلاك. وكان لعلك الحديد مذاق خاص . هبطنا الارض وظلت خيطان اللعاب مشنوقة هناك. حكينا وحكينا واعدنا ما قلنا عشرات المرات.

دق الجرس فشده الجند من الخلف فقاوم ناحت في حرقة وظلت متعلقة بحديد الشباك.

اسكت القاضي" ذو الشعر الخيلي" بحركة من يده فسرت همهمة ارتياح بين المقاعد .

جاء الان دور المحامي ، كان قميئا محمر الوجه من السكر ومنتفخ الاوداج. زعق كثيرا حتى قلنا باض .

كنا اثنين فلم ندخل قفص الاسمنت، داهمنا التغيير ونحن ندخل قاووش تفصله الاسلاك الى نصفين فوقفنا في اول موقع ، طلوا جمهرة من اقصى الطرف الاخر يلوحون بأيديهم. انتشروا مسلمين ثم عاد كل الى اهله وامتلاء القاووش باللغط والهمهمة .

لامنا لاننا لم نتقدم للسلام على الرفاق لم اعلق . اما هي فصاحت بصوت يمتزج في الحزن بالاعتذار " المهم انت يمه ".

قتلنا القاضي بديباجاته الطويلة . صرت انا المقعد تسع ساعات وانا ملتصق به. واخيرا نطق القاضي بالحكم ثلاث سنوات. لا سجن مع وقف التنفيذ .

صحنا فأحاط بنا الجند فلم نجفل، وبسرعة عدنا نتجلد وخنقنا همهمة بعض النسوة قبل ان تتحول الى مشاريع بكاء . قفزت عن المقعد وعانقت محمود فدخلت

Digitized by Birzeit University Library

رائحته تحف رأسي واستقرت هناك .قبل ابن الرجل الاشيب وجه ابيه صاح الاب" الله يرضى عليك يابا ، دير بالك عحالك".

في الخارج حاولت ان اتلمس وجهها في غبش المساء . كانت منكمشة في اسفل المنحدر السلكي وقد اعمى عينها البكاء. تسع ساعات وهي تطوف وتسأل ، وتتحسس في وهن اسلاك المدخل. مدت الي يدين مرتعشتين وصاحت " محمود يمه" جرحني نهافتها ساعة العزم فخرج الخبر من فمي كالطلق" حبسوهم ثلث سنين" .

غاب النزف الدمعي وحل محله صمت قاتل . لم تفوت زيارة واحدة وكانت تعتفني حين كنت اغيب . اصبحنا لا نقبل بالطرف بل نندفع الى الداخل ، وندس على طول الحاجز ايدينا في الاسلاك .

هذا مسعود محكوم خمسة عشرعاما ومعه جورج محكوم نفس المدة ، لبناني لا اهل له. وتقوم اسرة مسعود بزيارة الاثنين ، وزوجتي تنسى وجه محمود الشاحب لحظات ، واضبطها وهي تتأمل الوجوه الاخرى ، " مسكين انو بزوره وتصيح زوجة مسعود " كلنا اهله ، وكلنا بنزورة"

وتنظر زوجتي اليها ، فتاة جميلة في مقتبل العمر سجنوا زوجها قبل ان تنجب منه ، لا رابط غير الحب والواجب .

السروجي اسمر عملاق وزوجته متهدمة وابنته معروقة ، يسمحون بادخالها للطرف الثاني تسبح في طول القاووش، تتلقفها الايدى ويصيح الرجل الضاحك " يا سروجي هذه مش بنتك ، هذه بنت الشعب".

وزوجتي تتوه في تضاعيف قصص جديدة كل زيارة تقضي طول الوقت تحدث بمارأت كل الجارات ،ولم تعد تكرس لمحمودالا بعض الوقـــت .

كنا في طابورالخروج على الباب ، ننتظر تسلم الهويات تعثرت العجوز المقوسة الظهر ووقعت . كان لها ولد مسجون ولا احد لها غيره . تعيش في قرية صغيرة غير قريتها يتصدق عليها فيها الناس. لا شيء في حياتها سوى الزيارات ، هي لولدها وهو لها ولا شيء غير ذلك ، تعيش وقتها في انتظار الذهاب والرجـــوع .

بكت بحرقة ثم اشتدت عزيمتها فجأة ونحن نصعد باب الباص العتيق ومن يومها صارتا صديقتين .

في الزيارات التي تلت ذلك كانت تصر على ان تعبر القاووش حتى النهاية " وتحاشر " على المقعد الاخير هناك ، وتنتصب مسلمة من بين الاسلاك بهمـــة .

وقد اصبحت هذه مسألة نحرص عليها كل الحرص نندفع مسرعين الى نهاية القاووش، ونحس بخيبة الامل ان فشلنا في الحصول على المقعد الاخير . فقد اصبح لنا في القاووش ابناء كثيرون نحرص على زيارتهم ولم يعد محمود سوى واحد منهـــم .

Digitized by Birzeit University Library

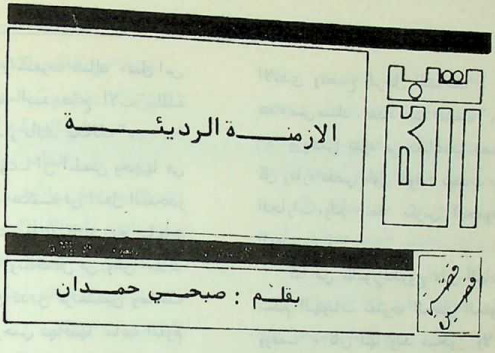

الى المحرر المبعد زكي ابو ستيتة وكل المحررين اينما كانوا وحيثما وجدوا .

ما اروع ان تستنشق هواء طازجا ، يهفهف على خديك ، وبداعب طاقتي انفك ثم ينفذ الى دمك عبر ملايين المسام ، لا وقت للبكاء يا امي ، وانت يا رفيقة ، مطلوب منكما دمعتين لا اكثر ، لا تحزني يا امي ، وانت يا رفيقة احلامي لا تحزني ، فالحزن ممنوع في هذا الزمن الرديء حيث يصبح العويل نكتة ، وشلالات الدمع الزاخر لا تثير فيهم الا سخرية ثعلبية ، انزلونا من الطائرة موثقي الايدى والارجل ، معصوبي الاعين ، رشقوا صلبات ارهابية في الجو ، وصرخوا بلكنات غريبة ما ما شاء لهم الصراخ الهمجي ، والحقد الاسود ، دمعتان لا اكثر انبثقتا من العينين ، فكوا عصابات اعيننا ، واذ استقبلنا الافق المبلل بالمطر طارت الدمعتان وتسللت برودة سامة ، واحتلت الاطراف والحنايا ، اهو الخوف من المجهول ؟ ام البرد ؟ لماذا تستحيل الزنازين الى هذا الاتساع والرحابة ؟؟ من الافق الى الافق ، والبرد لص شاطر نحيل الرأس . قبل اعوام انتابتك نفس الاحاسيس ، اتاك امر الرفاق واضحا جليا ، عليك ان تدافع عن نفسك بأية وسيلة متوفرة ، ولم تكن تلك الا عصا المكنسة اهويت بها في ضربات مباغتة ، فتفجر دمه وصافرته ، فاجتمعوا ، وتكاثروا حولك جروك ، جسد واحد ويدان تضربان هواء ، وايد وارجل وركلات وصفعات ، تطحن عظمك قلت : لو اركز على احدهم ابتلع ملامحه قبل الاعماء ، والتقطته ، وخبأته في زوايا الذاكرة ، ثم رشوك بالغاز وبعد ان صحوت ، وجدت نفسك في زنازين الكلاب ، تلك الزنازين مخلفات الاستعمار البريطاني البائد ، التي كانوا يربون فيها كلابهم ، نهضت من اعيائك وبدأت تستعيد ما حدث ، تذكرته ، ذلك الذي ابتلعت ملامحه في ذاكرتك وصرخت :

— يا شاويـــش !!

ولم تسمع ردا ، ثم صرخت ثانية ، ولم تسمع شيئا ، ثم انهلت على الباب تدقه بالكفين والقدمين . جاء . فتح طاقة الزنزانة ، آه نفس الملامح .

— اريد ماء يا شاويـــش ؟؟

— عندك المـــاء ؟؟

— الجـردل فـــاض .

سمعت خشخشة المفاتيح . فتح الباب ببطء وحذر ، وما كاد الباب يفتح على آخره حتى

Digitized by Birzeit University Library

رشقت جردل الـ ..... في وجهه . صرخ . جرى . لم تتابعه ، وهو لم يصفر، لكنه لعن .... ولعن ، وأنت لعنت الازمنة الرديئة والبرد والخوف والحمى والشّبْح والجوع والغاز ،ودول الغازات ، والكلبشات ، ودول الكلبشات والـ U.S.A محفورة باستفزاز همجي عليها ، ونمت ، ولم تنم القضية، تحقيق ومحاكمة وحكم بسبع سنين اضافية، وعندما حررت انت والرفاق والاخوة، لم تدر كيف بكيت كل ذلك البكاء ، كأن العشرة اعوام ، تصفها في زنازين الكلاب ، قد استحالت قطرات دمع اهرقتها على كتفيها ، وهي تضحك ، وتقبلك ، نظرت في عينيها ، عيناك يا امي مينائي الاخير .

— لا وقت للبكـــــاء .

قالت تشد من ازرك ، وانطلقت حنجرتها في زغرودة تغسل هم السنين ، وبادلتها الجارات الزغاريد ، والمخيم تحول الى عرس جماهيري رائع ، لم تسلخ نصف عمرك في المعتقل عبثا ، رسمت شارة النصر بين اصابعك ،ورفعت الـ ..... الذي احضره الاصدقاء كما طلبت عاليا ، وتلفتك الاكف والاحضان والقبل وطبعوا على جبينك الاف النياشين .

— حمدا لله على السلامة .

— معا على الطريـــق ...

— يا هلا بالنشامـــا .

والان . أهو الخوف ؟ ام البرد ؟ ام الاثنين معا ، مطلوب منك يا امي دمعتين لا اكثر ، وانت ايتها الزوجة الرفيقة خبئي اثواب العرس للفرح القادم ، لا تحزنا.الحزن في هذا الزمن الرديء ممنوع حيث يصبح العويل نكتة وثلالات الدمع الدافق لا تثير فيهم الا سخرية ثعلبية ، مطلوب منكما دمعتين لا اكثر ، ان الح الدمع ، وغرقت به بحيرات العيـــون .

فكوا كلبشاتنا والـ U.S.A على طرف الكلبشات تستفزنا ، اطلقوا صليات ارهابية فانبطحنا ارضا، واتجهوا هم جنوبـا .

اغمضت العينين كأنما تخبئ كل الذكريات العزيزة والمؤلمة ،ودارت بك احاسيس شتى ، فارتعشت اطرافك ، اهو الخوف من المجهول والذى يثير فيك مزيجا من المشاعر غير المفهومة ؟؟ ام النقاش يثقل جفنيك ، خاصة انك لم تنم جيدا في الاسابيع الماضية . ظلت معانقا الخضرة ، واختلطت انفاسك بأنفاس الربى ، ودارت الدنيا حواليك ، واستدارت الشمس جمرة في الافق الشرقي ، وفردت ضفائرها الذهبية مسطرة للعالم اول ايام الإبعـــاد .

Digitized by Birzeit University Library

الرحيل على درب الشمس

باسم الهيجاوى ـ سجن كفار يونا العسكرى

■ مهداة الى الكاتبة فداء احمد في مكان ما ■

.. كانت خيوط الشمس في صفحة الماء . جداول نور تنساب في ساحة الافق .. تأخذ الوان الورد حينا .. والوان الدم احيانا اخرى .. الغيوم تتراكض في طرقات الريح .. وسعيد يقف في المحطة الاخيرة للبلاد التي ايقظته .. مثخنا بالجراح ونقاط التفتيش .. يرسل النظرات مثل مناديل تلوح بالاسرار العطشى للفرح .. كان يسافر في كل الوجوه .. يقرأ تاريخ الزمن الصعب يبحث عن سر مدون في لحظة دفء ..

كثيرة هي المرات التي شد فيها احزمة اللحظة وحقائب الرحيل .. وفي كل مرة يقف في المحطة .. ينتظر قطارا قادما من رحم الصمت .. مسرعا في طرقه للشمس .. لكن الغيوم المتراكضة في طرقات الريح .. كانت ترغمه على العودة الى البيت .. ورغم الحزن الذى كان يعتريه .. كان يعود بالحلوى والاناشيد، ويستقبله الاطفال بالبهجة والفرح .. يحب الاطفال كثيرا .. وهم كذلك .. يتزاحمون على اقتسام مساحة يديه .. يمسح على رؤوسهم .. يوزع الابتسامات والحلوى عليهم .. يقرأ في عيونهم عمق اللحظة المرة .. ويتألم .. وفي اشراقة الصباح .. كان يحمل فأسه ويغادر البيت ، ليختصر المسافة الواقعة بين الارض وحبّات العرق المنثورة على مساحة جبينه .. ثم يعود في المساء .. حاملا في جعبته قصائد عن الريح والسنبلـــة ..

ـ " هكذا اذاً .. قررت الرحيل ؟ قررت ان تترك الحي ؟ والاطفال، من سيحضر لهم الحلوى والفرح؟ هكذا ستتركهم ،يعانون مرارة اللحظة وآلام الزمن الصعب ؟.. يحدّث نفسه ،كأنه قطعة شوق مغروسة في تاريخ الحي ..

Digitized by Birzeit University Library

ينظر في المدى الممتد امامه .. يحدّث نفسه ثانية .. نعم ، قررت الرحيل من اجلهم .. من اجل كل الاطفال المطلوبين على ابواب الرمل الصعب .. لقد تعبت من الصفير المنطاير في هبوب الريح .. تعبت من الوقوف في الطابور .. لا لشيء ، الا لانك تحمل شمسك في صدر الجسر المنحني بالعشق المتواصل .. نعم ، قررت صياغة زمني .. زمن اللحظة بين عبور الجسر ، وترجمة الفرح المتجذر في صدرالارض .. قررت ان اطرق كل الملابس البيضاء ، وان اتحول الى نشيد يسافر من حرارة الوجع .. ليذيب صقيع المأساة المتراكم على النوافذ .. وفوق مقابض كل الابواب .. نعم ، قررت اغتيال اللحظة البائسة .

وسافر سعيد .. وانتظره الحي والاطفال بعيون تمتزج بالشوق والانتظار ، وعاد سعيد ، ولم يعد كعادته يحمل سلة الحلوى والاناشيد .. والاطفال لم يلتفوا حوله .. ولم يتقاسموا مساحة يديه .. ولم يجلسهم على عتبة الدار .. ليلقي عليهم آخر الاناشيد عن الريح والسنبلة .. لكنه عاد مفعما بالعطاء .. بلحظة غنية بالفـــرح ..

وسار الاطفال وسط هتافات واناشيد .. ذاب عنها الثلج .. فاشرقت .. انها الالتفافة التي تقع وراءها المراكب العازمة على مغادرة المرافيء ..

قال رجل : "سعيد اراد ان يقول : الشمس فاتحة النهار ".

قال آخر : سعيد علّمنا ترجمة النشيد .

وقال رجل آخر .. سعيد اراد ان يخرجنا من بوتقة الجوع وعمق الصمت ...

وحين اعترضتهم قافلة معادية .. وسألتهم عن جثة من يحملون تعالت الاصوات من كل ثغـــر ..

– هذه جثتي .. هذه جثتي ..

وحين ادرك الاطفال اين عمّو سعيد .. تحول المخيم الى عروس تتدلى من عنقهـــا اللآليء .. وتتردّد عبر مداخلها اناشيد الحجارة والوطـــن ..

■

Digitized by Birzeit University Library

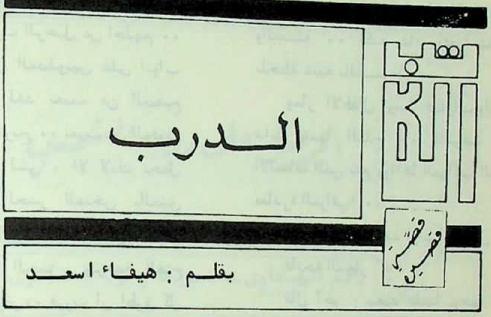

ما ان انتهى " سهيل " من موظف الصليب الاحمر.. حتى بدأ طريقه باتجاه الباص .. تقدم خطوات ومن ثم توقف .. ونظرة اخيرة الى السجن.. عله يلمح احدا من زملائه.. ولكن لا شيء سوى رؤوس تظهر عبر نوافذ الغرف.. وملامح متشابهة.. عاد ليكمل طريقه باتجاه الباص.. وعند الباب .. تلفت يمنة ويسرة .. نظرة الى الجندي واخرى الى موظف الصليب الاحمر .. ومن ثم صعد الى الباص.. لحظات قضاها وهو ينظر الى الوجوه التي تملأ الباص.. ملامح مألوفة وعزيزة .. ابتسم وتقدم والقى بجسده على المقعد الاخير .. وتتكرر العملية مع كل صعود .. وكلما صعد شخص تزداد الاصوات .. وتلتقي النظرات .. أهو الفرج.. اهو القهر .. ام هي مجرد تهدئة للنفوس فالكل منفعل.. والكل يتكلم .. خائفون هم ان يصدقوا .. ولا يصرحون بذلك .. نظر سهيل عبر النافذة باتجاه السجن.. سنوات طويلة ايعقل انها انتهت ..لا يستطيع ان يصدق..لم يشأ ان يصدق؟! فقد عاش هذه اللحظات في المرة السابقة وترك .. السجن الى الباص ومن ثم عاد الى السجن .. لعل المسرحية تتكرر !.. ولا تكون الحرية ! مرتبك هو لا يعرف كيف يرتب الامور في رأسه .. فالشريط يدور سريعا .. يرجع الى ما قبل السجن .. الاعتقال .. السجن ..الزملاء..الاهل..الاصدقاء.. كل الوجوه والاحداث تتعاقب .. وهو لايستطيع ان يمسك بشيء محدد .. وتوقف الشريط .. وجه عزيز هو بكل الشوق يفتقده.. وبيت يقبع هناك .. تركه منذ سنين طويلة ومتأكد هو انه لا يزال هناك .. وأن والدته ستكون بانتظاره سيطول عناقه لها .. وسيرتاح طويلا في ذلك الحضن

– آخكم انامشتاق لك يا ام "سهيل".

الوجوه ما زالت تتوافد.. والباص قارب ان يمتلىء.. وجه بملامح ناعمة وصلبة في نفس الوقت تسمر قبالته.. وابتسم له . بادلها " سهيل " الابتسامة غير متأكد من معرفته لها .. تقدمت وحيته بشكل صبياني.. عندها عرف فيها ابنة جيرانهم "عزة" التي تركها طفلة.. جلست بقربه .. ابتهج " سهيل" فها هي بشائر لمّ الشمل بدأت تهل

Digitized by Birzeit University Library

.. ولعل الامر يتجاوز هذا الباص في هذه المرة. احاديث طويلة بطول سنوات الغياب تبادلها "سهيل" مع "عزة" انتهى التوافد .. ووقف مندوب الصليب الاحمر وبجانبه احد الضباط وبدأ بالتحدث عن سير الرحلة.. وكيفية التوزيع لم يعره " سهيل " بعد ذلك اى انتباه .. فلم يعد يرى سوى شفاه تتحرك امامه ولا يسمع في اذنه سوى جملة واحدة .

– رجعت "يمـــا ".

ولا يفكر الا باستقبال والدته له .. على باب العمارة – في الطريق ام سيلمحها من بعيد تنتظره على الشرفة .. وبلحظات سيصل اليها حيث يلقي رأسه على صدرها ويرتاح .. ويطفيء شوقها .. لم يطاوعه خياله لتكوين الصورة كاملة للقائه بالوالدة .. وحاول ان يهدأ تذمر احد الزملاء من القيد في يديه ..

نظرت "عزة" الى "سهيل".

– في طريقنا من سجننا الى هنا .. كانوا يضعون الكمامات على وجوهنا.. والقيود في ايدينا .. وكان علينا ان نضع رؤوسنا على الحديد امامنا .. وكثيرة هي المرات التي كانت المجندات فيها يضربن رؤوسنا على الحديد .. صدقني كنت سأختنق من تلك الكمامة لولا انني صرخت منادية المجندة .. كان بامكاني ان اغتالها لو لم تتجاوب معي وتعدل الكمامة .

ابتسم سهيل .. واحس بداخله ان الحرية لا بد آتية .. ان لم يكن اليوم، ففي اى يوم قادم ..

عندما صعد الى الباص ظن انه سينطلق بعد لحظات، وان ما يؤخره هو قدوم البقية .. فها هو قد امتلاء الباص وانتهى المسؤولون من تعليماتهم.. ولكن الباص ما زال واقفا .. كان الوقت يمر بطيئا ..

واشارات التذمر بدأت تخرج من افواههم.. وأخذوا يتبادلون نظرات الاستفهام .

هم الان يعيشون الاغتراب .. فما بين العالمين يوجدون، لا حرية البيت هي لهم .. ولا جلسة الاصدقاء في السجن قادرون هم ان يعودوا اليها .. الانتظار يطول .. بطول تلك السنين وربما اطول .. اختلطت الملامح في رؤوسهم .. ملامح الاعزاء في السجن وملامح الاهل .. ساعات طويلة عاشوا فيها التناقض . ما بين الفرحة والانقباض .. اللهفة والاحباط .. يحلمون بالحرية .. وذكريات الزملاء تشدهم الى الوراء .. لاترى سوى ملامح مشدوهة ونظرات تائهة .. ومن لحظة لاخرى يتفقدون السجن .. ويصوبون نظراتهم باتجاه زملائهم.. ويطول تحديقهم بالمعتقل .. ويضيق العالم .. ويصبح كل ما يحيط بهم فراغا .. سوى معتقل .. وساعات طويلة من الانتظار ..

ساعة .. ساعات .. ثماني ساعات وكان الانطلاق بعدها، وتلفت الجميع نحو السجن .. وبدأ الهتاف والاغاني تتعالى من داخل السجن .. وتجاوب من في الباص معهم . وكل الاذرع خرجت من نوافذ الباص تلوح مودعة من بقي في السجن .. ورغم ان السجن قد بدأ يغيب الا ان الغناء والتلويح لم يتوقفا .. حتى غابت ملامحه تماما .. وبدأت ملامح القرى تمرمن قرب الباصات .. آخذ "سهيل" يراقب باهتمام.. البلاد كما هي منذ سبعة عشر عاما .. كما هي محفورة في ذاكرته .. وها هو يترك السجن حاملا معه ذكريات طويلة .. واصابة في قدمه .. تحسس قدمه .. وشعر انها لم تعد تؤلمه .. فيبدو ان ما كان

Digitized by Birzeit University Library

يتعبها هو الهواء الفاسد داخل السجن .. وبدأ "سهيل" يشعر ان الارض تحتضنه وبأنه يغوص في اعماقها .. والامور في رأسه بدأت تستقر شيئا فشيئا .. والمسافة بينه وبين بيته بدأت تقصر .. ووجد نفسه يفكر بلحظة الوصول ..وبسهولة بدأ يعيش لحظات اللقاء بالوالدة ودون جهد اتضحت الصورة في مخيلته .. وتراكضت المسافات من امامه .. حتى وصل البيت .. ورفع رأسه ونظر الى الطابق الثالث حيث الشرفة .. تلفت خلفه الى الفرن .. وتمتم " جميل الفران ، ترى ما هي اخباره" لحظات وسيكون امام باب الشقة .. ويده على الجرس .. وبلهفة السبعة عشر عاما سيلقى بنفسه الى صدر الوالدة .. وكالطفل سوف يبكي على صدرها .. كل المشاعر المعروفة والتي لم تدرك بعد ايحس بها بداخله في هذه اللحظات .. بالنسبة للبعض الرحلة بدأت تنتهي .. فقد بدأ يتوقف الباص لتنزل المجموعات .. وفي كل توقف يتعالى الصراخ والهتاف وتحيات الوداع وتوقف الباص .. وفي هذه المرة وجد " سهيل نفسه على الشارع والمدى امامه واسع .. نظروا جميعا حولهم ليتأكدوا من ملامح المكان الذى وجدوا فيه ..وللمرة الثانية يتحسس "سهيل" قدمه ..وشعر ان بامكانه ان يركض كل المسافة ليصل الى بيته ..

توقفت سيارة .. وحشروا انفسهم جميعا فيها .. والى مركز المدينة .. البلد شبه خال ومعالم رمضان تبدو واضحة عليها .. فساعة الافطار على وشك ان تأتي .. ولا احد يتلفت اليهم .

اقترب شخص من "عزة" واخبرها بأنه قريب لها .. ويبدو ان الناس بعد ذلك احست بهم وتعرفت عليهم .. فوجدوا انفسهم على الاكتاف .. والجموع تحيط بهم .. وبنفس هتاف الوداع كان الاستقبال والتظاهرة اتسعت .. وشملت الجميع .. فما عادت المدينة تعيش ساعة الافطار .. بل اصبحت تعيش عرسا .. والابطال على الاكتاف .. وكان لا بد ان يتفجر الغضب .. واشتعلت المدينة وتبادل الناس مع الجيش التضارب كل بأسلحته .. الناس بالحجارة والزجاج .. والجيش بالرصاص وقنابل الغاز .. وبرغم كل العوائق .. بقي الابطال على الاكتاف حتى وصلوا الى بيت "عزة" والزغاريد والغناء يحيط بهم ولم يستطع "سهيل" بكل الوسائل ان يترك العرس .

وتمنى لو ان الوالدة تحضر .. لكن الوالدة لن تحضر لتعيش العرس معه .. اذ حضرت شقيقته واخبرته ان والدته خارج البلاد .. تشنجت ملامحه للحظات .. ولكن الجموع المحيطة به وابتساماتهم .. اعادته اليهم .. واشعرته ان كل بيت لهم هو بيته وانهم جميعا اهله وهو منهم .. وأن الرحلة قد انتهت .. ولكن الدرب طويل .. وهو واثق بانه لن يسير فيه وحده ..

Digitized by Birzeit University Library

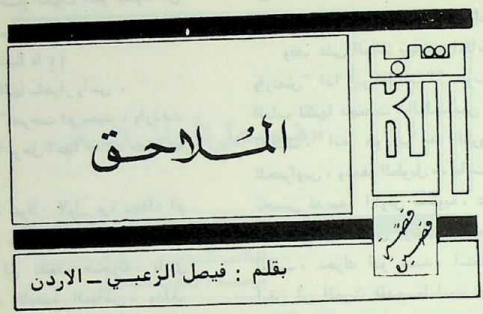

منذ عرف عبد الهادى السعيد بأن جاره قد اقتنى جرواً، لم يعد لديه شك بأن جاره سيء النية نحوه، فالقاص والداني يعرف عبد الهادى وخوفه من الكلاب. فهو يخافها اكثر من خوف القطط الهزيلة لها. قرر عبد الهادى ان يحمي نفسه، وان يعد العدة لهذين اللعينين " جاره والكلب "، واول احتياطاته، الا تكون طريقه من باب بيت جاره، ويقطع اى علاقة تربطه به. ولشدة خوفه من " الجرو" والكلاب، اصدر اوامره لكل من في بيته : (يمنع الحديث عن الكلاب، هذه المخلوقات تجعلني شيئا لم يكن. مجرد رؤيتها يدخل شيء ما في رأسي، فيبرد جسمي، وبعدها لا اعي ما افعل).

— " هذا وهم " قالت زوجته الخائفة من خوفه

— "وهم في راسك" قاطعها دون ان تكمل، ثم استرسل بيقين العارف : " لكل انسان (رطله) من الخوف، لست الوحيد في هذه الدنيا الذى يخاف شيئا ما.. الكلاب مسعوره، وحدجها مكملاً " اتريدين في ان اهيم على وجهي اخر الحياة "؟؟

ام سعيد لاتريد لزوجها ان يهيم على وجهه، وبقيت محدقة بجحوظ عينيه وحركات شاربيه، وتذكرت كيف كان زوجها يدق جسمها بيديه الثقيلتين وكيف كان يصور نفسه لها بأنه (زلمة الرجال) مدعيا قدرته الخارقة تنهدت ام سعيد وقالت بسرها " شاطر علي" ليست الامور كما تتصورها يا ابا سعيد.

قهقه ابو سعيد قهقه مهترئة، ثم عاد بجحوظ عينيه كمن يكتشف شيئا غريبا " انت الا تخافين الصراصير؟" ووخزها باصبعه المدبب" ماذا فعلت عندما رأيت صرصارا في زاوية البيت " الم تلقي العجين على رأس الصبي ؟".

ابتسمت الزوجة محاولة تبرير خوفها، لكن صراخه منعها من مقاطعته واكمل: " وفرحان الاحمد ،الم يجدوه مغمى عليه؟ .. فقط لانه حلم ان افعى دخلت عليه من الباب"، تنبه عبد الهادى الى باب بيته، فقطع حديثه صارخا : " سدى الباب ".

xxx

كبر جرو" جار عبد الهادى، وكبر خوفه

Digitized by Birzeit University Library

ـ "هو هو"، اصبح الصوت اكثر خشونة من قبل ،انه يصبح كلبا مسالة في غاية التعقيد، لا بد له ان يفعل شيئا ما !!

" الرحيل" قالها باصرار وأسى .

" الى اين ؟" صرخت ام سعيد ، واردفت خائفة " الكلاب لا ترحل احدا" ، شد حيلك يا رجـل ".

تقصد جبينه عرقا، لاول مرة تجفله ام العيال، حاول ان يرد عليها بالمثل لكنه اخفق ،تحفز للصراع لم تسعف حنجرته، نادى المنادى للصلاة، فانقذه المؤذن، ودلف متهدلا وهو يتمتم " يا مرحبا بذكرالله، صلاة الصبح عمود الصلاة".

استوى ابو السعيد مع المصلّين، قرأ الفاتحة، واعادها ، حاول ان يستذكر كل الآيات الطاردة للشياطين، " لا بد ان الكلب شيطان" تذكر سورة (الفلق) ، تبسم فرحا ثم تعوذ وبسمل، ففاجأه الامام بتكبيرة الركوع ، لحق به وخسر الموقف، انهى صلاته وطفق عائدا لبيته مذعورا (تذكر انه لم يغلق باب داره لا بد ان الكلب ينتظره).

انبلج النهار وبامكان عبد الهادى ان يسرع ، الرؤية واضحة، والعتمة ادبرت، لا شيء يجعله يتلكأ الا الكلب، فماذايفعل ان وجده في ردهة الدار، تحسس" شبريته" في مكانها، على خصره الايسر، والعصا بيده، هذه المرة لا يستعملها للاتكاء، سيدق بها رأس الشيطان، اشرف على البيت ولهاثه يسمع عن بعد " الكلب.. الكلب.. ويل له ان وجدته" هكذا كان يهمس بينه وبين نفسه، اسرع اكثر فالعجلة تضيع الارتجاف الدائر في اعضائه، وصل البيت، الباب مغلق، كاد ان يصيح فرحا" الكلب ليس في الداخل "؟.

وقف على الباب يستعيد انفاسه بلع ريقه وارتعش" اذا أين الكلب؟" هوت يده على الباب لكنها تجمدت، الكلب بين قدميه، قفز للخلف، انه هو برأسه الكروى وعينيه الحمراوين، وعنقه الطويل.. مالت الارض به، تحسس قدميه، الارض مستوية، عيناه بعيني الكلب، شيء خاص يربطهما ببعض ، تحرك الكلب، تحرك ابو سعيد، انتصب الكلب، ايقن ان الموت قادم ما لبث ان ادار قفاه للكلب واطلق ساقيه للريح وولى الكلب وراءه وابو سعيد يركض، السرعة جنونية، ثلاثة اشياء مهمة جدا لابي سعيد، ان يركض بسرعة ، الا ينظرللخلف، ان يصيح باعلى صوته، السرعة مهمة الكلب اوشك على نهش قفاه، ولمّ النظر للخلف فهو يبحث عن كل المساحات ولا سبيل الى الهرب، وصياحه خير معين فهو ناقوس ينبه من يريد مساعدته، سرعة متناهية وعيناه امامه باحثة، وصوته اطبق يلج في اتحاء القرية لا سبيل له الا ذلك .

مد يده على قفاه ثم اعادها بسرعة ، فيده اهم بكثير من قفاه ،مازال يركض وما زال الكلب وراءه، جاب القرية وعرصاتها، اتجه غربا وصراخه يسبق ساقيه، وفي حفرة على مشارف القرية سقط ومـات .

شهود عيان تحدثوا :

احدهم رآه وهو يركض بسرعة، وآخر سمعه وهو يصيح، وثالث شاهده وهو يموت، لكن اي واحد لم يلحظ ان كلبا كان يركض وراءه .

Digitized by Birzeit University Library

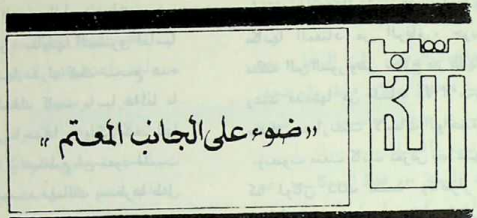

للكاتب السوفييتي : مارك رازومنـي
ترجمـة : يعقوب اسماعيل

ما ان تبدأ ستارة المساء المعتمة تتسدل على تعب وضجيج الشارع اليومي ، حتى تحتل "باسيا" وكعادتها في مثل هذا الوقت مكانها في منعطف الشارع ، كانت تضع سلتها امامها ، وبصعوبة تأخذ نفسا عميقا ، ثم تبدأ وبصوت ذابل بالمناداة :

— سمك طازج .. اشتروا .. هيا اشتروا عصاعيص طازجة .. هيا ١٠٠

الانوارتشتعل ،الواحد بعد الاخر ، غامرة الشارع بنور ساطع متألق ، ولكنها لا تضيء المرأة ذاتالحواجب السوداء على الرصيف ، لقد عزلت هذه المرأة الصغيرة والضعيفة عن عالم الضوء !، ويمر العابرون بالقرب من باسيا دون توقف ، البعض يسرعون للبيت للاستراحة من عناء العمل الطويل ، والبعض الاخر خرجوا لمجرد التسلية والترفيه عن النفس ، وغيرهم يخرجون للشارع قتلا للوحدة ، متشردون ليس لهم بيوت اصلا ، يتسكعون ولا يعرفون الى اين سيمضون ! نعم ، ايا ترى هل يمكن ان تعرف او تقول لماذا والى اين يخرج كل هؤلاء الناس في شارع كهذا كل مساء ؟!

احيانا وسط زحمة الناس تلك في الشارع ،يحدث وان ينفصل احدهم، ويقترب بتردد من منعطف الزقاق المعتم ، حيث تقبع باسيا بسلّتها :

— اعطني بعض السمك ١٠٠!

يقول وبعيون جائعة يتطلع داخل السلة، آه انها لنظرات معروفة جيداً لباسيا ! فتقول هي بلطف :

— هذه العصاعيص كلحم الدجاج ، تذوقها .

وبأيديها المتشققة تحزم العصاعيص المتلألئةكالذهب المصهور ، وتشعر بنفسها وكأنها مجازاة او تعويض لعملها لشاق ، لكل الاحزان والمصائب التي حملتها لها الحياة وبمنتهى السخاء ، حتى ان شعورا بالفخر والاعتزاز كان يغمرها، لما تفعله وهي الجائعة

Digitized by Birzeit University Library

المسكينة لامثال هؤلاء المشردين الجائعين.

مختارا ذلك الوقت الذى يمتلك في جيوبه بعض القروش، يناولها المشترى لباسيا باصابع مرتجفة. انها تدرك كيف تتجمع هذه القروش بصعوبة، لذلك كانت باسيا دائما ما تشعر بالحرج وهي تأخذها. ولكن كيف لها ان لا تأخذها؟ لا تستطيع ان تعود للبيت بدون الخبز والحليب، فهنالك ينتظرها طفل مريض، ومتذكرة لمعان الحمى بعيونه السوداء الحزينة تتنهد باسيا بصعوبة وتأخذ النقود.

ومن جديد تبقى باسيا لوحدها بعيدا عن ضجب المارة، ونادراً ما كان يقترب منها احد المشترين، وشفتاها المتشققتان تستمران في ترداد نفس النداء بصورة آلية، بينما هي شاردة الذهن تفكر في المشاكل والمصاعب.

... مرة اخرى يأتي الطبيب ... دوما يتعجل الى مكان ما .. يأخذ آخر ما يتبقى لديها من النقود، وبحركة عصبية يعدل من وضع نظاراته ويقول: "اعطي الطفل مزيدا من الزبدة والقشدة". ولكن اين لها، وهي الارملة المسكينة ان تحصل على ذلك، وهي التي نادرا ما تحصل على كسرة الخبز.

— ... عصاعيص طازجة .. اشتروا هيا...

عصاعيص طازجة ...!

الله يرى .. هي تعمل كل ما بوسعها! مع اول شعاع للفجر، تنهض بسرعة وتجرى الى السوق، تشترى السمك، ثم تأخذه للبيت حيث تنظفه وتصفه وترصه في سلتها، ثم لا تبرح طوال النهار تجوب الشقق والبيوت بسلتها الى ان يحين المساء، حيث تستقر في الزقاق وحتى وقت متأخر. والعيش يصعب شيئا فشيئا .. والحياة تقسو اكثر فاكثر!..

— عصاعيص طازجة .. اشتروا .. عصاعيص طازجة ... هيا عصا ...!

في احدى المرات وقفت باسيا كعادتها في مكانها المعتاد من الزقاق، حزينة ومكتئبة منكئة الى السور وهي تمتزج مع ظلها الشاحب، وعند قدميها في السلة: الاسماك بيهوت سفطة صفراء وقد ارتصت الاسماك الواحدة الى الاخرى، وبصوت متعب كانت تعرض بضاعتها .. اليوم كما لو كان ذلك متعمدا وباصرار لازمها سوء الحظ. الوقت اصبح متأخرا والسلة ما زالت مليئة بما فيها. وبمنتهى القلق والهم فكرت باسيا في انه سيتوجب عليها بعد فترة وجيزة ان تعود الى البيت.. فما الذى ستجلبه للطفل المنتظر هناك؟ لم تلحظ باسيا كيف ظهر فجأة امامها رجل طويل، عريض المنكبين، وارتعشت عندما سألها:

— كم تريدين مقابل هذه السمكات مع السلة؟

حقا لقد كان شيئا غير متوقعا وغريبا، مما جعلها ترد عليه بذهول وارتباك:

— ولكن ما حاجتكم لكل هذا السمك؟!

وسرعان ما ادركت باسيا عبث سؤالها، فحاولت اصلاح غلطتها:

— اعني .. انتم غير مازحين؟

ومرة اخرى فكرت في ان اسئلتها لا معنى لها، وقد تكون قد ضايقت الرجل. ولكن الرجل لم يتضايق قط، وبصوت جاد يشوبه شيء من الحزن قال:

— لا يا عزيزتي، ولماذا اسخر من انسان فقير؟ وانا نفسي مثلك تماما.

اخبريني كم تساوى سمكاتك..؟

نبض قلب باسيا فرحا، وقالت بصوت مرتجف...:

— اعطيك اياها بثمن زهيد، خمسة روبلات!

وعندما ظهرت على الرجل علامات

Digitized by Birzeit University Library

التفكير ، اضافت باسيا :

– اذا كان هذا كثيرا عليكم ، خذها بأربعة!

باتت علامات الرضى على الرجل ، ومد يده الى جيبه فاخرج روبلان فقط، ولم يجد شيئا ، فشرع يبحث بعصبية في جيوبه الاخرى ، ثم تمتم قائـــلا :

– لن آخذ السلة .. فقط السمكات ، رغم انني لا اعرف كيف سأحملها بدون سلة ، فهل تعطيني السمكات مقابل الروبلين؟ ليس معي اكثر من ذلك ...

شعرت باسيا بالضيق ، وحنقت على نفسها ،لانها وضعت الرجل في هذا الموقف المحرج ..! فالرجل وكما يبدو من الوهلة الاولى ليس غنيا.. لم يكن لها ان تطلب منه خمسة روبلات ، وها هي الان على استعداد لاعطائه السمكات مع السلة بروبلين فقط . ولكن فجأة انقبض قلبها ، وفكرت في انه لن يتبقى لديها في الغد لا نقود ، ولا سلة كي تذهب الى السوق لشراء السمك .

– هل انتم في حقيقة الامر محتاجون للسلة؟ سألت باسيا .

– طبعا ! قال الرجل مهموما ، وانحنى عليها هامسا – انني بحاجة ماسة اليها ، للسجن،الافضل اخذ الحاجيات بالسلال !

– للسجن ..!؟ تساءلت باسيا بدهشة .

– نعم ،للسجن :– اجاب هامسا – هناك يقبع رفاق لي ، انهم لم يسرقوا ابدا!

تلفت الرجل حوله ثم تابع :

– لقد اعتقلوهم لانهم ضد الاغنياء،وضد الفقر، يريدون تحسين حياة الناس امثالك ، وهذا لا يرضي الاغنياء ، ولهذا السبب يبعثون بالرفاق الى هناك !

لم تسمع باسيا بعد بمثل هذا ! اصبح يوجد في الدنيا اناس يناضلون لحياة افضل ! حياة افضل للاخرين ، للجميع ، وايضا لها ! لم تستطع ان تتخيل ماذا وكيف يعملون .. ولكن قلبها ارتعش بقوة متأثرة بكلمات هذا الرجل الغريب ، ورغبت من كل قلبها في ان تقدم الشكر لاولئك الناس الرائعين !

– خذوا .. خذها كلها .. مع السلة ايضا ، ولست بحاجة للنقود ايضا .. خذها ..! تمتمت باسيا ، بينما اغرورقت عيناها بالدموع .

شد الرجل المجهول على يدي باسيا بقوة.

– شكرا – شكرا ايتها الرفيقة .

اخذ الرجل السلة وذهب. اما باسيا فارتاحت الى الجدار من جديد ممتزجة بظلها ، وطويلا طفقت تتبع بنظرها ذلك الرجل المجهول وابتسامة حزينة انطبعت على شفتيها وهي تجفف دمعة متلألئة ، انسابت خلسة على خدها المتجعـــد !.

Digitized by Birzeit University Library

الرباعيات المنسية لمعين بسيسو

بقلم : فضل البورنو

هذه الرباعيات هي جزء من تمثيلية كتبها معين بسيسو في الستينات ، وظلت مع غيرها من اعمال معين المنسية يحتضنها تراب الوطن الذى عشقه معين ، وعشق معين ، لاكثر من عشرين عاما ،واذا كان معين قد افتقد تراب الوطن ، واضاء الحنين اليه في حياته ، فان تراب الوطن يفقد معين بعد ان رحل عن هذه الدنيا غريبا وحيدا في منفاه الذى لم يختره ..

ويبدو ان هذه التمثيلية وغيرها من الاعمال التمثيلية التي وجدت بقاياها تمثل بمرحلة مبكرة في رحلة معين في الادب المسرحي . ولكن الحكم على هذه الاعمال وتقييمها يتطلب دراسة متأنية. والى جانب هذه الاعمال المسرحية ، وجدت ايضا بعض الكتابات النثريّة والسياسيّة ومطلع لقصيدة لم تكتمل تقول .

باسم من ترفع صوتا خائفا ... ايها السفاح يا خائن شعبك
باسمنا ، نحن سحقنا قيدنا ... فتكلم باسم اعدائي وباسمك

xxxxxx

باسم من تطعن صدري باسم من ... تزرع الاغلال يا وحش تكلم

وضمن هذه الاوراق ، رسالة مفتوحة من معين الى الادباء والمفكرين العرب ، يدعو فيها الى قيام جبهة واحدة للمثقفين الثوريين العرب ، وتعكس هذه الرسالة مستوى النضج السياسي والفكرى لمعين في النصف الاول من الستينات ، وقد حلل معين دور الفكر في الحركة الثورية خاصة من فترة النهوض الكبير الذى شهدته تلك الفترة ، وبين اهمية النضال الايديولوجي والفكرى والذى لا يقل اهمية عن النضال السياسي والاجتماعي لحركة التحرر الوطني العربيـــة .

ان كثيرا من هذه الاعمال وجد منقوصا وقد فقدت اجزاء هامة منها ، وزال حبر الكتابة عن جزء آخر ، غير ان الشيء المؤكد ان هذه الاعمال تعود بالفعل الى معين بسيسو ، فقد كتب معظمها بخط يده الذى اعرفه جيدا ، ووجد توقيعه على عدد منها . وهذه الرباعيات وضعها معين كبدايات ونهايات لمشاهد تمثيلية باسم " ابو الخير " ؟ وهي تحكي يوميات ومعاناة لاجيء فلسطيني في احد المخيمـات .

وما دعانـي الى نشر هذه الرباعيات ، هو انني على يقين انها تعود الى معين ، فقد سبق ان سمعت بعض مقاطعها منه ، اما بقية الاعمال التي وجدتها ، فانها تحتاج الى مزيد من التدقيق والمراجعة . كما تحتاج الى جهود كبيرة لمحاولة ايجاد الاجزاء الناقصة منها .

Digitized by Birzeit University Library

وشمك رسمتو على دراعي ، وعلى جبيني ...
والحلم في كلّ ليلة ، ورده في جنوني ....
واسمك قمر اخضر ، بلبل على غصوني ....
قلت ابني عشك هنا ، ابنيه في عيوني ....

اسم الوطن مش اسم بيتغير وبيتبدل ...
اسم الوطن محفور في الغصن والجدول ...
حلفت باسمك ، بست حروف بتنوّر .....
اسمك فلسطين ، في قلبي قمر اخضر ...

قبل الطريق ..... الرفيق
والجار ..... قبل الدار
في القلب شب الحريق
مين اللي يطفي النار

طالت طريق السفر
طالت ع كل غريب
عاد السحاب والمطر
امتى يعود الغريب

اربع شهور طوال ....
مثل جناح الغراب ....
والدم هو السؤال ....
والدم هو الجواب ...

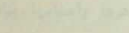

اربع شهور سودا
والشعب شاهر سلاحه
فتحي ... وصيحي .. وعودة ....
والكل حاضن جراحه ....

سلام عاكل سلاح
صاحي ، ومش نايم
سلام على فجر الجراح
طالع في يوم غايم ..

Digitized by Birzeit University Library

سلام عاصوت الشوارع ...
عاكل ساعد بيحارب ...
هبت وثارت زوابع
والشعب هو اللي غالب

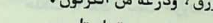

حجر على حجر ، يعلى البنا ويزيد ...
والكتف جنب الكتف والايد جنب الايد ..
سيف العدو من ورق ، ودرعه من الكرتون .
يا بو زنود من ذهب ، يا صخرة ما بتلين .

يا شعب يا ابن الجبل ...
مثلك ما شفتش بطل ...
الشمس ام القمر ...
وانت ابوك القدر ...

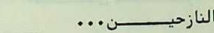

حط الجراد عا الشجر ...
حط وبقاله .... سنين ...
خلف الحدود ... الشجر ...
نادى على النازحين ...

نادت علينا السنابل
وكل قرية ومدينة
امتى تهد السلاسل
امتى الزنود السجينة ...

Digitized by Birzeit University Library

من روائع الأدب العالمي

أغنية للفقر

بابلو نيرودا

يعتبر بابلو نيرودا من اعظم شعراء القرن العشرين ، فقد اصدر ديوانه الاول ـ انشودة الشفق ـ وهو في التاسعة عشرة من عمره ، وقد جاب معظم اقطار العالم ، ونثر اشعاره مطرا على تلك البلدان التي كان قنصلا لبلاده فيها او التي كان يمر بها ، وقد شارك بابلو بحماس في الدفاع عن الجمهورية الاسبانية ـ

ـ في عام ١٩٤٢ القى في كوبا ، ولاول مرة ،قصيدة ـ انشودة الى ستالينغراد ـ وقد طبعت هذه القصيدة والصقت على جدران مدن المكسيك وقراها .

ـ في عام ١٩٧٠ كان بابلو نيرودا مرشح الحزب الشيوعي التشيلي لانتخابات الرئاسة لصالح مرشح (الوحدة الشعبية) ـ الليندى ـ الذى فاز في الانتخابات وبعد الانقلاب الدموى على حكومة الوحدة الشعبية في اواخر عام ١٩٧٣ الذى دبرته المخابرات المركزية الامريكية واستشهاد الليندى باسبوعين توقف القلب الكبير عن الخفقان لتخرج مدن العالم في مظاهرات احتجاجية على الانقلاب الدموى في التشيلي ، واذا كان (اراغون) مجنون (الزا) ، فقد كان بابلو نيرودا مجنـــون (ماتيلدا) التي ربط حبه لها بحبه لتشيلي وارضها وكمائها وزهرها واعشابها ومائها وصخورها وترابهـا .

وتبقى قصائد بابلو نيرودا نجوما تضيء ليل التشيلي الحالك .

من اشهر اعماله :

١) التشيد الشامل .
٢) اسبانيا في القلب.
٣) عشرون قصيدة حب وانشودةيائسة .
٤) اغاني الربّـان .
٥) مائة قصيدة حـب .
٦) ومسرحيّة الوحيدة ـ تألق جو اكان موريتا ومصرعـــه .

Digitized by Birzeit University Library

اغنيـــة للفقـــر

أيهـا الفقـــر
منـذ أن ولـــدت
وأنـت تتبعنـــي
وتراقبنـــي
خـلال الاخشاب المهترئـة
مـن الشتـاء القـارس
وسرعـان مـا كانـت عيناك
ترقبـــان ...
عبـر الثقـوب
كانـت طرطقـات الميـزاب
ليـــلا
تـــردد لـي اسمـك
وكنيتـــك
ولكـم كـان يريعني منظـر
الملحـة المهشمـة
والبدلـة الرثـة
والحـذاء الممـزق
هنـاك كنـت تترصدنـي
بانيابـك الاكولـة
وعيونـك الجائعـة
ولسانـك الرمـادى
تقطع الثيـاب والخشـب
والعظـام والـدم
هنـاك كنـت
تبحـث عنـي ...
تتعقبنـي

فـي الشـوارع
منـذ ولادتـي
عندمـا استأجـرت
غرفـة صغيـرة
فـي الضواحـي
رأيتـك هنـاك
جالسـا على كرسـي
تنتظرنـي
او عندما كنـت انتـزع
اغطيـة السريـر
فـي فندق مـا
ايـام شبابـي
لم أكـن اعثر على عبيـر الوردة العاريـة
انمـا على فحيح فمك البـارد.

xxx

أيهـا الفقـــر
لاحقتنـــي
عبر الثكنـات والمستشفيـات
عبـر السلـم والحـرب
فـي مرضـي
قُـرع عليّ الباب ..
لـم يكـن القارع طبيبـاً،
بـل كان انـت ايهـا الفقـر
تدخـل عليّ ثانيـة ،
رأيتـك تقـذف بأمتعتـي
الـى الشـارع
كـان الرجـال
يرشقونهـا بالحجـارة
وكنـت انـت بحـب بغيـض
تصنـع
مـن الكـوم المهملـة
وسـط الشـارع والامطـار
عرشـا هرمـا
وكنـت تلتقـط وانت تراقـب الفقـراء
صحنـي الاخيـر
جاعـلا منـه تاجـا

xxx

Digitized by Birzeit University Library

ها انذا الان
أيها الفقر
اتتبعك ،
ولأنك كنت قاسيا
أنا قاس
انك تجدني اغنّي
مع كل فقير
ولسوف تجد غنائي
تحت كل غطاء سرير
في مستشفى المستحيل
ستجد غنائي

xxx

اني الاحقك ايها الفقر
اترقبك
أحاصرك
أصوب عليك ، اعزلك
أقضم اظافرك ،
أحطم اسنانك الباقية

xxx

أنا في كل مكان
في محيطات الصيّادين
في المنجم
حيث الرجال
يمسحون عن جباههم
العرق الاسود
مردّدين أشعاري

xxx

أنا كل يوم
أخرج مع عاملة النسيج
لديّ ايادٍ بيضاء
لإمداد المخابز بالخبز
اينما كنت ايها الفقر
فان غنائي يغنّي
وحياتي تحيا ..
ودمي يكافح
ولسوف انكس
راياتك الشاهبة
اينما تخفق
الشعراء القدامى
كانوا يدعونك : قديسا
مجدوا طيلسانك
وتغذوا بالدخان
ثم اندثروا
اما انا فاتحداك
اصفع خديك
بأبياتي القاسية
وأضعك في سفينة
وأنفيك
أنا ،
مع آخرين وآخرين
وآخرين كثر
نقوم بترحيلك
من الارض
الى القمر
لكي تبقى هناك
باردا سجينا
تتطلع بعين واحدة
الى الخبز والعناقيد
التي ستغمر ارض الغد

Digitized by Birzeit University Library

أغنية لرجل في الثمانين

باسم النادى

رجل في الثمانين
صرح من الاحتمال الحزين
يعيش على ذكريات السنين
يعيش وحيدا
يقلب ايامه الموجعة
يحمل الشمس بين يديه ويمشي
مع الفجر يمشي
الى حيث يرقد ابناؤه الاربعة
يتوقف قرب القبور
سفينة عمر
بلا اشرعة
هادئ النظرات
على الوجه جرح
وفي قلبه تعصف الزوبعة ...

ذات يوم مضى
حين نادت عليه البلاد
فلبى نداء الجهاد
وعاد الى بيته بعد عامين
بجرح
وعكازتين
ولكنه لم يجد
غير باب
ونافذة
مشرعة
مرت الحرب من بيته
اخذت امه
وأباه
وأبناءه الاربعة
ومضت
تحصد الشجر المستريح
على جانبي الطريق
وتغرس اشلاء ابنائه اليافعة
اطلق الاه من صدره
وارتمى
كانت الارض تهمس في اذنه
انها حربنا العادلة
كانت الريح تهمس في اذنه :

Digitized by Birzeit University Library

انها حربنا العادلة ... تجيء الينا
كان رمل البلاد يضمد جرحه ... ونحن نرش الحقول بذور الحياة
وعشب البلاد يضمد جرحه ... تهدد اشجارنا بالذبول
هواء البلاد يضمد جرحه ... ونخطف اطفالنا من رموش العيون
سهول البلاد تضمد جرحه ... فآه ....
جبال البلاد تضمد جرحه ... هي الحرب
حقول البلاد تضمد جرحه ... لا بد منها لدحر الغزاة
حدود البلاد تضمد جرحه ... هي الحرب
وكانوا ... لا بد منها لنحمي الوطن
له ... انها حربنا العادلة
عائلة ١١٠٠٠ ... انها حربنا العادلة
انها الحرب يا ابتاه ... انها حربنا العادلة

Digitized by Birzeit University Library

اتحاد الكتاب الفلسطينيين
يشيد باعادة اللحمة للاتحاد العام

على ضوء الانباء التي تواردت حول اتفاق الاخوة في الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين لاعادة اللحمة للاتحاد ،اصدر اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة بيانا اشاد فيه بالجهود التي بذلت ولا تزال لتحقيق هذه الامنية العزيزة على قلوب كل المخلصين، فيما يلي نصه .

في الوقت الذى تتضافر فيه الجهود المخلصة للخروج من الازمة الناتجة عن الانشقاق في الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين .فان الانظار تتطلع الى هذه الجهود وبالامل والرجاء ، بقرب اعادة اللحمة للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، ووضع حد لحالة الجمود التي سببها هذا الانشقاق ، والاثار الخطيرة والمدمرة التي لحقت بالحركة الثقافية الفلسطينية في الوطن المحتل وفي الشتات .

ان اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة، يؤكد من جديد، ان وحدة الكتاب الفلسطينيين هي المعيار الحقيقي ، والهدف الاكثر اهمية امام كافة الكتاب الفلسطينيين ،فالشلل الذى اصاب الاتحاد ،اضر كثيرا باهم جوانب الحياة الفلسطينية واعاق نموها وتطورها ، في الوقت الذى كان يعول فيه على طليعة هذه الحركة ورموزها ان تقوم بدور هام في الدفاع عن وحدة الشعب الفلسطيني ووحدة مؤسساته الوطنية واطره السياسية وعلى رأسها منظمة التحرير الفلسطينية .

ان الجهود العظيمة . التي بذلت ولا تزال من اجل هذا الهدف الكبير ، تستحق منا التقدير والاحترام . واننا اذ نحيي كل الاخوة والزملاء ، نتطلع الى الاثر الكبير الذى سيتركه اتفاق الاخوة في الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين على الكتاب الفلسطينيين في الارض المحتلة ، وخاصة على صعيد وحدة الحركة الثقافية . ودفع مسيرة اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة .

اننا نهيب بالجميع ، مواصلة العمل من اجل رأب الصدع ، واتمام ما بدأوا به، لتحقيق الحلم الذى اقض غيابه مضاجع كل المخلصين من ابناء شعبنا الفلسطيني .

واننا نتطلع بكل اخلاص وامل ، ان تشكل هذه الخطوة بداية لاعادة اللحمة الى كافة المؤسسات الفلسطينية ، تمهيدا لاعادة اللحمة الى منظمة التحرير الفلسطينية ، على اسس كفاحية ووطنية .

تحية للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين الواحد الموحد .
وعاشت الوحدة الوطنية ، سبيلنا الى تحقيق طموحاتنا واهدافنا القومية .

اتحاد الكتاب الفلسطينيين
في الضفة الغربية وقطاع غزة

Digitized by Birzeit University Library

الى المحرر

وصلتنا رسالة من الصديق باسم النادي المقيم الان في موسكو، وحرصا منا على تكريس الحقيقة ننشر الرسالة كما وردتنا .

أخي أسعد الاسعد .

تحية طيبة وبعد ،

يسرني جدا، ان اكتب لكم هذه الرسالة التي سوف تكون فاتحة الكتابة المتواصلة، واعلان صداقة ومحبة .

أخي العزيز (واسمح لي ان اخاطبكم بأخي) .

لقد قرأت كثيرا عن مجلة الكاتب وسمعت اكثر، ولكن اطلاعي عليها كان متأخراً، حيث كان ذلك قبل سنة وشهر بالتحديد، وكما يقولون، رب صدفة خير من الف ميعاد !. اذ كنت في شهر نيسان ١٩٨٥، اجمع قصص الاسير الفلسطيني محمد خليل علبان، ليتم اصدارها في كتاب عن دار الصمود العربي في قبرص، بالتعاون مع اتحاد الكتاب والصحفيين فنصحني احد الاصدقاء البحث عن مجلة الكاتب، خصوصا وقد نشر الاسير معظم قصصه على صفحاتها . وكما تعلم فمن الصعب الحصول على المجلة في بلدان الوطن العربي ،لما نفرضه الحدود والواقع المر .

وهكذا صدرت المجموعة القصصية وهي تضم ثلاثة قصص فقط هي"ساعات ما قبل الفجر" و"قصة بالف عنوان" و"خالد لازم يعيش" وقدم لها الكاتب ورئيس اتحاد الكتاب والصحفيين الاخ يحيى يخلف،وبعد صدور المجموعة بأيام ،حضر الى مقر المجلة ـ مجلة نضال الشعب ـ حيث اعمل، صديق عزيز،في جعبته اربعة اعداد من مجلة الكاتب ، .. تناولت نسخة بلهفة ، والقيت نظرة على محتويات العدد، فاذا بي افاجأ حيث ارى عنوان احدى قصائدي المنشورة قبل تاريخ صدور العدد بخمسة اشهر على صفحات مجلة نضال الشعب من ضمن محتويات العدد ولكن كان الى جوارها اسم ما زلت اتذكره وهو جمال جواريش اندهشت فعلا واندهش الاصدقاء وخصوصا

Digitized by Birzeit University Library

الشاعر محمود لافي ، الذي شاركني حين كنت القصيدة باختيار عنوانها وهو " لك الاسماء يا بيروت" وقد كانت دهشتنا من السيد جواريش ،انه لم يكلف نفسه عناء تغيير اية كلمة او سطر او حتى العنـوان .

وأصارحكم ان مبعث المي لم يكن من هذه السرقة الظريفة ، بقدر ما كان من انني بعد نشر القصيدة في نضال الشعب اجريت عليها بعض التعديل وضمنتها في مجموعتي الشعرية " دخان البيوت" الصادرة عن دار الصمود العربي بالتعاون مع اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين وبعنوان الرحيل .

اردت ان اتصل بكم لاشير الى هـذه (السرقة الظريفة) ولكن الحدود اولا منعتني اذ كنت في دمشق ، واشتعال حرب المخيمات في ١٩٨٥/٥/٢٣ شغلني لدرجة كان فيها الحديث عن القصيدة امرا تافهـا .

لقد كانت صدفة ظريفة ان يكون لقائي الاول بمجلة الكاتب بمثل هذه القصة الظريفة ، ولكن اهم ما في هذه الصدفة انها نبهتني الى امر ضروري جدا هو ان اتصل مع شعبي واهلي في الاراضي المحتلة ، وخصوصا انني لا اكتب الا لهم وعنهم ولهذا فانا الان ارى ان من واجبي ان امد جسور الاتصال والمحبة مع اهلي وشعبي وان اكون عضوا فاعلا في مجلة الكاتب اذا امكن ، خصوصا وانا الان في موسكو ،حيث يسهل الاتصال بالاهل والاحبة التي ابعدتنا عنهم حدود وحـراب .

أخـي اسعـد الاسعـد ،

انا الان في موسكو، انتسبت لمعهد غوركي الادبي واضافة الى الدراسة، امارس بعض الكتابة فمرة اكتب حول آخر الاخبار الثقافية ومرة حول المتاحف ومرة حول الاعياد الوطنية ومرات اجرى عددا من الحوارات واللقاءات الصحفية مع الادباء والمستشرقين السوفيات. ويسعدني ان اقدم كافة امكانياتي في خدمة مجلتنا مجلة الكاتب .

آخي اسعد الاسعـد ،

يسعدني ان ابدأ المراسلة بقصيدتين ارجو ان تنالا اعجابكم وتقديركم . وسوف تكون رسالتي هذه فاتحة الكتابـــة .

أخـوكم باسـم النـادي

ان مجلة الكاتب تتطلع الى هذه القصـ باهتمام كبير، وهي قبل كل شيء تأمل م الاستاذ جمال جواريش ان يبعث برده على ورد في الرسالـــة .

كما نخبر الاخ باسم النادي ان دار الكا اصدت في منتصف عام ١٩٨٥ قصص الا المحرر محمد خليل عليان في مجموعة ق في ١٧٨ صفحة من الحجم الصغير حملت ا "ساعات ما قبل الفجر" تضمنت مقدمة ع ادب السجون بقلم جمال بنورة وضمت ثما قصص كلها نشرت في مجلة "الكاتب" .

Digitized by Birzeit University Library

● رواية لناظم حكمت

. صدرت في دمشق رواية "الحياة شيء رائع يا حبيبتي" للشاعر التركي الراحل ناظم حكمت وترجمها الى العربية نزيه الشوفي .

والرواية هي سيرة ذاتية لناظم حكمت. ولكنها في الوقت نفسه تعد سجلا وثائقيا مهما لمرحلة ما بين الحربين والفترة التالية حتى السبعينات

●

رسائل مجهولة
لفيكتور هوغو

٣٧ رسالة لم يسبق نشرها من قبل وتم العثور عليها مؤخرا في محفوظات مكتبة سالتنكيوف ـ شيدرين في لينينغراد بالاتحاد السوفييتي . وهي بقلم الاديب الفرنسي فيكتور هوغو .

وباستثناء رسالتين فقط، فان الرسائل الاخرى موجهه الى البحّاثة الفرنسي نويل بارفيه المشرف على نشر مؤلفات هوغو، وقد وصلت هذه الرسائل بشكل غامض اثناء الحرب العالمية الثانية الى لينينغراد حيث اشترتها مكتبتها من احد بائعي المخطوطات .

●

دور النقد في تطور الادب

ضمن البرنامج الذى طرحته الهيئة الادارية لاتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة، عقدت في مجمع النقابات المهنية في بيت حنينا، ندوة حول النقد، ودورة في تطور الادب .

وقد شارك في الندوة كل من د. حنان ميخائيل استاذة الادب في جامعة بيرزيت، والناقدين صبحي شحروري، ومحمد البطراوي، بحضور عدد كبير من الكتاب والمهتمين بالنقد والحركة الادبية .

وتناولت الدكتورة ميخائيل في محاضرتها الاتجاهات الجديدة والمعاصرة في المدارس النقدية الاوروبية ،مشيرة الى المدرسة البيئوية، والتقويضية بشيء من التفصيل اما الاستاذ البطراوي فقد تحدث عن تاريخ الادب في فلسطين، وبدايات النقد في النصف الاول من هذا القرن، مبيّنا الاثر الكبير الذى تركته مدرسة السينمار الروسية في الناصرة ،ومدرسة الاقصى على الحياة الادبية في فلسطين، حيث تخرج من هاتين المدرستين اهم الادباء ، واكثر ادباء فلسطين عطاء ونتاجا جيدا .

الاستاذ صبحي شحروري، ربط بين الواقع والمذاهب النقدية في بعض الاقطار العربية وخاصة في المغرب ومصر، وانعكاس الثقافة الاوروبية على هذه التيارات والمذاهب، وخاصة تأثر النقاد المغاربة بالاتجاهات الجديدة في فرنسا .

وبعد انتهاء المحاضرين من تقديم محاضراتهم، فُتح النقاش ، واستمر قرابة ساعة ونصف ، مما افضى جوا من الحيوية على الندوة ،واغنى موضوعها، وقد استمرت الندوة والنقاش، قرابة اربع ساعات متواصلة .

وتعتبر هذه الندوة ، الفقرة الاولى في برنامج ندوات الاتحاد، حيث من المقرر ان تعقد ندوة في كل شهر تتناول اهم القضايا الثقافية والفكرية .

Digitized by Birzeit University Library

● سهـــرة مـــع
الادب والفـــن

في قاعة مسرح الحكواتي بالقدس، استضاف اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة اكثر من خمسماية من جمهور الادب والفن حيث قدم كل من الفنانين وليد عبد السلام، مصطفى الكرد، وعمر الجلاد، مجموعة من الاغاني الوطنية الرائعة، بالاضافة الى وصلة تراثية مع الشبابة الفلسطينية الكنعانية، قدمها العازف المجيد الدكتور مروان عورتاني.

كما قدم الشعراء سالم جبران، اسعد الاسعد، خليل توما، فوزي البكري، سميح فرج يوسف حامد. قصائد جديدة.

وكان اسعد الاسعد رئيس اتحاد الكتاب، قد افتتح الاحتفال بكلمة اشاد فيها بمبادرة الاخوة في الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين لاعادة اللحمة للاتحاد، والذي تم اثر الاجتماع الاخير في براغ. كما دعا الى تعزيز وحدة الكتاب الكتاب الفلسطينيين في الاراضي المحتلة والابتعاد عن الشللية والشرذمة. وقرأ في نهاية كلمته بيان اتحاد الكتاب الذي دعا الى المضي قدما في ارساء دعائم وحدة الاتحاد العام، تمهيدا لاعادة اللحمة الى منظمة التحرير الفلسطينية على اسس كفاحية ووطنية من جهة اخرى فقد اشار عريف الحفل علي الجربري باسم الاتحاد، الى اهمية التضامن مع نقابة العاملين بجامعة بيزريت والوقوف الى جانبهم كما نوه الى ضرورة الاهتمام بقطاع غزة والوقوف في وجه كافة ما يحاك ضد ابنائه، وعدم اغفال او تجاهل المخاطر المترتبة على ذلك.

●

الروايـــة الرابعـــة
لسحـر خليفـــة

عن دار الاداب البيروتية، صدر للكاتبة الفلسطينية سحر خليفة رواية جديدة بعنوان "مذكرات امرأة غير واقعية" هي الرابعة للكاتبة المقيمة الان في الولايات المتحدة الامريكية. للتحضير لنيل شهادة الدكتوراة.

الرواية الاولى لسحر خليفة، صدرت عن دار الهلال المصرية. بعنوان" لم نعد جواري لكم" وكانت دار "الكاتب" قد اصدرت لها رواية" عباد الشمس".

● مختـارات الجواهـري
مـن الشعـر العربـي

دمشق ــ ضمن سلسلة "احياء التراث العربي" الصادرة عن وزارة الثقافة والارشاد القومي في الجمهورية العربية السورية صدر الجزء الاول من الموسوعة الضخمة " الجمهرة ــ مختارات من الشعر العربي " التي اختارها شاعر العرب الاكبر محمد مهدي الجواهري وحققها واشرف على طباعتها الدكتور عدنان درويـــش.

ويقع الجزء الاول من "الجمهـــرة" في ٨٧١ صفحة من القطع الكبير ويضم مختارات من شعر العصر الجاهلي اضافة الى المقدمة وقصة " الجمهرة" ودراسة بعنوان " تحوّل الشعر الجاهلي في العهدين الاسلامي الاول والاموي" ودراسة اخرى بعنوان " الشعر الجاهلي بين مطرقتين : الفردية والتكران" وجميعها بقلم الجواهري نفسه.

وفي "الشعر الجاهلي بين الفردية والتكران"، يرد الجواهري على الشاعر الكبير ادونيس في مقدمته لكتابه "ديوان الشعرالعربي" وكذلك على طه حسين في كتابه "

Digitized by Birzeit University Library

"الادب الجاهلي".

ويضم الكتاب نماذج من ابداع مئة شاعر جاهلي. ويلفت النظر عدم ايراد معلقة عمر بن كلثوم. وفي هذا يتفق الجواهري مع القائلين بالشك بهـا .

●

دراسة اخرى عن نجيب محفوظ

بيروت ـ صدر عن " دار الحداثة" في بيروت كتاب "بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ". الكتاب دراسة نقدية جادة للدكتور بدوي عثمان .

●

كتاب جديد لسميح غنادري

" الماركسية اللينية والمسألة القوميـــة "

حيفا ـ صدر للباحث سميح غنادري عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاسرائيلي كتاب جديد هو: " الماركسية اللينيينة والمسألة القومية ـ الطبقي والامي والقومي في كفاح الجماهير العربية في اسرائيـل ".

ويقع هذا الكتاب الصادر عن" دار ٣٠ آذار" في ٣٠٨ صفحات من القطع المتوسط ويتسم بالتطبيق الحي الملموس والخلاق للفكر الماركسي ـ اللينيني حول المسألة القومية على واقعنا المحلي . ففي الكتاب تحليل شامل للتحولات الطبقية ـ الاجتماعية بين جماهيرنا وتفسير علمي للدور القيادي للحزب الشيوعي بين جماهيرنا ونقاش فكري عميق مع فلسفة السلطة العنصرية الظالمة ومع فلسفة قومجي اخر الزمان من "الحركة التقدمية"

وقد كتب هذا الكتاب بلغة سلسة وسيالة متضمنا العديد من الامثلة والشواهد والمقتطفات من الحياة السياسية اليومية مما يجعل الكتاب نظريا عميقا من ناحية وسيارا مرتبطا بصميم حياتنا من ناحية اخرى .

اننا نعتقد ان هذا الكتاب ذو فائدة جمة للمناضلين الجبهويين وللناس التقدميين عامة .

ويذكر انه صدر للكاتب سميح غنادري عن دار " ٣٠ آذار " في عام ١٩٨٣ كتاب " الفلسفة الماركسية اللينينية فلسفة تغيير العالم ـ المادية الديالكتيكية ".

●

قصص عربية ـ الى الطاجاكستانيـــة

موسكو ـ صدر عن احدى اكبر دور النشر في جمهورية طاجاكستان السوفييتية كتاب يضم ٢٢ قصة عربية مترجمة الى الطاجاكستانية .

هذه المرة ليس الاختيار من قصص المرحلة الراهنة (الثمانينات) بل من ابداعات الكتاب العرب منذ بداية النهضة حتى اواخر الخمسينات وبين الكتاب العرب الذين ترجمت قصصهم : طه حسين، توفيق الحكيم ، امين الريحاني ،ميخائيل نعيمة وعبد الرحمن الشرقاوي .

●

روايـة جديدة للكاتب الفلسطيني الكبيـر رشـاد ابـو شـاور

. عن "دار الحوار" والاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين صدرت مؤخرا رواية جديدة للكاتب الفلسطيني الكبير رشاد ابو شاور .

اسم الرواية " الرب لم يسترح في اليوم السابع" تقع الرواية في ٢٤٠ صفحة من القطع المتوسط هي الرواية الرابعة للكاتب بعد " ايام الحب والموت " و" البكاء على صدر الحبيب" و" العشاق" كذلك صدرت لرشاد ابو شاور

Digitized by Birzeit University Library

ايضا مجموعات قصصية وكتابات متفرقة بينها كتابه المعروف "آه يا بيروت" الذى صدر عام ١٩٨٣.

●

الطبعة الثانية من رواية الكاتب الياس خورى

بيروت ـ صدرت الطبعة الثانيةمن رواية " عن علاقات البدائرة" للكاتب اللبناني الياس خورى . وكانت الطبعة الاولى صدرت عام ١٩٨٢.

كماهو معروف فان الياس خورى هو كاتب وناقد وصحفي بارز شارك مشاركة مباشرة في الحركة الثقافية المرتبطة بالثورة الفلسطينية وهو يعمل الان محررا ادبيا في صحيفة " السفير " الوطنية اللبنانية

●

الشعر الحديث في العالم العربي باللغة الانجليزية

لندن ـ صدرت عن دار بنغوين، في الايام الاخيرة، مختارات من الشعر العربي الحديث باللغة الانجليزية . وقد جمع القصائد وترجمها وقدم لها الشاعر اليمني عبدالله العذرى المقيم في لندن منذ ٢٤ عاما حيث يلقي المحاضرات ويعد الترجمات من الادب العربي القديم والحديث .

وجرى تقسيم المجموعة الى ابواب على النحو التالي :

١) المدرسة العراقية ـ ويمثلها الشعراء بدر شاكر السياب ، نازك الملائكة ، عبد الوهاب البياتي ، بلند الحيدرى .

٢) حركة مجلة "شعر" (المدرسة السورية)ـ ويمثلها الشعراء يوسف الخال ، ادونيس (علي احمد سعيد) ، انسي الحاج ، شوقي ابي شقرا ، فؤاد رفقه ، محمدالماغوط ، جبرا ابراهيم جبرا ، توفيق صايغ ، رياض الريس ،عصام محفوظ .

٣) المدرسة الحزبرانية ـ ويمثلها الشعراء نزار قباني ، فدوى طوقان ، سميح القاسم ، راشد حسين ، معين بسيسو ، صلاح نيازى .

٤) التجربة البيروتية ـ ويمثلها الشعراء خليل حاوى ،سامي مهدى ، سعدى يوسف ، محمود درويش .

تقع هذه المجموعة، وهي الاولى من نوعها ، في ١٦٠ صفحة من القطع المتوسط ورسم غلافها الرسام البريطاني المعروف رالف ستيدمان .

وكان الشعر العربي الحديث قد لقي رواجا كبيرا بين القراء الانجليز، لا سيما بعد صدور مجموعة " ضحايا الخريطة" من قصائد سميح القاسم ومحمود درويش وأدونيس التي ترجمها عبدالله العذرى ونشرتها دار الساقي في لندن واعيدت طباعتها اكثر من مرة كما تم الاتفاق مع احدى دور النشر الامريكية لطباعتها وتوزيعها في الولايات المتحدة .

●

جائزة نهرو ـ للكاتب المبدع جنكيز ايتماتوف

نيودلهي ـ منحت جائزة جواهر لال نهرو الادبية لعام ١٩٨٥ للكاتب الروائي القرغيزى السوفييتي المبدع جنكيز ايتماتوف، وذلك في احتفال كبير اقيم مؤخرا ، في العاصمة الهندية .

ايتماتوف عبّر عن امتنانه وقال ، ان الكاتب الحقيقي يكتب ليس ليحصل على جوائز بل ليجسد حاجة روحية داخلية. ومع هذا فان التكريم يجلب دائما الرضا. وقال انه سعيد بالحصول على جائزة هندية لان الهند كانت في ذهنه منذ الطفولة بلاد الخرافة الشرقية وفيما بعد تطورت في ذهنه لتكون بلاد الحضارة العميقة السمحة الجميلة.

Digitized by Birzeit University Library

اتحـاد لجان المرأة العاملـة الفلسطينيـة اللجنـة العليـا للعمـل التطوعـي

في الضفـة الغربيـة وقطـاع غـزة

تعلن افتتاح اندية الفتيان الصيفية الفلسطينية في اوائل شهر تموز وللسنة الثالثة على التوالي .

انديتنا مدارس من طراز جديد تعوض اطفالكم عن النواقص في مدارسهم .

يشمل نشاط الاندية :

برامج تربوية ، فنية، ثقافية، رحلات ترفيهية ، احتفالات باعياد الميلاد وغيرها .

توفر من الاندية الرعاية الصحية لكافة الاطفال بالتعاون مع لجان الاغاثة الطبية الفلسطينية .

بادروا لتسجيل اطفالكم من سن ٦ — ١٥ لدى لجان العمل التطوعي ولجان المرأة العاملة .

يستمر عمل الاندية شهرا كاملا

Digitized by Birzeit University Library

AL-KATEB
For human culture

Editor- Asa'd Al-Asa'd
P.O.Box 20489
Jerusalem
Tel:956931

75

الكاتب
للثقافة الإنسانية والتقدم

Digitized by Birzeit University Library